ملخص الرسالة

لما لم تتفق كلمة المفسرين منذ القديم على موضوع التناسب، وكان كثير منهم - وإن وافقوا على التناسب داخل الآية الواحدة، أو بين الآية وجارتها- إلا أنهم يعترضون على وجه أو أكثر من وجه التناسب القرآني، فكان منهم من اعترض على الوحدة الموضوعية في السورة، أو على التناسب بين اسم السورة وموضوعها، أو على التناسب بين السورة وجارتها، وصولاً إلى الوحدة الموضوعية في القرآن كله، وحيث إنه لا بد من قول فصل يبين وجه الحق في هذه المشكلة، فقد كانت هذه الدراسة في سورة البقرة، لتجلي القول وتحسم الخلاف وتحل الإشكال.

ولأجل ذلك فقد اتجهت الدراسة إلى الإجابة على عدد من الأسئلة المحددة للمشكلة، والتي أبرزها: هل يجد تناسب بين بداية السورة وخاتمتها، وهل من علاقة بين قصص السورة، وهل للسورة محور رئيس، وهل لاسمها ارتباط بمحورها، ومن ثم ما وجه اتصال سورة البقرة بالفاتحة التي تسبقها وآل عمران التي تليها، وما علاقتها بالسور التي لها البداية نفسها(الم)، وما مناسبتها للفلق نظيرتها في آخر المصحف، وهل يؤدي ذلك إلى أن القرآن جميعه يشكل وحدة متماسكة، وهل موقع البقرة في أول المصحف يعطيانها مركزية لما بعدها من السور؟.

وتكمن أهمية هذه الدراسة، في توضيح المعاني التي قد تلتبس في الآيات الكريمة، وفي تجليتها الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، بعد تأكيدها في كل سورة من سوره، وبالذات سورة البقرة موضوع الدراسة، ومن ثم يتأكد أن ترتيب سور القرآن الكريم كان توقيفياً، ويتجلى وجه عظيم من وجوه الإعجاز القرآن يؤكد ربانيته، ويرد على افتراءات المستشرقين.

وقد اتبع الباحث في دراسته، المنهج الوصفي الذي يجمع بين الاستقراء والتحليل للسورة الكريمة، وأحياناً الموازنة والترجيح بين الأقوال المختلفة.

ولذلك فقد قامت هذه الرسالة على أربعة فصول، حيث اضطلع الفصل الأول بالتعريف على شطري عنوان الأطروحة وهما سورة البقرة وموضوع التناسب، وعرض الفصل الثاني لأوجه التناسب وأنواعه في القرآن، ثم تحدث الفصل الثالث عن أوجه التناسب الداخلية في سورة البقرة، فيما تحدث الفصل الرابع والأخير عن أوجه التناسب الخارجية لسورة البقرة.

وقد خلصت الدراسة إلى الوحدة الموضوعية في سورة البقرة، والتي محورها الرئيس هو الخلافة، وأكدت الدراسة توقيفية ترتيب السور القرآنية، والوحدة العضوية في القرآن جميعه، وقد انتهت إلى أن الكثير من العلماء قد اهتموا بالتناسب، وكان أبرزهم الرازي والبقاعي.



وأهم التوصيات التي يراها الباحث، أن بعض العناوين الفرعية في هذه الدراسة تستحق أن تفرد بالبحث من مثل علاقة أسماء السور بمحاورها والتناسب بين السور التي لها ذات الفاتحة، وكذلك ضرورة الكتابة في نظرية التناسب عند كـل من الرازي والبقاعي.

بسم ا الرحمن الرحيم

عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

التناسب في سورة البقرة

إعداد الطالب:

طارق مصطفى محمد حميدة

بكالوريوس أصول الدين من الجامعة الأردنية/ عمان

إشراف:

الدكتور حاتم جلال التميمي

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة

عمادة الدراسات العليا / جامعة القدس

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
برنامج الدراسات الإسلامية المعاصرة

التناسب في سورة البقرة

اسم الطالب: طارق مصطفى محمد حميدة

الرقم الجامعي: ٢٠٣١١٧٧٩

إشراف الدكتور: حاتم جلال التميمي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ:..

من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

١. الدكتور حاتم جلال التميمي : رئيس لجنة المناقشة التوقيع: ....

٢. الدكتور إسماعيل الحاج أمين نواهضة: ممتحناً داخلياً التوقيع:.............................

٣. الدكتور عطية صدقي الأطرش: ممتحناً خارجياً التوقيع:.............................

جامعة القدس - القدس

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

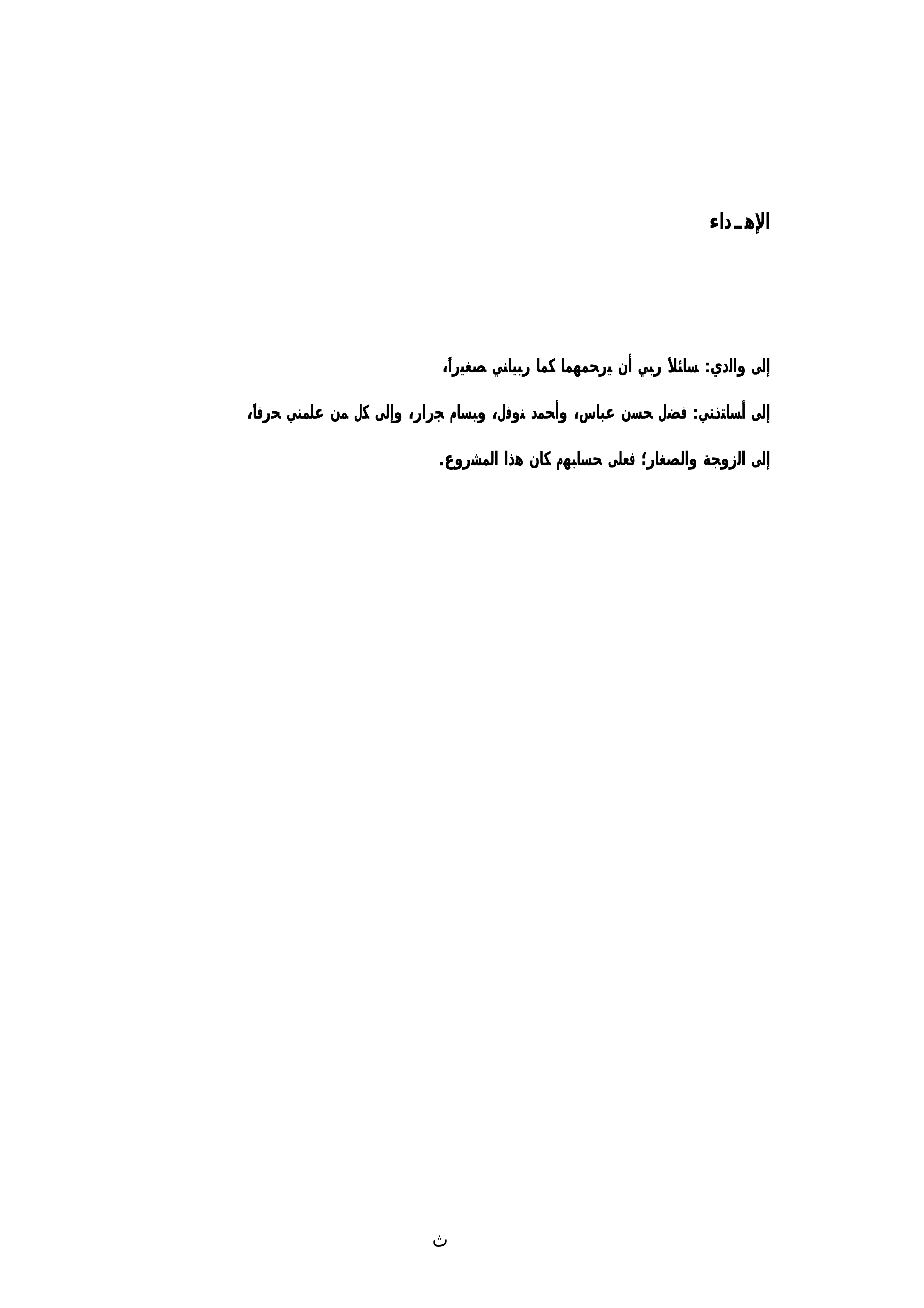
بيـــان

أقر أنا مقدم الرسالة أنها قُدمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستـثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وأن أي جزء منها لم يقدم لنيل أية درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع:........................

طارق مصطفى محمد حميدة

التاريخ: ....



الإهـداء

إلى والدي: سائلاً ربي أن يرحمهما كما ربياني صغيراً،

إلى أساتذتي: فضل حسن عباس، وأحمد نوفل، وبسام جرار، وإلى كل من علمني حرفاً،

إلى الزوجة والصغار؛ فعلى حسابهم كان هذا المشروع.

شكر وعرفان

لا يشكر ا من لا يشكر الناس

الشكر أولاً على ما أنعم فأسبغ وأتم وأفاض، ثم لا يسعني بعد أن من ا تعالى علي بإنجاز هذه الأطروحة إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من أسهم في مساعدتي على إتمامها، وأخص بالذكر الدكتور حاتم جلال التميمي المشرف على الرسالة؛ لما قدمه من توجيهات قيمة وملاحظات هامة، كان لها أكبر الأثر فيما انتهى إليه البحث.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل للأستاذين الفاضلين: الدكتور إسماعيل الحاج أمين نواهضة، والدكتور عطية صدقي الأطرش، على تفضلهما بالموافقة على المشاركة في مناقشة هذه الأطروحة، وملحوظاتهما القيمة في تسديد هذا البحث وتقويمه.

وكذلك أتقدم بوافر الشكر والتقدير والامتنان لعدد من الأساتذة الفضلاء والإخوة الأكارم، بما قدموه لي من خدمات جليلة، ما كان لهذا البحث أن يتم ويستوي على سوقه بدونها، وأخص بالذكر أسرة مركز نون للدراسات القرآنية، وكل من بعث مرجعاً، أو قدم مشورة أو نصحاً، ومن ساعد في الطباعة أو الترجمة، أو أي نوع من العون، وهم حسب الترتيب الهجائي:

الدكتور أحمد الشرقاوي/ مصر، والأستاذ باسم البسومي، والأستاذ بهاء البكري، والأستاذ تمام الشاعر، والسيد ثائر غيث، والشيخ حسن عثمان، والدكتور حسين الدراويش، والدكتور خالد الحلو، والدكتور خالد علوان، والسيد خليل فرحان، والأستاذ رايق سمور، والأستاذ صابر زيادة، والدكتور صبحي اليازجي/ غزة، والدكتور صلاح الخالدي/ الأردن، والشيخ عبد الحي حسن السلوادي، والأستاذ عيسى وادي، والأستاذ فرج عبد الحسيب المالكي، والأستاذ محمود مهنا، والسيد محيي الدين الخطيب، والأستاذ نزار سليمان، والأستاذ نصر ا الشاعر، والمهندس نظمي الخطيب، والأستاذ يوسف دوفش، والسيد يوسف عواد.

مع الاعتذار لمن قد أكون أغفلت ذكره سهواً، سائلاً ا عز وجل أن يجزي الجميع خير الجزاء.

فهرست المحتويات

ملخص الرسالة

لما لم تتفق كلمة المفسرين منذ القديم على موضوع التناسب، وكان كثير منهم - وإن وافقوا على التناسب داخل الآية الواحدة، أو بين الآية وجارتها- إلا أنهم يعترضون على وجه أو أكثر من وجه التناسب القرآني، فكان منهم من اعترض على الوحدة الموضوعية في السورة، أو على التناسب بين اسم السورة وموضوعها، أو على التناسب بين السورة وجارتها، وصولاً إلى الوحدة الموضوعية في القرآن كله، وحيث إنه لا بد من قول فصل يبين وجه الحق في هذه المشكلة، فقد كانت هذه الدراسة في سورة البقرة، لتجلي القول وتحسم الخلاف وتحل الإشكال.

ولأجل ذلك فقد اتجهت الدراسة إلى الإجابة على عدد من الأسئلة المحددة للمشكلة، والتي أبرزها: هل يجد تناسب بين بداية السورة وخاتمتها، وهل من علاقة بين قصص السورة، وهل للسورة محور رئيس، وهل لاسمها ارتباط بمحورها، ومن ثم ما وجه اتصال سورة البقرة بالفاتحة التي تسبقها وآل عمران التي تليها، وما علاقتها بالسور التي لها البداية نفسها(الم)، وما مناسبتها للفلق نظيرتها في آخر المصحف، وهل يؤدي ذلك إلى أن القرآن جميعه يشكل وحدة متماسكة، وهل موقع البقرة في أول المصحف يعطيانها مركزية لما بعدها من السور؟.

وتكمن أهمية هذه الدراسة، في توضيح المعاني التي قد تلتبس في الآيات الكريمة، وفي تجليتها الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، بعد تأكيدها في كل سورة من سوره، وبالذات سورة البقرة موضوع الدراسة، ومن ثم يتأكد أن ترتيب سور القرآن الكريم كان توقيفياً، ويتجلى وجه عظيم من وجوه الإعجاز القرآن يؤكد ربانيته، ويرد على افتراءات المستشرقين.

وقد اتبع الباحث في دراسته، المنهج الوصفي الذي يجمع بين الاستقراء والتحليل للسورة الكريمة، وأحياناً الموازنة والترجيح بين الأقوال المختلفة.

ولذلك فقد قامت هذه الرسالة على أربعة فصول، حيث اضطلع الفصل الأول بالتعريف على شطري عنوان الأطروحة وهما سورة البقرة وموضوع التناسب، وعرض الفصل الثاني لأوجه التناسب وأنواعه في القرآن، ثم تحدث الفصل الثالث عن أوجه التناسب الداخلية في سورة البقرة، فيما تحدث الفصل الرابع والأخير عن أوجه التناسب الخارجية لسورة البقرة.

وقد خلصت الدراسة إلى الوحدة الموضوعية في سورة البقرة، والتي محورها الرئيس هو الخلافة، وأكدت الدراسة توقيفية ترتيب السور القرآنية، والوحدة العضوية في القرآن جميعه، وقد انتهت إلى أن الكثير من العلماء قد اهتموا بالتناسب، وكان أبرزهم الرازي والبقاعي.

وأهم التوصيات التي يراها الباحث، أن بعض العناوين الفرعية في هذه الدراسة تستحق أن تفرد بالبحث من مثل علاقة أسماء السور بمحاورها والتناسب بين السور التي لها ذات الفاتحة، وكذلك ضرورة الكتابة في نظرية التناسب عند كل من الرازي والبقاعي.

مقدمة

بسم ا ، ثم الحمد حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وبعد: ـ

فقد وصف ربنا تعالى، كتابه العزيز بأنه ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود] ، كما دعـا إلى تدبر القرآن للاستدلال من خلال هذا التدبر على ربانيته، إذ لـو ﴿كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء].

ومن هذا المنطلق؛ فقد كان العلماء والمفسرون الأجلاء، يقفون عند كل آية، وكل كلمة، وكل حرف فـي كتـاب ا ، ليتعرفوا الحكمة من وضعها في مواضعها التي هي فيها، ويبحثون عن علاقة هذه الآية بسابقتها ولاحقتهـا، ولم ذيلت هذه الآية بالعزيز الحكيم، وذيلت أختها بالغفور الرحيم ؟ ولماذا قال هنا: لعلكم تتقون، وقال هنـاك: لعلكم تتفكرون؟.

ولم يكتف العلماء بالحديث عن علاقة الآية بما قبلها وما بعدها، أو العلاقات داخل الآية الواحدة، وإنمـا كـانوا يتتبعون الخيط الذي يربط آيات السورة من أولها إلى آخرها، ومحورها الرئيس، وعلاقـة مطلعهـا بخاتمتهـا، واسمها بمحورها.

وتطرقوا في كتبهم إلى دراسة التناسب بين السورة والسورة التي تسبقها، وتلك التي تليها، بل والمناسـبة بـين السورة في أول المصحف ونظيرتها في آخره.

ولم يزل العلماء يتساءلون ويحاولون الإجابة، إلى أن غدا علم المناسبة علماً قائما بذاته، له أصـوله وقواعـده، وشرفه وأهميته؛ حتى قال الإمام البقاعي،[1]في (نظم الدرر): " فلذلك كان هذا العلم ـ يقصد علم المناسـبات ـ في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير؛ نسبة علم البيان من النحو"[2].

وأصبحنا نرى الكتب والأبحاث الكثيرة تحمل عناوين مثل: " الوحدة الموضوعية " في سورة كذا، أو سورة كذا، على اعتبار أن السورة وحدة واحدة.

---

(١) أبو الحسن، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (٨٠٩ ـ ٨٨٥ هـ)، من البقاع بسورية، سكن دمشق وبها تـوفي، مؤرخ أديب مفسر له: أخبار الجلاد في فتح البلاد، ومصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، وهذا التفسير. [**البـدر الطـالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ص٤٠-٤١، **الأعلام** ١ /٥٦].

(٢) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (٥/١) ، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٩٩٥م.

وقد جاء العلماء السابقون في هذا العلم بالكثير، سواء في كتب التفسير، أو علوم القرآن، وما تفرع منه من كتب الإعجاز القرآني، ومصنفات التناسب، وكان منهم من بنى تفسيره على علم المناسبة كالبقاعي، وفي العصر الحديث لقي هذا الموضوع اهتماما وعناية كبيرين من المفسرين والباحثين الذين أفادوا من علم القدماء وعلوم العصر، وأضافوا إليه.

ومع كل ذلك فإن النظرة الجزئية قد سيطرت على أغلب التفاسير وكتب علوم القرآن، حيث ركزت على طلب المناسبات بين الآية والتي قبلها والتي بعدها، ولم تتعمق في طلب الخيوط التي تربط بين أجزاء السورة، أو الروابط بين السور من بداية المصحف حتى نهايته، والتي تبرز وحدته العضوية.

ولما كان القرآن لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، فقد رغب الباحث أن يكون له سهم في هذا الخير، فيلتقط عدداً من درر السابقين ويضيف عليها بعضاً مما عسى أن يفتح الله تعالى عليه، ويعيد نظمها في عقد جديد، وقد وقع الاختيار على سورة البقرة لتكون موضوع الدراسة، علماً بأن اختيارها في البداية لم يكن إلا لأن الباحث، وقتها كان يدرس تفسيرها في بعض المساجد، وقد تجمع لديه الكثير من المناسبة بشأنها، حيث قرر القيام بالبحث، لمساق البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، في الفصل الأول من العام الجامعي٢٠٠٣/٢٠٠٤م.

سبب اختيار البحث:

لقد جاء اختياري لموضوع التناسب في سورة البقرة للأسباب الآتية:

١) أهمية الدراسات القرآنية عموماً، كونها أساس الدراسات العربية والإسلامية القديمة والمعاصرة.

٢) أهمية علم التناسب فهو اللحمة القرآنية التي ربما تخفى على كثير من العلماء.

٣) تتبع دراسة هذه الظاهرة عند العلماء.

٤) أن علم المناسبة علم إبداعي يمكن للباحث المتعمق فيه أن يتوصل إلى نتائج جديدة ومعطيات لم يسبق إليها، ومن ثم عدم التوقف عند ما كتبه السابقون في التناسب، ومن ذلك الإضافات الجديدة في علاقة اسم السورة بموضوعها، والتناسب بين قصص السورة، وعلاقة سورة البقرة بسورة الفلق، والتناسب بين السورة وموقعها في المصحف، والتناسب بين سورة البقرة وبقية السور الكريمة المفتتحة ب(ألم)، وغير ذلك.

5) أن سورة البقرة هي أطول سور القرآن وأكثرها تنوعا في الأحكام والقصص والأفكار، فإذا تأكدت فيها الوحدة الموضوعية، والتناسب بين أجزائها، وارتباط مطلعها بختامها، وغير ذلك من وجوه التناسب والارتباط؛ فإن تدبر التناسب في غيرها يغدو أيسر وأهون.

6) أن الكلام عن التناسب في سورة البقرة، قد جاء غالباً، مفرقاً في ثنايا كتب التفسير بحيث يحتاج إلى جمع وإبراز وإعادة تبويب، أو جاء بشكل موجز مختصر في سياق الحديث عن التناسب في القرآن الكريم جميعه بحيث يحتاج إلى دراسة تطبيقية على كل سورة منفردة، وهو هدف هذه الدراسة.

7) أن الباحث قد كتب في هذا الموضوع نفسه ضمن مساق " البحث العلمي وتحقيق المخطوطات"، بداية التحاقه ببرنامج الدراسات العليا بالجامعة، ثم عرض ما كتبه على عدد من العلماء والأساتذة الكرام، في الجامعة وخارجها، فلقي منهم كل تشجيع ودعم.

<u>مشكلات البحث وأسئلته:</u>

كان موضوع التناسب محل خلاف بين علماء التفسير ما بين مؤيد ومعارض، ومثله موضوع الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، حتى عند الذين يقولون بوجود التناسب بين الآيات، وكذلك لم تتفق كلمتهم على القول بالتناسب بين اسم السورة وموضوعها، ولا بالتناسب بين السور القرآنية وصولاً إلى الوحدة العضوية في القرآن جميعه.

ولذلك فإن هذه الرسالة تهدف إلى الإجابة عن عدد من الأسئلة، أهمها:

1) هل هناك تناسب بين مطلع السورة وخاتمتها؟ وهل ثم تناسب بين قصص السورة؟
2) هل تمثل سورة البقرة، على طولها، موضوعا مترابطاً؟
3) هل يوجد تناسب بين اسم السورة وموضوعها، من جهة، وبين موضوعها وفواصلها من جهة أخرى؟
4) هل ثم تناسب بين سورة البقرة وبين الفاتحة التي قبلها، وآل عمران التالية لها؟
5) ماعلاقة البقرة بالسور التي لها نفس الفاتحة:(الم)، وما علاقتها بسورة الفلق المناظرة لها.
6) هل لسورة البقرة علاقة بكل السور التالية لها لكونها بعد الفاتحة التي هي أم القرآن؟
7) ما وجه اتصال البقرة بواقع الدعوة الإسلامية؟

<u>أهمية البحث:</u>

1. إبراز الوحدة الموضوعية في السور القرآنية عموماً، وفي سورة البقرة بخاصة.
2. التأكيد على العلاقة الوثيقة بين اسم السورة القرآنية ومحورها الرئيس.
3. الاستعانة بعلم المناسبات في فهم المعنى، ودفع الإيهام وإزالة اللبس، والترجيح بين الأقوال المختلفة في التفسير.

٤. التأكيد على الترابط والتلاحم الوثيق بين سور القرآن الكريم وآياته من بدئه إلى نهايته.

٥. إبراز نوع مهم من أنواع الإعجاز القرآني، والتأكيد على أن هذا القرآن بتركيبه وترتيبه لا يمكن أن يكون بشري المصدر.

٦. الرد على مزاعم المشككين من المستشرقين وغيرهم، بعدم ترابط أجزاء النص القرآني.

٧. المساهمة في تجلية علم المناسبة وتأصيله، وتشجيع الكتابة فيه؛ لأهميته الكبيرة من علم التفسير والإعجاز القرآني.

منهجية البحث:

سأتبع في بحثي هذا المنهج الوصفي الذي يجمع بين الاستقراء والتحليل، وأحياناً التركيب، مع الموازنة والترجيح، حيث سأبدأ بدراسة جهود ثلة من العلماء في الموضوع لأسبر غورها محاولاً الوصول إلى تصور كلي، يكون منطلقاً لدراسة سورة البقرة دراسة توظف أقوال أهل التفسير، وتفيد من جهود الباحثين في الدراسات القرآنية عموماً، وتوظف القواعد التي جاءت متناثرة في ثنايا كلامهم، وتوازن بين مسالك العلماء وتختار ما يترجح من أقوالهم، وذلك وفق الخطوات الآتية:

١. الرجوع إلى أمهات المصادر في علم المناسبة، سواء في ذلك كتب التفسير، أو علوم القرآن وفروعه من مصنفات الإعجاز القرآني، أو تلك التي تخصصت في موضوع التناسب.

٢. . الموازنة والترجيح بين أقوال العلماء.

٣. الزيادة على تلك الأقوال بإضافة لبنات جديدة إلى جهود السابقين، مما لم يتطرقوا إليه.

٤. عزو الأقوال إلى أصحابها، وبيان أوجه التشابه والاختلاف بين أقوال العلماء في النقطة الواحدة.

٥. عزو الآيات الكريمة إلى السور مع ذكر الرقم ملاصقاً لنص الآية.

٦. تخريج الأحاديث الشريفة من مصادرها الأصلية، وإذا كان الحديث في غير الصحيحين فألتزم بيان درجة صحته، ولا أستشهد بحديث ضعيف.

٧. ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في الرسالة وعزو الأمثال إلى مصادرها.

الدراسات السابقة

بعد البحث والسؤال لم يظهر لي أن أحداً قد كتب في هذا الموضوع بالشكل الذي كتبت فيه، مع العلم بأن هناك كتابات قيمة عديدة تناولت موضوع المناسبة وعلى رأسها كتاب" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي، و"تناسق الدرر في ترتيب السور " لجلال الدين السيوطي[1].

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي الشافعي، (٨٤٩ - ٩١١هـ): إمام حافظ مؤرخ أديب وعالم موسوعي، له نحو ٦٠٠ مصنف منها (ترجمان القرآن، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، وتاريخ أسيوط، والحاوي للفتاوي، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة وغيرها) .[الأدنروي، **طبقات المفسرين**،٣٦٥-٣٦٦، **الأعلام**،١/ ٣٠١-٣٠٢].

وبعدما قطع الباحث شوطاً لا بأس به في الرسالة، تهيأ له الاطلاع على كتاب " البرهان في نظام القـرآن فـي الفاتحـة والبقرة وآل عمران"[١]، للباحث الهندي محمد عناية ا أسد سبحاني، وأصله أطروحة لنيل الدكتوراه من جامعـة الإمـام محمد بن سعود، وعلى الرغم من القيمة العلمية للرسالة والجهد المبذول فيها، لكنها لم تتطرق إلى العديد من العناوين التي اهتمت بها هذه الدراسة، فضلاً عن أن دراسته قد اتجهت أكثر إلى الجانب التفسيري، ومحاولة الوصول إلى أصح الفهـوم للآيات الكريمة من وجهة نظره، انطلاقاً من نظم السورة وسياق الآيات.

ومن وجهة نظر الباحث، فإن الدكتور أسد سبحاني قد فوت على نفسه الكثير من الفائدة التي تضمنها تفسير البقاعي، بل صار أكبر همه أن يثبت خطأ البقاعي في المنهج والنتائج؛ لمجرد أن هناك من اعترض على موضوع رسالته بالقول: وماذا عساك أن تضيف إلى ما ذكر البقاعي في الباب؟![٢] وكان يكفيه في الرد التذكير بأن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا ينفد معينه، ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف].

وقد تيسر للباحث نسخة محققة من تفسير البقاعي خاصة بسورتي الفاتحة والبقرة، للدكتور إسماعيل نواهضة[٣]، وهي في الأصل أطروحته للدكتوراه، كان أهداها الدكتور الفاضل إلى مركز نون للدراسات القرآنية بالبيرة، وقد رجعتُ إليها مراراً للتحقق من بعض العبارات الواردة في الطبعة التجارية لنظم الدرر والصادرة عن دار الكتب العلمية، لكن لم أجعلها المرجع الأساس لأنني اقتبست كثيراً من مواضع متعددة في (نظم الدرر) سوى سورتي الفاتحة والبقرة، ولم أشأ أن أقع أو أوقع غيري في الارتباك جراء التردد بين نسختين مختلفتين من كتاب واحد.

وهناك دراسات أخرى تخصصت في سورة البقرة، لكن بعيدا عن علم المناسبة، ومن ذلك "النظم فـي سـورة البقـرة"، للدكتور حسين الدراويش[٤]، وهي أطروحة دكتوراه في اللغة العربية من الجامعة الأردنية، و"الروابط اللفظية في سـورة البقرة"[٥]، وهي رسالة ماجستير في كلية الآداب بجامعة القدس من إعداد الطالبة رهام يعقوب طقّش، وكلتا الرسـالتين –

---

(١) سبحاني، محمد عناية ا أسد، **البرهان في نظام القرآن، في الفاتحة والبقرة وآل عمران**، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٢) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص٢٧).

(٣) نواهضة، إسماعيل الحاج أمين، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: دراسة وتحقيق للمقدمة وسورتي الفاتحـة والبقـرة**، أطروحة دكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٤) الدراويش، حسين، **النظم القرآني في سورة البقرة**، دراسة في الدلالة والأسلوب، رسالة دكتوراه، في اللغة العربيـة وآدابهـا، الجامعة الأردنية، ١٩٨٦م.

(٥) طقش، رهام يعقوب، **الروابط اللفظية في سورة البقرة**، دراسة نحوية دلالية إحصائية، رسالة ماجستير فـي اللغـة العربيـة وآدابها، جامعة القدس، ٢٠٠٣م.

على أهميتهما، وإمكانية تقاطعهما نظرياً مع الموضوع - لكنهما في ميدانين مختلفين عن التناسب، وكما سبق القول فإنه حتى الدراسات والكتابات التي اهتمت بالتناسب فإنها لم تتطرق إلى عدة جوانب تناولتها هذه الرسالة.

الصعوبات التي واجهت البحث:

لعل من أبرز الصعوبات التي واجهت الباحث في مثل هذا الموضوع اتساع مادته، وتشتت مباحثه ودقة مسائله؛ مما يستدعي البحث في كتب التفسير، وعلوم القرآن، وما يتفرع عنها من كتب الإعجاز والمناسبة، وغيرها.

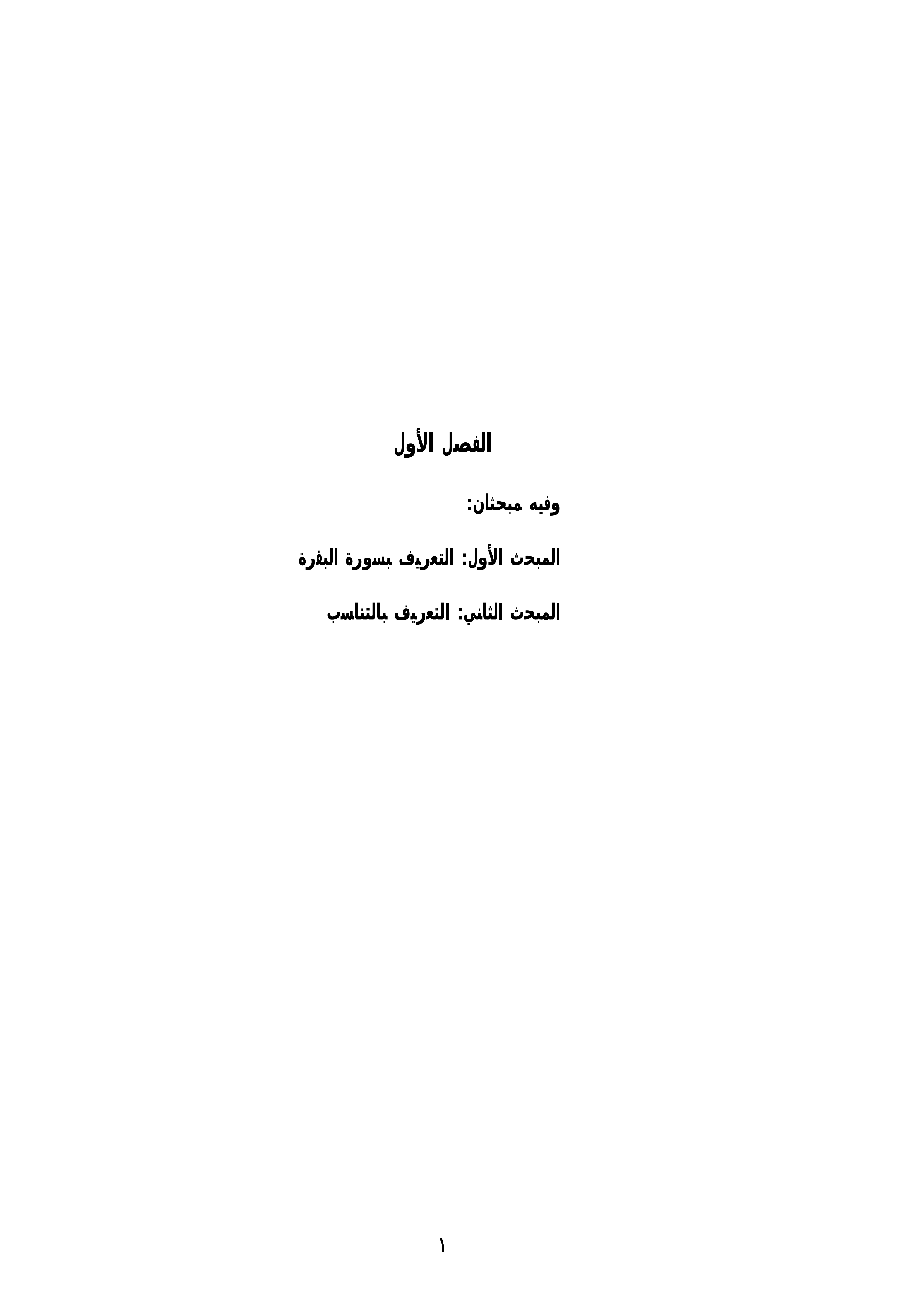
وكذلك صعوبة الوصول إلى بعض مراجعه القديمة التي لم تطبع منذ زمن بعيد ، أو الكتابات الحديثة التي طبعت في بعض البلدان ولم تصل إلينا، وأيضاً بعض الرسائل الجامعية التي ما زالت حبيسة رفوف المكتبات، وقد أمكن التغلب على كثير من ذلك بفضل ا تعالى، حيث قيض سبحانه عدداً من الإخوة والسادة الأكارم، فتفضلوا بإعطاء الباحث أطروحاتهم، أو ما عندهم من هذه المراجع، أو بعثه بالبريد الإلكتروني، أو تجشموا مشقة البحث عن عدد آخر منها، وجلبه حتى من قطاع غزة والأردن ومصر وسوريا والسعودية.

ثم إن طول سورة البقرة والحجم الكبير الذي تحتله في كتب التفسير، ودراسة موضوع التناسب في الإطار الذي اخترته يحتاج إلى جهد دؤوب وعمل متواصل، أحمد ا تعالى أن أعانني عليه ووفقني لإتمامه.

محتويات البحث:

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وأربعة فصول، كان أولها للتعريف بشطري عنوان الأطروحة، والثاني للحديث عن أوجه التناسب القرآني وأنواعه، والفصل الثالث لأوجه التناسب الداخلية في سورة البقرة، فيما تحدث الفصل الرابع عن أوجه التناسب الخارجية في السورة الكريمة، وختمته بالخلاصة والتوصيات، والمسارد والفهارس، ثم ملخصاً باللغة الإنجليزية، وذلك على نحو ما تقدم في فهرست الموضوعات.

ولما كان هذا البحث لُحمته وسَداه الآيات القرآنية الكريمة، وإلحاق مسرد بالآيات، يحتاج، في تقدير الباحث، إلى ما لا يقل عن خمس وعشرين صفحة، فإنني لم ألحق مسرداً بالآيات الكريمة، وإنما اكتفيت بمسرد الأحاديث الشريفة، وفهارس الموضوعات والمصادر والأعلام الواردة في البحث.

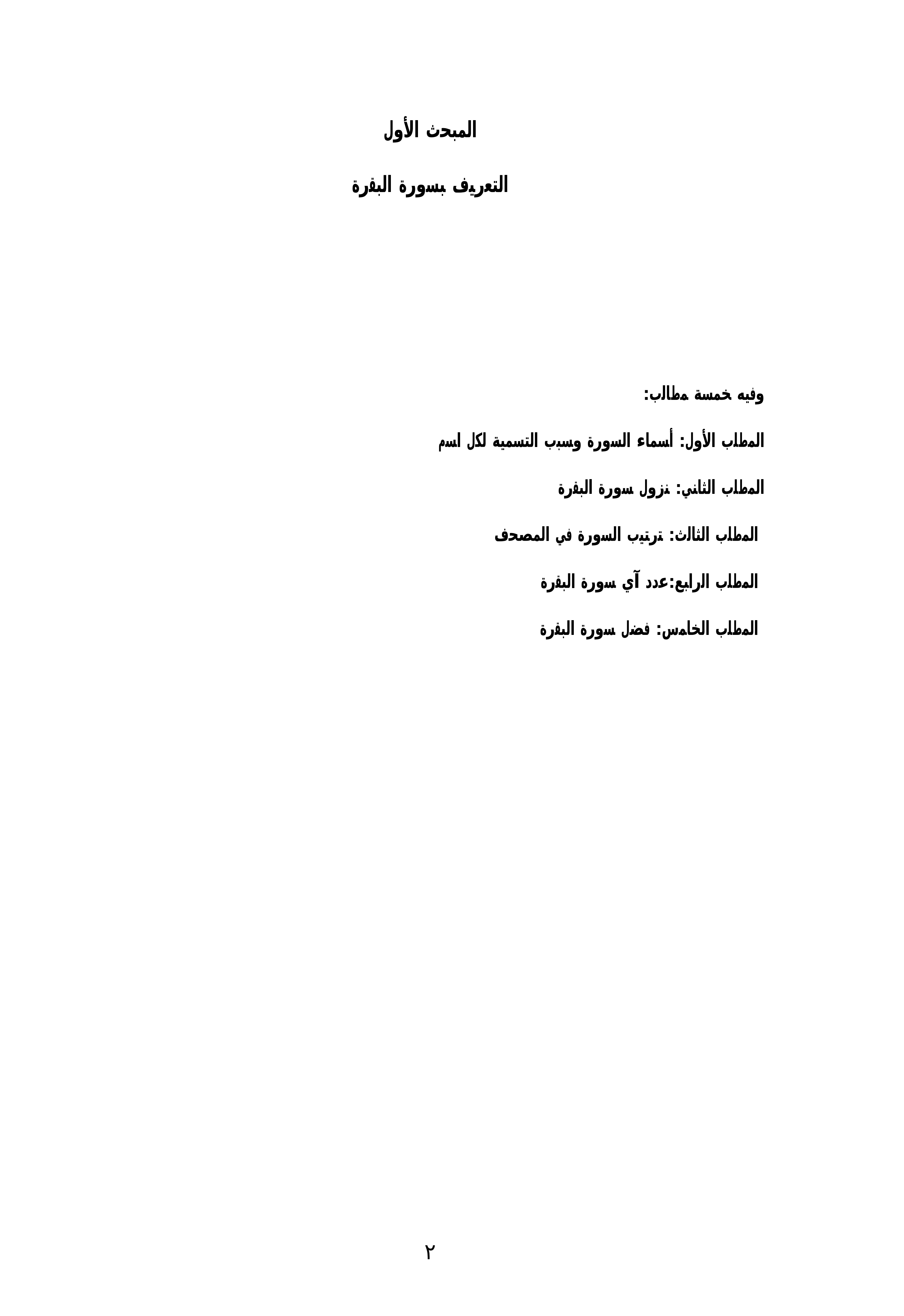


الفصل الأول

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بسورة البقرة

المبحث الثاني: التعريف بالتناسب



المبحث الأول

التعريف بسورة البقرة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة وسبب التسمية لكل اسم

المطلب الثاني: نزول سورة البقرة

المطلب الثالث: ترتيب السورة في المصحف

المطلب الرابع:عدد آي سورة البقرة

المطلب الخامس: فضل سورة البقرة

المطلب الأول

أسماء السورة وسبب التسمية لكل اسم

أسماء السور، المثبتة في المصاحف، هي، على الأرجح توقيفية، أي ثبتت بالوحي؛ وفي ذلك يورد السيوطي أنه قد " ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار"[(١)]. بل إن أستاذنا الدكتور فضل عباس ليذهب إلى أنه من المستبعد عقلاً أن لا يكون لكل سورة اسم خاص تعرف به في عهد النبي ﷺ [(٢)].

ويجدر التنويه إلى أن بعض الأسماء أشهر من بعض، وألصق بالسور من غيرها، فضلاً عن أن بعض الأسماء توقيفية، وبعضها اجتهادي وأشبه بالأوصاف والألقاب وما تتسم به بعض السور، مما أطلقه الصحابة الكرام، أو من بعدهم على هذه السورة أو تلك، تنويها بفضلها، أو إبرازاً لجليل معانيها.

وفيما يتعلق بسورة البقرة موضوع هذه الدراسة، فإن لها من الأسماء، سوى البقرة: سنام القرآن، و فسطاط القرآن، وهي مع سورة آل عمران الزهراوان، وفيما يأتي بيان لكل اسم وسبب التسمية به:

١) **البقرة**: سميت السورة بهذا الاسم لقصة البقرة الواردة فيها، حيث قتل في بني إسرائيل قتيل، فأمرهم الله تعالى على لسان موسى ﷺ أن يذبحوا بقرة، وبعد كثير من المماطلة والتلكؤ ذبحوها، فأمروا أن يضربوا جسم القتيل ببعض البقرة، فأحياه الله تعالى، وأخبر عن قاتله، وذلك في الآيات الكريمة من (٦٧ ـ ٧٤).

٢) **الزهراء**: ففي الصحيح عن أبي أمامة الباهلي[(٣)] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقُولُ: (اقْرءوا الْقُرآن فَإِنه يأْتي يوم الْقيامة شَفيعا لِأَصحابِه، اقْرءوا الزهراوينِ الْبقَرةَ وسورةَ آل عمران فَإِنهما تأْتيانِ يوم الْقيامة كَأَنهما غَمامتَانِ أَو كَأَنهما غَيايتَانِ أَو كَأَنهما فرقَانِ من طَيرٍ صواف تُحاجانِ عن أَصحابِهما، اقْرءوا سورةَ الْبقَرة فَإِن أَخْذَها بركَةٌ وتَركَها حسرةٌ ولَا تَستَطيعها الْبطَلَةُ)[(٤)].

---

(١) السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**: (١/١١٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) عباس، فضل حسن، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، (١/٤٤٧)، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) هو صديّ بن عجلان بن وهب الباهلي،(ت ٨١هـ)، صحابي شهد مع الرسول جميع الغزوات سوى بدر، آخر من مات من الصحابة بالشام، له في الصحيحين ٢٥٠ حديثاً.[ابن الأثير،**أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ٣٧٥/٤، **الأعلام**، ٣٠٣/٣].

(٤) مسلم بن الحجاج، **الصحيح**، كتاب صلاة المسافرين، رقم: (٨٠٤، ٨٠٥)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

وأصل الزهر: الحسن والضياء والصفاء، والزهرة: النجم المعروف، والأزهر: القمر، وزهـرت النـار: بمعنى أضاءت[1]، والزهراوان:" النّيرتان، مأخوذ من الزهر والزهرة: فإما لهدايتهما قارئهما بما يزهر لـه من أنوارهما، أي من معانيهما، وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامـة"[2]، والغيايتـان والغمامتان: كل ما أظل الإنسان من فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما، والمـراد أن ثوابهمـا يـأتي كغمامتين[3].

٣) سنام القرآن: عن ابن مسعود[4]، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:(إن لكل شيء سـناماً، وسـنام القرآنِ سورةُ البقرة، وإن الشيطان إذا سمع سورةَ البقرة تُقرأُ خرج من البيت الذي يقرأُ فيـه سـورةُ البقرة)[5].

وسنام كل شيء أعلاه[6]، وسورة البقرة سنام القرآن" إما لطولها واحتوائها على أحكام كثيرة، أو لمـا فيها من الأمر بالجهاد، وبه الرفعة الكبيرة"[7].

٤) فسطاط القرآن: كما كان يسميها خالد بن معدان[8]،" وذلك لعظمها ولما جمع فيها من الأحكام التي لـم تذكر في غيرها"[9]، والفسطاط: البيت من الشعر[10].

---

(١) ابن فارس، **معجم المقاييس في اللغـة**، (ص٤٦٢- ٤٦٣)، حققه شهاب الـدين أبـو عمـرو، دار الفكـر، بيـروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، (٥/٤)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) النووي، **شرح صحيح مسلم**،(٩٠/٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

(٤) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب(٣٢هـ)، أبو عبد الرحمن الهذلي الإمام الحبر فقيه الأمة، من السابقين الأولين، أول من جهر بالقرآن، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً وجميع الغزوات. [انظر:ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد ، **أسـد الغابـة فـي معرفة الصحابة** (٧٤/٣)، والذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، **سير أعلام النـبلاء**(٤٦١/١)، حقـق بإشـراف، شـعيب الأرناؤوط وأكرم البوشي].

(٥) رواه الحاكم في كتاب فضائل القرآن، (٥٦١/١)، والبيهقي في شعب الإيمان(٤٥٢/٢)، رقم(٣٢٧٧)، وذكره الألباني، محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة** (١٣٥/٢)، حديث رقم(٥٨٨)، مكتبـة المعـارف، الريـاض، د.ط، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٦) ابن منظور الإفريقي،أبو الفضل جمال الدين بن محمد، **لسان العرب**: مادة سنم(٣٠٦/١٢-٣٠٨)، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ.- ١٩٩٤م.

(٧) المباركفوري، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**: (١٨١/٨)، المكتبة الـسلفية، المدينـة المنورة، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٨) خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي(ت١٠٤هـ)، تابعي، ثقة، أصله من اليمن، وإقامته في حمص، تولى شرطة يزيد بـن معاوية، [**ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق**، ١٨٩/١٦-٢٠٥، **الأعلام**،٢٩٩/٢].

(٩) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن** (١١٩/١).

(١٠) الرازي، محمد ابن أبي بكر، **مختار الصحاح**، (ص٢٤٩)، دار عمار، عمان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

المطلب الثاني

نزول سورة البقرة

يذكر الدكتور صلاح الخالدي أن" ترتيب السور حسب النزول ليس دقيقاً في مجمله، ومن ثم ليس يقينياً ولا يمكن الجزم به، لعدم وجود أدلة صحيحة موثوقة يعتمد عليها في ذلك، ويمكن أن نأخذ بعض الأقوال في الترتيب التاريخي من باب الاستئناس لا من باب الجزم واليقين"[(١)].

وعلى أية حال؛ فإن سورة البقرة بحسب النزول – على ما اشتهر- هي السورة السادسة والثمانون، وهي أول سورة نزلت بالمدينة المنورة، بعد الهجرة. وقد نزل قبلها في مكة خمس وثمانون سورة، كما ذكر الزركشي[(٢)] في كتاب البرهان[(٣)]. وقال أبو عمرو الداني[(٤)]، بعدما أورد السور التي أنزلت بمكة:" فذلك ما أنزل عليه ﷺ بمكة، خمس وثمانون سورة ... وأنزل عليه بعدما قدم المدينة سورة البقرة، ثم آل عمران، ثم الأنفال..)[(٥)] وقد نقل السيوطي هذا القول، وقول من قال أنه قد نزل بعد البقرة سورة الأنفال ثم آل عمران[(٦)]. وهو أولى بالصواب لأن الأنفال نزلت في غزوة بدر، وآل عمران تحدثت عن أُحد، وبدر قبل عام من أُحد.

وإذا كانت الروايات في عمومها تفيد أن سورة البقرة نزلت بعد الهجرة، فإن هناك حديثاً يستثني خواتيم سورة البقرة، ويؤكد أنها نزلت ليلة الإسراء والمعراج؛ أي في العهد المكي وفق المشهور من أقوال العلماء[(٧)].

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **التفسير الموضوعي، بين النظرية والتطبيق**، (ص٢٣٩)، دار النفائس، عمان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) هو بدر الدين أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ) تركي الأصل، المصري المولد والوفاة ،من العلماء الأصوليين على الفقه الشافعي. له(إعلام الساجد أحكام الساجد، والإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة، والديباج في توضيح المنهاج)، [انظر: **شذرات الذهب** ٣٣٥/٦، **طبقات الداودي**، ١٥٧/٢-١٥٨، **الأعلام** ٦/ ٦٠ـ ٦١].

(٣) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، (١/ ٢٥٠ـ ٢٥١).

(٤) هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمر الأموي القرطبي(٣٧١- ٤٤٤هـ)، والداني نسبة إلى دانية في الأندلس، كان إماماً في علم القراءات، والتفسير وإعراب القرآن وطرقه، وله معرفة بالحديث ورجاله، من تصانيفه: "جامع البيان " في القراءات السبع، و" المقنع في رسم المصاحف ونقطها"، و " الاهتدا في الوقف والابتدا".(ابن بشكوال: **الصلة** ٥٩٢/٢-٥٩٣، **طبقات الداودي**، ٣٧٣/١-٣٧٦).

(٥) الداني، أبو عمرو، **البيان في عد آي القرآن**، (ص ١٣٦)، تحقيق الدكتور غانم قدوري حمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٦) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٢٠/١).

(٧) العمري، أكرم ضياء، **السيرة النبوية الصحيحة**، (١٨٨/١-١٨٩)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٥، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

حيث روى ابن مسعود رضي ا عنه: (لَما أُسرِي بِرسول الله ﷺ انْتُهي بِه إِلَى سدرة الْمنْتَهـى، وهـي فـي السماء السادسة إِلَيها ينْتَهي ما يعرج بِه من الأَرضِ فَيقْبض منْها وإِلَيها ينْتَهي ما يهبطُ بِه من فَوقها فَيقْبض منْها، قَالَ إِذْ يغْشَى السدرةَ ما يغْشَى، قَالَ فَراشٌ من ذَهبٍ، قَالَ فَأُعطي رسولُ الله صلى الله علَيه وسلم ثَلاثًا أُعطـي الصلَوات الْخَمس وأُعطي خَواتيم سورة الْبقَرة وغُفر لِمن لَم يشْرِك بِالله من أُمته شَيئًا الْمقْحماتُ)[1].

وصفوة القول أن سورة البقرة هي أول ما نزل بعد الهجرة، واستمر نزولها حتى نهاية العهد المدني، حيث نزلت الآية (٢٨١) منها، والتي هي على الراجح آخر آية في القرآن، كما نزل قبيلها آيات الربا، فيما تقدمت خـواتيم السورة سائرها فنزلت قبيل الهجرة، لكن غالب آيات السورة قد نزل في بدايات الهجرة.

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، رقم(١٧٣).

المطلب الثالث

ترتيب السورة في المصحف

البقرة هي السورة الثانية في المصحف العثماني، بعد الفاتحة وقبل آل عمران. وهذا الترتيب -على الراجح من أقوال العلماء - ليس باجتهاد الصحابة، رضوان الله عليهم، وإنما هو توقيفي بتوجيه الرسول ﷺ وحياً؛ وبالأخص في العرضة الأخيرة، ويكفي دليلاً على هذا القول أنه متواتر حفظاً وكتابة؛ تناقلته الأمة من لدن الرسول ﷺ وحتى يومنا هذا.

حيث يقول الإمام البغوي[1] إن " الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً. إنهم كتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف من جبريل - صلوات الله عليه – إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في السورة التي يذكر فيها كذا؛ فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة"[2].

ويؤكد الدكتور فضل عباس أن:" ترتيب السور في كتاب الله تعالى توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه، فكما أن الآيات كانت بترتيب أخذه النبي ﷺ عن جبريل عن الله رب العالمين، فإن ترتيب السور كذلك. هذا هو مذهب الجمهور، وليس كما ذكر السيوطي – رحمه الله – من أن مذهبهم أن ترتيب السور اجتهادي" [3].

---

(١) أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي،(٤٣٦- ٥١٦هـ)، من خراسان، كان إماماً في الفقه والتفسير والحديث، له: معالم التنزيل، في التفسير، والتهذيب في الفقه، والجمع بين الصحيحين.[انظر:، **طبقات السيوطي،** ص: ٤٩-٥٠، **طبقات الأدنروي،** ص:١٥٨-١٦٠].

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود، **شرح السنة،**(٥٢١/٤-٥٢٣)، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) عباس، **إتقان البرهان،** (٤٤٩/١)، وكلام السيوطي المشار إليه في: **الإتقان في علوم القرآن،** (١٣٥/١).

المطلب الرابع

عدد آي سورة البقرة

قال أبو عمرو الداني[1]:" وهي مئتا آية وثمانون وخمس آيات في المدنيين والمكي والشامي، وست في الكـوفي، وسبع في البصري، وقد ذكر الداني أن الاختلاف وقع في إحدى عشرة آية:

١) ﴿ ألم﴾[١]؛ عدها الكوفي ولم يعدها الباقون.

٢) ﴿ عذاب أليم﴾[١٠]؛عدها الشامي ولم يعدها الباقون.

٣) ﴿ مصلحون ﴾[١١]؛ لم يعدها الشامي وعدها الباقون.

٤) ﴿ إلا خائفين ﴾[١١٤]؛ عدها البصري ولم يعدها الباقون.

٥) ﴿ يا أولي الألباب ﴾[١٩٧]؛ لم يعدها المدني الأول والمكي، وعدها الباقون.

٦) ﴿ من خلاق﴾[٢٠٠]؛ الثاني لم يعدها المدني الأخير، وعدها الباقون. تراجع في الكتاب وغيره.

٧) ﴿ ماذا ينفقون ﴾[٢١٩]؛ الثاني عدها المدني الأول والمكي، ولم يعدها الباقون.

٨) ﴿ لعلكم تتفكرون﴾[٢١٩]؛ الأول عدها المدني الأخير والكوفي والشامي، ولم يعدها الباقون.

٩) ﴿ قولاً معروفاً﴾[٢٣٥]؛ عدها البصري ولم يعدها الباقون.

١٠) ﴿ الحي القيوم﴾[٢٥٥]؛ عدها المدني الأخير والمكي والبصري، ولم يعدها الباقون.

١١) ﴿ من الظلمات إلى النور﴾[٢٥٧]؛ عدها المدني الأول ولم يعدها الباقون.

ويجدر التنويه إلى أن الخلاف في العدّ ليس زيادة أو نقصاً في نصوص الآيات؛ فإن من أسبابه الخلاف في احتساب البسملة آية أو عدم احتسابها، وكذا الخلاف في حروف الفواتح أيها آية وأيها بعض آية، كمـا قـد تقسم آية طويلة إلى آيتين، أو تدمج آيتان قصيرتان وتحسبان آية، حيث كان الرسولﷺ يقف غالبـاً علـى رؤوس الآي، لكنه ربما وقف قبل داخل الآية فيظن الصحابي أن موضع وقوفه ﷺ رأس آية.

---

(١) الداني، أبو عمرو، **البيان في عد آي القرآن**، (ص ١٤٠).

المطلب الخامس

فضل سورة البقرة

وردت عدة أحاديث وآثار، في فضل سورة البقرة، وخواتيمها وآية الكرسي، منها:

ـ عن النواس بن سمعان[1] قال: سمعت رسول ا ﷺ يقول :(يؤْتَى بِالْقُرآنِ يوم الْقيامة وأَهله الـذين كـانُوا يعملُون بِه تَقْدمه سورةُ الْبقَرة وآلُ عمران وضرب لَهما رسولُ الله ﷺ ثَلاثَةَ أَمثَالٍ ما نَسيتُهن بعد قَـالَ كَأَنهمـا غَمامتَانِ أَو ظُلَّتَانِ سوداوانِ بينَهما شَرقٌ أَو كَأَنهما حزقَانِ من طَيرٍ صواف تُحاجانِ عن صاحبِهِما)**[2]**.

ـ وعن أبي بن كعب[3]؛ أن النبي ﷺ قال: (يا أَبا الْمنْذرِ، أَتَدرِي أَي آية من كتَابِ الله معك أَعظَم؟ قَالَ: قُلْـتُ الله ورسولُه أَعلَم، قَالَ: يا أَبا الْمنْذرِ، أَتَدرِي أَي آية من كتَابِ الله معك أَعظَم؟ قَالَ قُلْتُ الله لا إِلَه إِلا هو الْحي الْقَيوم قَالَ فَضرب في صدرِي وقَالَ والله لِيهنك الْعلْم أَبا الْمنْذرِ)[4].

ـ وعن ابن عباس قال :(بينَما جِبرِيلُ قَاعد عنْد النبِي ﷺ سمع نَقيضا من فَوقه فَرفَع رأْسه فَقَالَ هذَا باب مـن السماء فُتح الْيوم لَم يفْتَح قَطُّ إِلا الْيوم فَنَزلَ منْه ملَك فَقَالَ هذَا ملَك نَزلَ إِلَى الْأَرضِ لَم ينْزِلْ قَطُّ إِلا الْيـوم فَـسلم وقَالَ أَبشر بِنُورينِ أُوتيتَهما لَم يؤْتَهما نَبِي قَبلَك فَاتحةُ الْكتَابِ وخَواتيم سورة الْبقَرة لَن تَقْرأَ بِحـرف منْهمـا إِلا أُعطيتَه)[5].

ـ وعن أبي مسعود البدري[6]: قال رسول ا ﷺ: (الآيتَانِ من آخرِ سورة الْبقَرة من قَرأَهما في لَيلَة كَفَتَاه)[7].

ـ وعن عبد ا بن مسعود، قال ﷺ: (إن لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة)[1].

---

(1) هو: النواس بن سمعان بن صعصعة العامري، له ولأبيه صحبة، سكن الشام [**الإصابة** ٤٧٨/٦، **تهذيب التهذيب** ٥٤٤/٤، **أسد الغابة** ٤٦٠/١-٤٦١].

(2) **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، (رقم ٨٠٤، ٨٠٥).

(3) أبي بن كعب بن قيس الخزرجي الأنصاري،(ت٢٢هـ) من كتاب الوحي، شهد بدراً والمشاهد كلها، من اللجنة التـي كلفهـا عثمان بنسخ القرآن [**أسد الغابة** ٥٧/١-٥٨، **الأعلام** ٨٢/١].

(4) **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، رقم: (٨١٠).

(5) **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، رقم: (٨٠٦).

(6) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة، أبو مسعود الأنصاري البدري(ت٤٠هـ)، سكن بدراً، وشهد موقعتها كما قال البخاري، أقام في الكوفة، واستخلفه عليٌّ عليها لما سار إلى صفين.[**أسد الغابة** ٣١٨/٧، **فتح الباري** ٥٥/٩].

(7) البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع الـصحيح**، كتاب المغازي رقم:(٤٠٠٨)، وكتاب فضائل القرآن رقم:(٥٠٠٨، ٥٠٤٠، ٥٠٥١)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المـسافرين، رقـم(٨٠٧، ٨٠٨).

ـ وعن أبي هريرة[2] – رضي ا عنه – أن رسول ا ﷺ قال: (لا تَجعلُوا بيوتَكُم مقَابِر، إِن الشيطَان ينْفر من الْبيت الذي تُقْرأُ فيه سورةُ الْبقَرة)[3].

ـ وروى كثير بن عباس[4] عن أبيه أن الرسول ﷺ قال له عندما ولى المسلمون يوم حنين: (يا عبـاس! نـاد قل: يا أصحاب السمرة، يا أَصحاب سورة الْبقَرة)[5].

ـ وعن عثمان بنِ أبي العاصِ[6]: (استعملني رسولُ ا ـ ﷺ وأنا أصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف وذلـك أني كنتُ قرأتُ سورةَ البقرةَ فقلتُ يا رسولَ ا ـ إنّ القرآن ينفلتُ مني فوضع يده على صدري وقالَ يا شـيطان اخرج من صدرِ عثمان فما نسيتُ شيئاً أريد حفظَه)[7].

---

(١) الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**،(رقم ٥٨٨)، سبق تخريجه.

(٢) عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة (ت٥٩هـ)، أسلم سنة سبع للهجرة، لزم الرسول ﷺ وكان من أكثر الصحابة حفظـا للحديث ورواية له، استعمله عمر على البحرين، وكانت وفاته بالمدينة.[**أسد الغابة** ١١٩/٥-١٢٠، **الأعلام** ٣٠٨/٣].

(٣) مسلم، في كتاب صلاة المسافرين، رقم:(٧٨٠).

(٤) كثير بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم الرسولﷺ، ولد قبل وفاته بأشهر، كان فقيها فاضلاً.[ابن الأثير، **أسد الغابة** ٥١٩/٣].

(٥) مسلم، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم (١٧٧٥).

(٦) عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي،(ت ٥٥هـ)، أسلم في وفد ثقيف فاستعمله النبي على الطائف، وأقره أبو بكر وعمـر، وحين همت ثقيف بالارتداد قال لهم : يا معشر ثقيف كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أولهم ارتداداً، له أحاديث في البخاري ومسلم،[**أسد الغابة** ٢١٢/٣-٢١٣،**سير أعلام النبلاء**، ٢/ ٣٧٤- ٣٧٥].

(٧) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣٠٨/٥)، وابن ماجة، (٣٥٤٨)، وذكره الألباني، **السلسلة الصحيحة**، (١٠٠١/٦).

المبحث الثاني

التعريف بالتناسب

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات.

المطلب الثاني: القائلون بالتناسب والمشتغلون به.

المطلب الثالث: المعارضون والرد على اعتراضاتهم.

المطلب الرابع: أهمية علم المناسبات.

المطلب الأول

التعريف بعلم المناسبات

التناسب لغة:

النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب سمّي لاتصاله وللاتصال به[1].

والنسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان: نسب بالطول؛ كالاشتراك بين الآباء والأبناء، ونسب بالعرض؛ كالنسبة بين بني الإخوة وبني الأعمام، قال:﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾[الفرقان:٥٤][2].

والنسب: القرابة، وقيل: هو في الآباء خاصة، وناسبه: أي شركه في نسبه[3].

ومن المجاز: المناسبة المشاكلة[4]، أي المماثلة والمشابهة والموافقة، تقول: هذا شكل هذا أي مثله[5] ومن أشبه أباه فما ظلم[6].

و يستخلص مما سبق الآتي:

١) أن النسب هو العلاقة التي تربط الفرع بأصله، أي الأبناء بآبائهم وأمهاتهم، لكنه غلب في ذكر انتماء الولد لأبيه ثم قبيلته للفخر، ولكون الأبوة أهم لأنها قد تكون موضع شك فتحتاج إلى إثبات، بعكس الأمومة.

٢) والفروع المنبثقة عن أصل واحد بينها مناسبة، أي شراكة في النسب، وذلك مدعاة للتماثل والتشابه، ولذلك جاء المعنى المجازي للمناسبة بأنه المشاكلة بمعنى المشابهة، وإن كانت المناسبة لا تقتضي بالضرورة المشابهة، حيث الأهم فيها هو وجود الرابطة والصلة.

---

(١) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، (ص١٠٢٥)، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، (ص ٥٤٥)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة نسب، (٧٥٥/١-٧٥٦).

(٤) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**،(٤٣٠/٢) تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، د. ط، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٥) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ص ٥٣٣).

(٦) الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري، **مجمع الأمثال**، (رقم ٤٠١٩)، (٣٥٥/٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

التناسب في الاصطلاح:

عرف البقاعي علم المناسبات القرآني بأنه: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائـه إلـى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال"[(١)].

وعند القاضي أبي بكر بن العربي[(٢)]، هو:" ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني"[(٣)].

وعرفه الفراهي[(٤)] الذي أطلق عليه اسم (النظام) بالقول:" ومرادنا بالنظام أن تكون السورة وحدة متكاملـة، ثـم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة،.....وعلى هذا الأصل، ترى القرآن كله كلاماً واحـداً، ذا مناسـبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر"[(٥)].

ومن التعريفات الاصطلاحية السابقة للمناسبة تُلاحظُ الأمور الآتية:

١) الاتصال الوثيق بين التناسب والبلاغة؛ إذ هو "سر البلاغة" كما يؤكد البقاعي، فإذا كانت المناسبة عنـد البلاغيين هي ترتيب المعاني المتآخية[(٦)]، فإن علم التناسب هو معرفة علل ترتيب الأجزاء. بـل لقـد عرف بعضهم البلاغة بأنها التناسب أو حسن النظام المرادف له عند أهل الاختصاص ، فهي:" القـوة على البيان مع حسن النظام[(٧)]"، فقال:" أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقـل مجـازه، وكثـر إعجـازه، وتناسبت صدوره وأعجازه[(٨)].

---

(١) البقاعي ،**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (٥/١).

(٢) محمد بن عبد ا المعافري، المالكي، أبو بكر بن العربي،(٤٦٨- ٥٤٣هـ)، كان أبوه من فقهاء إشبيلية، لقـي أبـا حامـد الغزالي بالشام وسمع من علماء بغداد، ثم عاد إلى المغرب وتوفي بفاس، قاض من حفاظ الحديث، بلغ رتبة الاجتهاد في الفقه، له: " أحكام القرآن"، و" عارضة الأحوذي في شرح الترمـذي"، و" قـانون التأويـل"، و" الناسـخ والمنـسوخ". انظـر: [**الأعلام**٦/٢٣٠، **الأدنروي، طبقات المفسرين** ١٨٠-١٨١].

(٣) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، (٦٢/١).

(٤) حميد الدين، عبد الحميد الأنصاري الفراهي،(١٢٨٠هـ - ١٣٤٩هـ) ولد في قرية فريها بالهند، حفظ القرآن وأخذ الحـديث والفقه، وأتقن العربية والفارسية ونظم الشعر فيهما، من كتبه: إمعان في أقسام القرآن، نظام القرآن وتأويل الفرقان بـالقرآن، ودلائل النظام. انظر: [اليازجي، صبحي، **الوحدة الموضوعية بين عبد الحميد الفراهي وسيد قطب**: ص٥٦- ٧٩].

(٥) الفراهي، عبد الحميد، **دلائل النظام** ،(ص ٧٥)، الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند، ١٣٨٨هـ.

(٦) عكاوي، د. إنعام، **المعجم المفصل في علوم البلاغة**،(٦ /٤٣٠)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م.

(٧) ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، ١(/٢٤٤)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.

(٨) ابن رشيق القيرواني، **السابق**، (٢٤٦/١).

فضلاً عن أن نظرية عبد القاهر الجرجاني[1] في النظم ، ترتكز على فكرة الترتيب باعتبـار أن معـاني الكلام تترتب في النفس أولاً ثم تأتي الألفاظ مرتبة على وفق ترتيب المعاني في النفس[2]. وما دام أن هناك ترتيباً خاصاً في الكلام فلا بد أن هناك معاني مقصودة لهذا الترتيب.

٢) وإذا انشغل أكثر البلاغيين والمفسرين كالجرجاني، وصاحب الكشاف وصاحب التحرير والتنـوير، وغيرهم بالنظم داخل الآية القرآنية المفردة غالباً، أو بين الآيات المتجاورة، فإن علم التناسب ينظر إلى " النظام" الرابط بين أجزاء السورة جميعها، بل يمتد إلى القرآن كله، ومن ثم فإن مـن تمـام بلاغـة القرآن وبلاغه المبين أن يتعامل معه باعتباره وحدة واحدة.

ولذلك تؤكد بعض التعريفات السابقة أن السورة وحدة واحدة، بل إن آيات القرآن الكريم لترتبط حتى تكون " كالكلمة الواحدة"، وهو تعبير غاية في تأكيد الوحدة العضوية للقرآن، فكما أن الكلمة يتهدم بنيانهـا مـن أي تغيير في حروفها أو زيادة أو حذف، فكذلك القرآن.

وكثيراً ما يجري تشبيه السورة أو القرآن جميعه بالبناء، أو بالجسم الإنساني، عند غير واحد من العلمـاء، كما سيأتي في المطلب التالي.

---

(١) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن،(ت ٤٧١هـ)، من جرجان بين طبرستان وخراسان، إمام في اللغة، له: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والتتمة، والجمل، والعمدة، والمغني شرح الإيضاح، وغيرها.[انظر: الأدنـروي، **طبقـات المفـسرين** ص ١٣٣، **الأعلام** ٤/٤٨-٤٩].

(٢) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز،** (ص ٥٤) مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، قـرأه وعلـق عليه محمود محمد شاكر، ط٣، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

المطلب الثاني

القائلون بالتناسب والمشتغلون به

لفت الرسول الكريم ﷺ إلى ضرورة التعامل مع القرآن باعتباره وحدة واحدة، وإلـى أهميـة تفـسير القـرآن بالقرآن، حيث روى ابن مسعود في تفسير قوله تعـالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعـام:٨٢]، قال: (لمّا نزلتْ هذه الآيةُ شقّ ذلك على أصحابِ رسول ا ـ ﷺ، وقالوا: وأيّنا لم يظلم نفسه؟ فقـالَ رسـولُ ا ـ ﷺ: ليس هو كما تظنـون، إنّمـا هـو كمـا قـالَ لقمـان:﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان:١٣][(١)].

وقال ابن تيمية[(٢)] عندما سئل عن أحسن طرق التفسير:" إن أصح الطرق في ذلك: أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسر في مكان آخر، وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر"[(٣)].

وإذا كان الأمر على هذه الحال في ربط الآية بآية أخرى في سورة أخرى، فالأمر ألزم فيما يتعلق بآيـات السورة الواحدة، وبالأخص الآيات المتجاورة في ذات السورة، وهو ما اصطلح عليه بالسياق، و" كلمة الـسياق في تعبير المفسرين تطلق على الكلام الذي خرج مخرجاً واحداً، واشتمل على غرض واحـد، هـو المقـصود الأصلي للمتكلم، وانتظمت أجزاؤه في نسق واحد، مع ملاحظة أن الغرض من الكلام، أو المعـاني المقـصودة بالذات، هي العنصر الأساسي في مفهوم السياق، كما أننا قد نستخلص: أن السياق قد يضاف إلى الآيـة وإلـى السورة وإلى القرآن كله، من جهة أغراضه ومقاصده الأساسية، ومن جهة نظمه المعجز"[(٤)].

ولعل مراعاة السياق من أهم الأسس التي اعتمدها ابن جرير الطبري[(٥)] في الترجيح بين أقوال المفسرين في كثير من الآيات[(٦)]، وقد أكد مرات عديدة أنه من غير الجائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلـى غيـره إلا

---

(١) البخاري، **الجامع الصحيح**، في الإيمان: رقم(٣٢)، وفي الأنبياء:٣٣٦٠رقم(٣٤٢٨، ٣٤٢٩)، وفي التفـسير:رقـم(٤٦٢٩، ٤٧٧٦)، وفي استتابة المرتدين:رقم(٦٩١٨، ٦٩٣٧)، ومسلم، **الصحيح**، في كتاب الإيمان:رقم(١٢٤).

(٢) أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي (٦٦١-٧٢٨هـ)، كان كثير البحث في فنون الحكمـة داعيـة إصلاح في الدين، له: الفتاوى، والصارم المسلول، ، ونقض المنطق. [**الدرر الكامنة** ١٤٤/١، **الأعلام** ١٤٤/١].

(٣) ابن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير**، (ص٤٤-٤٥)، تحقيق عصام الحرستاني، ومحمد شكور، دار عمـار، عمـان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٤) أبو صفية، عبد الوهاب، **دلالة السياق: منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم**، (ص٨٦) عمان، د.ن، ط١، ١٩٨٩م.

(٥) محمد بن جرير الطبري(٢٢٤- ٣١٠هـ)، الفقيه المؤرخ شيخ المفسرين، له سوى التفسير:تاريخ الأمم، والقراءات، وأحكام شرائع الإسلام، واختلاف العلماء.[انظر: السيوطي، **طبقات المفسرين** ص٩٥- ٩٧، الأدنروي، **طبقات المفسرين**، ص٤٨].

(٦) الشاعر، تمّام كمال، **منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين أقوال المفسرين**، (ص ١٣٤)، رسـالة ماجـستير فـي

بحجة يجب التسليم بها من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة[1]، وأن توجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما في سياق الكلام أولى من توجيهه إلى ما كان منعدلاً عنه[2].

و" هناك من عبر بألفاظ مرادفة للفظ السياق، مثل لفظ المقام، والمقتضى، ومقتضى الحال، ولفظ التأليف، ولفظ النظم القرآني"[3]، وهي جميعا تدل على مفهوم التناسب، الذي نتكلم عنه، بدرجة أو بأخرى.

ويمكن تقسيم العلماء والمفسرين الذين ارتبطت أسماؤهم بعلم المناسبات القرآنية، إلى ثلاثة أقسام:

أ الذين نُقل عنهم مشافهة أو كتابة، القول بالتناسب والانتصار له، وأهل التفسير، والذين كتبوا عن التناسب القرآني كتباً خاصة، أو جعلوه ضمن فصول كتبهم.

وقد جعلهم الباحث في سياق واحد، مع ترتيبهم زمانياً، ولم يحرص على الاستقصاء في هذا المقام؛ لصعوبته، فضلاً عن أنه ليس المقصود من هذا البحث.

أبرز المفسرين والعلماء الذين كتبوا في التناسب أو انتصروا له:

١) **شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري** (ت ٣١٠هـ)، في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

والمواطن التي يتحدث فيها- رحمه ا – عن المناسبة كثيرة وإن لم يصرح بلفظ التناسب، وأغلب كلامه في المناسبة بين الآيات فحسب، أو بين الآيات وواقع الدعوة، وربما دمج تفسير آيتين، ليبرز العلاقةَ بينهما، والكلام المقدر المحذوف الذي تُرك لدلالة ما ظهر من الكلام عليه، وفق تعبيره، كما فعل – مثلاً- في ربطه بين الآيتين الكريمتين:(٨٣، ٨٤) من سورة آل عمران[4]، بل إنه ليربط الآية بالسياق البعيد الذي ربما لا يتفطن له الكثيرون؛ كما فعل عند قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ﴾ [البقرة]، حيث يقول:" فأمر جل ثناؤه الفريقين اللذين أخبر عن أحدهما أنه سواء عليهم أأُنذروا أم لم ينذَروا أنهم لا يؤمنون؛ لطبعه على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم، وعن الآخر أنه يخادع ا والذين آمنوا بما يبدي بلسانه من قيله: آمنا با واليوم الآخر، مع استبطانه خلاف ذاك، ومرض قلبه، وشكه في حقيقة ما يبدي من ذاك،

أصول الدين بجامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٤م.

(١) الطبري، أبو جعفر ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**،(٣١/٦)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) الطبري **جامع البيان**،(١٨٦/٣).

(٣) أبو صفية، **دلالة السياق**، (ص٨٦).

(٤) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**،(٤٥٨/٣).

وغيرهم من سائر خلقه المكلفين، بالاستكانة والخضوع له بالطاعة، وإفراد الربوبية له، والعبادة، دون الأوثـان والأصنام والآلهة؛ لأنه جل ذكره هو خالقهم وخالق من قبلهم"[١].

٢) أبو بكر النيسابوري(٢)(٣٢٤ هـ): فقد نقل صاحب (البرهان في علوم القرآن) أن أول مـن أظهـر ببغداد علم المناسبة هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، "وكان غزير العلم في الـشريعة والأدب، وكـان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة فـي جعـل هـذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"(٣) .

٣) **القاضي عبد القاهر الجرجاني** (٤٧١ هـ): صاحب نظرية النظم، الذي هو، بحسب تعبيره:" تعليـق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"[٤]، وعنده أن المعاني تترتب في النفس أولاً وتتبعهـا الألفاظ مرتبة على حسب ترتيب المعاني؛ " وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلـى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[٥].

ولذلك فالنظم هو الإعجاز الحقيقي للقرآن الكريم عند الجرجاني، حيث يؤكد أن السبب الذي جعـل الكفـار يدعون معارضة القرآن وقد تُحدّوا إليه؛ أنه قد: " أعجزتهم مزايا ظهرت لهـم فـي نظمـه، وخـصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها،...، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكـر شانها، أو يرى أن غيرها أصلح مكاناً أو أشبه، أو أحرى أو أخلق. بل وجدوا اتساقاً بهر العقـول وأعجـز الجمهور، ونظاما والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يدع في نفس بليغ منهم، ولو حك بيافوخه الـسماء موضـع طمع، حتى خرست الألسن أن تدعي وتقول"[٦].

---

(١) الطبري، **السابق**، (ص٢٣٢/١).

(٢) أبو بكر عبد ا بن محمد بن زياد بن واصل النيسابوري(٢٣٨- ٣٢٤هـ)، المحدث، الفقيه الشافعي، كان إمام عصره مـن الشافعية بالعراق،[**شذرات الذهب**٣٠٢/٢، **الأعلام** ١١٩/٤].

(٣) الزركشي، **البرهان**،(٦٢/١-٦٣).

(٤) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، (ص ٤).

(٥) الجرجاني، **السابق**، (ص ٥٤).

(٦) الجرجاني، **السابق**، (ص ٣٩).

ومع أن الجرجاني لم ينص على مفهوم التناسب والوحدة البنائية في القرآن الكريم، فإن جهوده في بناء نظرية النظم قد أسست لها، وشقت الطريق إليها[1]؛ من حيث أن "الترتيب" هو الأساس في النظم، كما أنه السر في التناسب، والجرجاني – نظرياً – يقرر أن ترتيب الآيات والسور والأعشار هو على أكمل وجه الاتساق والنظام والإتقان والالتئام والإحكام، لكنه في التقعيد والتطبيق ركز على الترتيب في الجملة والآية، ولم يتجاوز إلى وحدة السورة أو التناسب بين السور، أو الوحدة في القرآن كله.

٤) الإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشري[2](٤٦٧ - ٥٣٨ هـ):

طبق الزمخشري في كشافه نظرية الجرجاني في النظم، وهو منذ البداية يؤكد في مقدمته: " الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفا منظماً، ونزله بحسب المصالح منجماً، وجعله بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتماً"، [3] حيث صرح بنظم الكلام القرآني، ولفت في حديثه عن افتتاح القرآن واختتامه، إلى كون القرآن وحدة واحدة، وألمح وهو يميز بين الإنزال والتنزيل، إلى أن الترتيب توقيفي، وهو ما أكده في تفسير سورة القدر[4]؛ فالقرآن، بحسب ما يفهم من كلام الزمخشري في المقدمة، حين أنزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا كان مؤلفاً منظما، ثم تنزل مفرقاً، على النبي ﷺ، لكن جمعه في المصاحف كان وفقاً للترتيب الأول.

ويعود ليؤكد وحدة النص القرآني وتماسكه، فيصف نظم القرآن الرصين بالبناء المحكم المرصف، وذلك في تفسير الآية الأولى من سورة هود" ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ قال:" أحكمت آياته: نظمت نظماً رصيناً محكماً لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف"[5].

وقد أكثر الزمخشري من الوقوف عند علل الترتيب للجمل والآيات والمعاني، وتناسب الفواصل، وصرح بلفظ التناسب غير مرة.

---

(١) العلواني، طه جابر، **الوحدة البنائية للقرآن المجيد**، www.almultaka.net، وللعلواني كتاب بهذا الاسم لم أصل إليه، ربما تكون هذه المقالة مقدمته.

(٢) محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الزمخشري(٤٧٦ - ٥٣٨هـ)، النحوي اللغوي المعتزلي المفسر، الملقب جار الله لأنه جاور بمكة زماناً، له: المفصل في النحو، ورؤوس المسائل في الفقه، وأساس البلاغة، والمنهاج في الأصول. [انظر: الأدنروي، **طبقات المفسرين** ص١٧٢-١٧٣، والسيوطي، **طبقات المفسرين** ص١٢٠-١٢١].

(٣) الزمخشري، محمود بن عمر، **تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**،(٦/١)، ضبطه ورتبه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٤) الزمخشري، **السابق**،(٧٧١/٤).

(٥) الزمخشري، **السابق**،(٣٦٣/٢).

لكن الباحث لم يجد للزمخشري كلاماً عن الربط بين السورة والسورة، ولا عن وحدة موضوع السورة، ولا عن تناسب آخرها مع أولها سوى إشارة في آخر سورة المؤمنون[1].

٥) **القاضي أبو بكر بن العربي** (٥٤٣هـ): قال إن "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المعاني علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه بسورة البقرة، ثم فتح ا عز وجل لنا فيه فلما لم نجد له حملة، ورأينا الخلق فيه بأوصاف البطَلة، ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين ا ، ورددناه إليه" [2] .

٦) **الإمام الفخر الرازي**[3](٦٠٦هـ) في تفسيره مفاتيح الغيب: الذي أكثر فيه من ذكر المناسبة سواء في ذلك الربط بين أجزاء الآية أو بين الآية والآية، أو بين المقاطع، وكذا بين ختام السورة ومطلعها، أو بين مطلع السورة وخاتمة السورة السابقة، فضلاً عن تنبهه لفكرة الوحدة الموضوعية في السورة، كما صنع عند تفسيره سورة فصلت، كما سيأتي في الفصل التالي.

وكثيراً ما يبدأ الرازي تفسير الآية بقوله:" اعلم أنه سبحانه لما.."، ليربط الآية بما قبلها، وإذا لاحظ بينهما أكثر من وجه للارتباط والتناسب فإنه يقول:" اعلم أن في كيفية النظم وجهين:" أو "وجوهاً "، أو يقول:" اعلم أن اتصال هذه الآية بما قبلها من وجوه".

ولا يقف الرازي عند حد الوحدة الموضوعية للسورة، بل إنه ليؤكد الوحدة العضوية للقرآن الكريم جميعه، كما ذكر في بدايات تفسيره لسورة القيامة " أن القرآن كله كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض"[4].

٧) **كمال الدين الزملكاني**[5](٦٥١ هـ)، فقد نقل الزركشي عنه أنه ذكر في بعض دروسه، مناسبة استفتاح الإسراء بالتسبيح، والكهف بالحمد، ثم قال:" وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور، فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض؟ بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة"[1].

---

(١) الزمخشري، **السابق**، (٢٠١/٣).

(٢) الزركشي، **البرهان**، (١/ ٦٢).

(٣) محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي(٥٤٤- ٦٠٦هـ)، المفسر المتكلم، تتلمذ على البغوي، له: البرهان في قراءة القرآن، والمصنف في إعجاز القرآن.[السيوطي،**طبقات المفسرين**، ص:١١٥-١١٦، **شذرات الذهب**٢١/٥].

(٤) الرازي، **التفسير الكبير**، (٧١٩/١٠)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٥) عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري، الزملكاني ، (ت ٦٥١ هـ)، ولي القضاء، ودرس مدة ببعلبك، له: التبيان في علم البيان ، ونهاية التأميل في بيان أسرار التنزيل، ورسالة في " الخصائص النبوية".[، **طبقات الأدنروي**:٢٣٧، **الأعلام**: ١٧٦/٤].

٨) **أبو جعفر بن الزبير** [٢] (٧٠٨هـ)، في كتابيه:" البرهان في تناسب سور القرآن" و "ملاك التأويل"[٣]، فأما البرهان فقد خصصه لموضوعات السور والارتباط فيما بينها، وقد نقل البقاعي أغلبه في تفسيره مصرحاً بنسبة كلامه إليه، كما نقل عنه غير واحد من تلاميذه كصاحب البحر المحيط وصاحب التسهيل، والأول تابع أستاذه واقتفى أثره في الاهتمام والالتفات إلى موضوع التناسب.

وأما (ملاك التأويل)، فإنه قد خصصه لتفسير الآيات المتشابهات، حيث كان كثيراً ما يذكر أن السبب هو الارتباط بالآية السابقة والسياق، كما يلفت إلى المناسبة مع موضوع السورة وما يتكرر فيها من الألفاظ والصيغ والمعاني التي تميز كل سورة عما سواها.

٩) **ولي ا الملوي**[٤](٧٧٤هـ): نقل عنه صاحب البرهان قوله:" قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريم مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً؛ فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون؛ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف "[٥]. والزركشي لم يصرح باسم الملوي وإنما قال: "قال بعض مشايخنا المحققين"، لكن البقاعي[٦] والسيوطي[٧]، أوردا ذات القول وحددا الاسم.

١٠) **الإمام الشاطبي[٨](ت٧٩٠هـ):** حيث يقول في المسألة الثالثة عشرة من كتابه الموافقات في أصول الشريعة: "لا بد لفهم السورة على وجهها الصحيح من دراستها كلها إجمالاً، ورد أولها إلى آخرها، وآخرها إلى أولها، فإنها وإن اشتملت على قضايا متعددة، لكنها نازلة لهدف واحد، وتندرج تحت مقصد

---

(١) الزركشي، **البرهان**، (٦٦/١).

(٢) أحمد بن إبراهيم الغرناطي، (٧٠٨هـ)، النحوي المقرئ المفسر المؤرخ، كان محدث المغرب كله في زمانه، له تعليق على كتاب سيبويه، وشرح الإشارة في الأصول، وسبيل الرشاد في فضل الجهاد، [**طبقات الأدنروي**: ٣٩٧، **الأعلام**:٨٦/١].

(٣) ابن الزبير، **ملاك التأويل** القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التأويل، تحقيق محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت، دط، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٤) محمد بن أحمد بن إبراهيم الملوي الشافعي، المعروف بابن المنفلوطي(٧٧٤هـ)، برع في التفسير، والفقه والأصول، والتصوف كثير العبادة.[ترجم له ابن حجر في كتابيه: **إنباء الغُمر بأبناء العمر في التاريخ**، ٥٧/١-٥٩، **والدرر الكامنة**، ١٨٧/٣، **طبقات الداودي**، ٥٨/٢-٥٩].

(٥) الزركشي ، **البرهان**، (٦٣/١-٦٤).

(٦) البقاعي، **نظم الدرر**، (٦/١).

(٧) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (٢٣٥/٢).

(٨) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي،(٧٩٠هـ) المجتهد الأصولي المعروف بالشاطبي. له الموافقات في أصول الأحكام، والاعتصام، وأصول النحو، وقال عنه الشيخ رشيد رضا في تقديمه لكتاب الاعتصام : العلماء المستقلون في هذه الأمة ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، والإمام الشاطبي من هؤلاء القليل.[**الاعتصام** للشاطبي ص٣، **الأعلام**، ٧٥/١].

واحد، فاعتبار جهة النظم مثلاً في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما، لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها.

" فسورة البقرة – مثلاً – كلام واحد باعتبار النظم، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم، ومنها ما هو المقصود في الإنزال، وذلك تقدير الأحكام على تفاصيل الأبواب، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك"[١].

١١) **بدر الدين الزركشي(٧٩٤هـ):** والذي تحدث في كتابه البرهان في [٢]علوم القرآن عن التناسب باعتباره واحداً من علوم القرآن، فعرّفه وذكر رواده وأبرز المشتغلين به إلى زمانه، وردودهم على المعترضين، ثم أفاض في الحديث عن وجوه التناسب.

١٢) **برهان الدين البقاعي (٨٨٥هـ):** وله التفسير المسمى (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، وله أيضاً (مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور)[٣]، حيث كان دأب البقاعي في نظم الدرر، أن يورد في بداية كل سورة مقصودها من خلال اسمها الدال على هذا المقصود حسب رأيه، ولا يكتفي بذلك وإنما يتحدث عن كل أوجه التناسب؛ داخل الآية، وبين الآيتين، وفيما بين مقاطع السورة، والتناسب بين ختام السورة وبدايتها فيما يسميه "رد المقطع على المطلع" بالنسبة للسورة، ثم بين السورة وجارتها، بل ويتحدث عن "رد المقطع على المطلع" بالنسبة للقرآن؛ أي المناسبة بين السور التي في آخر المصحف ونظيراتها في أوله، باعتبار القرآن جميعه وحدة واحدة.

ولعل جهد البقاعي في نظم الدرر، هو الأجمع والأشمل والأكثر تفصيلاً، والأفضل من كل سابقيه وأغلب الذين جاءوا من بعده؛ فإنه قد جعل المناسبة من جميع جوانبها غايته من الكتاب الذي حوى كنوزاً من هذا الفن. ولا عبرة بما يقال أحياناً عن تكلفه فيه، فبعضه من كلام الأقران، أو الذين لا يقدرون هذا العلم حق

---

(١) الشاطبي، أبو إسحق، **الموافقات في أصول الشريعة،**(٣/٣٠٩-٣١١)، شرحه وخرج أحاديثه عبد الله دراز، ووضع تراجمه، محمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.

(٢) الزركشي، **البرهان،** (ص:٦١- ١٢٨).

(٣) البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور،** طُبع بتحقيق: عبد السميع حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م. انظر: www.tafsir.org

قدره، ثم هل يتوقع من البقاعي وقد أخذ على عاتقه استقصاء وجوه التناسب في القرآن كله، أن يهتدي إلى الأصوب في كل موضع؟ وبحسب البقاعي أنه قد التفت إلى بعض أوجه التناسب التي لم يسبق إليها؛ كدلالة اسم السورة على مقصودها، أو رد المقطع على المطلع فيما يتعلق بالتناسب بين السور التي في آخر المصحف ونظيراتها في آخره، وهذه الثانية لم يتابعه فيها أحد من المتأخرين، بحسب علم الباحث.

١٣) **جلال الدين السيوطي (٩١١هـ):** وقد نقل في (الإتقان)[1]، و(معترك الأقران)[2]، أغلب كلام الزركشي في (البرهان)، وللسيوطي أيضاً :(تناسق الدرر في تناسب السور)، وقد ذكر السيوطي في مقدمته أن هذا الكتاب هو جزء من كتاب له كبير في موضوع التناسب، واسمه (أسرار التنزيل) [3].

وللسيوطي أيضاً في التناسب، (قطف الأزهار في كشف الأسرار)[4]، و (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)[5].

١٤) **ابن شهيد ميسلون، محمد بن كمال أحمد الخطيب،** عرّف في كتابه:(نظرة العجلان في أغراض القرآن). بمناسبات آياته ووحدة الموضوع في سوره[6].

١٥) **الإمام عبد الحميد الفراهي (ت١٣٤٩هـ):** والفراهي له كتاب (دلائل النظام)، وله تفسير لم يتمه أسماه: (تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان).[7] وكان ممن تنبه لأهمية هذا العلم، ونوه بقيمته وشرفه، فقال:"المعترفون بوجود التناسب جعلوا التناسب علماً شريفاً، ولكن لم يجعلوه جزءاً عظيماً من مفهوم القرآن. ولذلك بقي متروكاً لإشكاله. وأما نحن فنقول: إن فهم القرآن محوّل إليه. والوجوه الكثيرة في التأويل، وعدم الاعتماد على تأويل صحيح إنما نشأ من عدم المعرفة بالنظام، فإنه هو المعتمد في صحيح التأويل ورفع الشكوك والحيرة"[8].

---

(١) السيوطي، **الإتقان**، (٢٣٤/٢-٢٤٧).

(٢) السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، (٤٣/١-٥٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص ٥٣).

(٤) الطباع، إياد خالد، **الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي**، (ص١٣١)، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٥) حققه الدكتور محمد بازمول بذيل كتابه، **علم المناسبات بين السور والآيات**، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. والدكتور محمد الشوريجي، المكتب الإسلامي لإحياء التراث، انظر /www.ahlalhdeeth.com

(٦) الخطيب، محمد بن كمال، ابن شهيد ميسلون، **نظرة العجلان في أغراض القرآن**، المطبعة العصرية، دمشق، ١٣٦٥هـ.

(٧) وهما من منشورات سلسلة دائرة الحميدية بالهند.

(٨) الفراهي، **دلائل النظام**، (ص٧٥).

وشدد الفراهي على أن " معرفة النظام من الضروريات لعلماء الأمة، حتى يعلموا الناس حسب ما فهموا، فإنهم إن لم يفهموه واختلفوا فيه كيف يرشدون الناس؟ بل يشتد ضرر قيادتهم لأنفسهم ولجميع المسلمين" [١].

١٦) **الدكتور محمد عبد الله دراز[٢](ت ١٩٥٨م):** وكان ممن نوه بهذا العلم في كتابه النبأ العظيم حيث يقول:" إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة، يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعبة وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول. فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة...._ولماذا نقول إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا، بل إنها لتلتحم كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان: فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب. ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية"[٣].

وقد أخذ الدكتور دراز على عاتقه، بيان الوحدة والنظام في سورة البقرة في الكتاب تطبيقاً لما أفاض في تأكيده.

١٧) **الأستاذ سيد قطب[٤] (١٩٠٦- ١٩٦٦م):** وذلك في كتابه: (التصوير الفني في القرآن)، وتفسيره: (في ظلال القرآن).

فقد جعل لموضوع "التناسق" فصلاً خاصاً في (التصوير الفني)[١]، وتحدث في (الظلال) عن الوحدة الموضوعية في السورة، وشخصيتها المتميزة قائلاً: " إن كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة،

---

(١) الفراهي، **السابق**، (ص١٠).

(٢) محمد عبد الله دراز(ت ١٩٥٨م): فقيه متأدب مصري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، له: دستور الأخلاق في القرآن، والدين، ومدخل إلى القرآن الكريم.[**الأعلام**، ٢٤٦/٦].

(٣) دراز، محمد عبد الله، **النبأ العظيم** (ص١٥٥)، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

(٤) سيد قطب إبراهيم(١٩٠٦-١٩٦٦م): مصري المولد والاستشهاد، حفظ القرآن صغيراً وتخرج في كلية دار العلوم، أديب ومفكر، له: العدالة الاجتماعية في الإسلام، وهذا الدين، والمستقبل لهذا الدين، والنقد الأدبي أصوله ومناهجه، ومهمة الشاعر في الحياة، ومعالم في الطريق.[انظر: **الأعلام**،١٤٧/٣-١٤٨، العظم، يوسف، **رائد الفكر الإسلامي، الشهيد سيد قطب**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م].

وذات ملامح متميزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين، وذات مجال متخصص فـي عـلاج هـذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبيرة.

" إنها كلها تتجمع على الموضوع والغاية، ثم تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة، وطرائقها المتميزة، ومجالهـا المتخصص في علاج هذا الموضوع، وتحقيق هذه الغاية، إن الشأن في سور القرآن مـن هـذه الوجهـة، كالشأن في نماذج البشر التي جعلها ا متميزة، كلهم إنسان، وكلهم له خصائص الإنسانية، وكلهم له التكوين العضوي والوظيفي والإنساني، ولكنهم بعد ذلك نماذج منوعة أشد التنويع"[٢].

١٨) **الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم**، في كتابه: (الإعجاز البياني في ترتيب آيـات القـرآن الكـريم وسوره)[٣]، وهو في الأصل أطروحة المؤلف لنيل الدكتوراه، من جامعة الأزهر عام ١٩٧١م.

١٩) **محمد الصديق الغماري الحسني، في كتابه: (جواهر البيان في تناسب سور القرآن)، وقد ذكر** فـي مقدمته أنه أراد أن يبين في الكتاب" مناسبات سور القرآن الكريم بعضها لبعض حسب ترتيبها في المصحف الشريف"[٤].

٢٠) **الأستاذ سعيد حوى**[٥] في كتابه: (الأساس في التفسير).

حيث يرى الأستاذ سعيد حوى أن الخاصية الأولى لتفسيره وقد تكون ميزته الرئيسة، أنه قـدم لأول مـرة نظرية جديدة في موضوع الوحدة القرآنية"[٦]. وهذا التفسير وإن كان يركز على الوحدة القرآنية، والـسياق

---

(١) قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن**،(ص٨٧- ١٤٢) ، دار الشروق، القاهرة/ بيروت، ط٨، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**،(١٢٤٣/٣)، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ط٢٦، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) القاسم، محمد أحمد يوسف، **الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره**، دار الطبوعات الدولية، مصر، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٤) الحسيني، أبو الفضل عبد ا محمد الصديق الغماري، **جواهر البيان في تناسب سـور القـرآن**، (ص ٣) عـالم الكتـب، ب وت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

(٥) سعيد حوى (١٩٣٥-١٩٨٩م)، من حماة بالشام، أحد قيادات ومنظري الإخوان المسلمين، صنف: الأساس في السنة، وا جل جلاله، والرسول، والإسلام، وعدداً من الكتب الفكرية والحركية، [حوى، سعيد، **هذه تجربتي وهذه شـهادتي**، والـشرقاوي، أحمد، **ونظرية الوحدة الموضوعية للقرآن** من خلال كتاب الأساس في التفسير، محمد خير يوسف، **تتمة الأعـلام**، ١٢٠٧-٢٠٩].

(٦) حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، (٢١/١)، دار السلام، مصر، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

القرآني العام؛ فهو كذلك يركز على وحدة السورة، وعلى إبراز سياقها الخاص، بل إن هذه النظريـة التـي اعتمدها في موضوع الوحدة القرآنية، أعطت السياق الخاص لكل سورة آفاقاً جديدة، كما قال[1].

ومفتاح نظرية الوحدة القرآنية[2] عند سعيد حوى، أن كل سورة بعد البقرة إنما هي تفسير لآية أو أكثر مـن سورة البقرة[3]، على ما سيأتي في مبحث تالٍ.

٢١) **الدكتور عناية ا أسد سبحاني،** في كتابيه: "إمعان النظر في نظام الآي والسور"[4]، و" البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران [5]"، وهما أطروحتا الماجستير والدكتوراه اللتان تقـدم بهمـا المؤلف، ونشرا فيما بعد.

وقد كان الأول تأصيلاً وتنظيراً وتقعيداً للتناسب القرآني - الذي سماه النظام، متابعاً فـي ذلـك العلامـة الفراهي-، فيما كان الثاني دراسة تطبيقية لهذا النظام في السور الثلاثة الأولى.

٢٢) **الدكتور محمود البستاني**[6]في كتابيه: (عمارة السورة القرآنية)، و(التفسير البنائي للقرآن الكريم)[7]. يقول الدكتور محمود البستاني بأن السورة هي هيكل أو بناء قد خُطط له بدقة وإتقان، وأن لهـذا التخطـيط فلسفته أو نكاته الفكرية"[8].

ويرى البستاني أن الدراسات المتناثرة التي اهتمت بما أسماه عمارة السورة القرآنية، "لم تتطرق إلى سـور القرآن جميعا، كما لم يتوفر بعضها على دراسة السورة بأكملها، فضلاً عن أن بعضها الثالث لـم يتنـاول جميع الخطوط التي ترتبط بها شبكة السورة الكريمة بقدر ما اقتصرت على واحد أو أكثر مـن الخطـوط المشار إليها، ولعل السر في ذلك بالنسبة إلى الدراسات القديمة، يعود إلى أن القدماء لم يتيسر لهـم وعـي ثقافي يسمح لهم بدراسة النص الأدبي من خلال (الوحدة العضوية) التي تربط بين أجزاء النص من جانب،

---

(١) حوى، **السابق**،(٢/ ٦٨٦).

(٢) الشرقاوي، أحمد، **نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال كتاب الأساس في التفسير،** وهو فـي الأصـل رسـالة ماجستير في أصول الدين، جامعة الأزهر، ١٩٩٤م.www.saaid.net .

(٣) حوى، **الأساس في التفسير،** (١١/ ٦٧٧٠).

(٤) سبحاني، محمد عناية ا ، **إمعان النظر في نظام الآي والسور،** دار عمار، عمّان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٥) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران.**

(٦) محمود بن الحاج عبد الحسين البستاني، ولد في النجف عام ١٣٦٦هـ وجمع بين الدراستين الحوزوية والأكاديمية، له:[الإسلام وعلم النفس، تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، دراسات فنية في التعبير القرآني، دراسات فنية فـي القـصص القرآني]. [انظر:www.ahlulbaitonline.com].

(٧) مقدمة الكتاب الأول، وشطر الكتاب الثاني، على موقع الحوزة www.u-of-islam.net .

(٨) البستاني، **التفسير البنائي،** المقدمة،عنwww.u-of-islam.net

وبينه وبين عناصره التي يتألف منها من جانب آخر؛ حيث تتطلب مثل هذه الدراسات ثقافة فنيـة ونفـسية واجتماعية لم تتوافر إلا في العصور الحديثة."[1].

وبعد استعراض هذه الثلة الكريمة من العلماء، ينبغي التأكيد على أن من خُصوا بالذكر هم نخبة من أبـرز المشتغلين بالتناسب عبر العصور، وبالأخص من كانت لهم بصماتهم في هذا المجال، علماً بأن ثمة أعلامـاً كباراً من القدماء والمعاصرين – سوى هؤلاء - عنوا بالمناسبات في تفاسيرهم وأبحاثهم ورسائلهم الجامعية سواء منهم من استعمل مصطلح التناسب أو النظم أو النظام أو الوحدة الموضوعية أو العضوية، وقـد أورد الباحث الكثير من أقوالهم في ثنايا هذه الدراسة.

(١) البستاني، **عمارة السورة القرآنية**، www.u-of-islam.net

المطلب الثالث

المعارضون والرد على اعتراضاتهم

لعل أبرز من نقل عنهم الاعتراض على التناسب هما الشيخ عز الدين بن عبد السلام[(١)]، والإمام الـشوكاني[(٢)]، فأما العز بن عبد السلام فأكد أن " من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، ويتشبث بعضه ببعض، لئلا يكون مقطعا مبترا، وهذا بشرط أن يقع الكلام فى أمر متحد فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكاف لما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك، يصان عن مثلـه حسن الحديث فضلا عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل فى نيف وعشرين سنة، فى أحكام مختلفة، شـرعت لأسـباب مختلفة غير مؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله فى خلقـه وأحكامه بعضها ببعض، مع اختلاف العلل والأسباب "، وضرب لذلك أمثلة بتصرف الملوك والحكام والمفتـين، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة و متخالفة ومتضادة، وأنه ليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها فى نفسها واختلاف أوقاتها[(٣)].

وأما الشوكاني، فقد جاء اعتراضه في بدايات تفسيره لسورة البقرة، عندما رام الانتقال من قصة آدم إلى أخبار بني إسرائيل، لينتقد أولئك الذين يقولون بالمناسبة بين القصتين، ويشدد على البقاعي وأمثاله، حيث يقول رحمـه ا :

" اعلم أن كثيرا من المفسرين جاءوا بعلم متكاف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمـور المتعلقـة بكتـاب ا سبحانه؛ وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيـب الموجـود فـي المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فـضلاً عـن كـلام الـرب

---

(١) عبد العزيز بن عبد السلام، عز الدين السلمي الدمشقي ثم المصري،(٥٥٧-٦٦٠هـ)، لقب بسلطان العلماء، اختصر تفـسير الماوردي، وله التفسير الكبير، ومن تصانيفه: مجاز القرآن، وشرح الأسماء الحسنى، وقواعد الشريعة[انظـر: الأدنـروي، **طبقات المفسرين**:٢٤٢، **والأعلام**:٢١/٤].

(٢) محمد بن علي بن الشوكاني (١١٧٣-١٢٥٠هـ)، مجتهد فقيه من كبار علماء اليمن، ولي قضاء صنعاء، وله أكثر من مائـة كتاب في مختلف العلوم الشرعية مثل: نيل الأوطار، وإرشاد الفحول، والتعقيبات على الموضوعات، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد.[انظر: الشوكاني، **البدر الطالع**، ص٧٣٢-٧٤٢، **والأعلام**٢٩٨/٦].

(٣) ابن عبد السلام، عبد العزيز، **الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**، وبذيله: نبذ من مقاصد القرآن الكريم،(ص ٣٣٨-٣٣٩)، تحقيق محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ونقله الزركشي فـي البرهـان، (٦٣/١)، بتغيير طفيف.

سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه حسبما ذكر في خطبته.

ويتابع الشوكاني: " وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرقا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله، منذ نزول الوحي على رسول الله ﷺ إلى أن قبضه الله عز وجل إليه وكل عاقل، فضلا عن عالم، لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها بل قد تكون متناقضة".

ثم يقول " وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك، وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور؟ فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن، ويفردون ذلك بالتصنيف، تقرر عنده أن هذا أمر لا بد منه، وأنه لا يكون القرآن بليغاً معجزاً إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة وتبين الوجه الموجب للارتباط، فإن وجد الاختلاف بين الآيات فرجع إلى ما قاله المتكلمون، فوجده تكلفاً محضاً، وتعسفاً بيناً، انقدح في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة، هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتباً على هذا الترتيب الكائن في المصحف، فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب، وأيسر حظ من معرفته يعلم علماً يقيناً أنه لم يكن كذلك".

ثم قال:" وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربي، وأنزله بلغة العرب، وسلك مسالكهم في الكلام، وجرى به مجاريهم في الخطاب، وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فيأتي بفنون متخالفة، وطرائق متباينة، فضلاً عن المقامين، فضلاً عن المقامات، فضلاً عن جميع ما قاله ما دام حياً، وكذلك شاعرهم، ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي تعثر في ساحتها كثير من المحققين.

وختم الشوكاني كلامه بالقول:" وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن؛ لأن الكلام هنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام، فإذا قال متكلف: كيف ناسب هذا ما قبله؟ قلنا: لا كيف"[1].

وفي الإجابة عن كلام العالمين الجليلين، ربما تحسن الإشارة إلى الأمور الآتية:

١) أنهما يتفقان في مجمل الاعتراضات، بل يمكن القول إن كلام الشوكاني رحمه الله هو بسط وتطويل لكلام العز بن عبد السلام، لكن في سياق خطابي، ولذلك لن أُفرد كل واحد منهما بجواب خاص.

(١) الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، (١/ ١٧١– ١٧٤)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، ط ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢) أن العز رحمه ا ، لا يرفض التناسب مطلقاً، بل يشترط فيه أن يقع في أمر مرتبط أوله بـآخره، دون ما يقع على أسباب مختلفة، على حد تعبيره، وهذا سبب لوجازة كلامه وخفة حدته، كما يبدو.

٣) أن للإمام الشوكاني قولاً آخر يناقض فيه قوله الأول، يشيد فيه بالبقاعي وتفسيره وذكائه، حيث يقـول خلال ترجمته له:

" ومن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير - يقصد نظم الدرر للبقاعي- الذي جعله في المناسبات بين الآي والسور؛ علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء، الجامعين بين علم المعقول والمنقول، وكثيـراً مـا يشكل عليّ شيء في الكتاب، فأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي، وأرجـع إلـى هـذا الكتاب فأجد فيه ما يفيد في الغالب، وقد نال منه علماء عصره بسبب تصنيف هذا الكتاب"[1].

ثمة قرائن عدة تؤكد أن ما قاله الشوكاني في البدر الطالع، هو القول الأخير عنده في المسألة، حيث يذكر فيه أنه في حالات كثيرة، وعندما يشكل عليه فهم شيء في كتاب ا تعالى، فإنه يجد ما يشفي عند البقاعي، بعـد أن لا يجد شيئاً في مطولات التفاسير الأخرى ولا مختصراتها، وهذه القناعة لم تكن قد تحصلت للشوكاني في بـدايات اشتغاله بالتفسير، حين قال القول الرافض وهو لما يزل يفسر أوائل سورة البقرة.

ومن يقرأ ثناء الشوكاني على البقاعي ودفاعه عنه، والرد على السخاوي[2]الذي نال من البقاعي وانتقص مـن قدره[3]، يدرك أن هذا الموقف مبني على سعة اطلاعه على إنتاج البقاعي العلمي، ولعله كان متأثراً في البدايـة ببعض قراءاته للمتحاملين عليه، حيث ذكر الشوكاني أن البقاعي قد" نال منه علماء عصره بسبب تصنيف هـذا الكتاب"، وأن موقف السخاوي من البقاعي - كما قال الشوكاني - هو من كلام الأقران في بعضهم بعض بمـا يخالف الإنصاف، لما يجري بينهم من المنافسات [4].

وربما كان تراجع الشوكاني عن معارضته لعلم المناسبة، كافياً لعدم الالتفات إلـى قولـه الـسابق؛ سـيما وأن الشوكاني نفسه قد أورد العديد من المناسبات في تفسيره بين الآيات أو بين السور، كما أوضح ذلـك الـدكتور

---

(1) الشوكاني، **البدر الطالع**، (ص ٤٠-٤١).

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر السخاوي(٨٣١ - ٩٠٢ هـ) ولد القاهرة تتلمذ على ابـن حجـر، لـه: تـاريخ مـصر الإسلامية، والشافي في وفيات الأمم، والضوء اللامع،[انظر: الشوكاني، **البدر الطالع** ٧٠١-٧٠٤، وترجمتـه لنفـسه فـي **الـضوء اللامع**٣/٨-٢٤].

(3) انظر: السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، (٨٢/١-٩١)، دار الكتب العلمية بيـروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٤) الشوكاني، **البدر الطالع**، (ص٤١).

الشرقاوي في بحثه القيم:(موقف الإمام الشوكاني في تفسيره من المناسبات)[1]، ولكن لئلا يعلق شيء من الاعتراضات في أذهان البعض أرى أن أرد عليها، سيما وأن تفسير الشوكاني مشهور وذائع الصيت يطلع عليه الكثيرون، فضلاً عن أن اعتراضه على التناسب في بدايته، فيما كتابه (البدر الطالع)، ليس له نفس الشهرة، وبالكاد يستعمله بعض الباحثين بشكل محدود عند الحاجة.

<u>أهم الاعتراضات على التناسب القرآني</u>

بالإمكان تقسيم اعتراضات ابن عبد السلام والشوكاني وغيرهما على علم المناسبة القرآني، في النقاط الآتية:

(١) **الخلاف حول توفيقية الترتيب لسور القرآن.**

ربما يزعم الباحث أن هذا هو أحد أبرز القضايا التي أثارت الكثير من الغبار على موضوع التناسب، ولذلك فقد بسط القول فيه في المبحث الأول، لتأكيد أن ترتيب السور والآيات توقيفي.

(٢) **نزول القرآن مفرقاً حسب حوادث متخالفة.**

وهذه النقطة - كما يرى الباحث – من آثار النقطة السابقة، حيث تعدى اعتراض بعض العلماء على المناسبة بين السور، لعدم قولهم بتوقيفية ترتيبها، إلى الاعتراض حتى على المناسبة بين الآيات على الرغم من إجماعهم[2] على توقيفية ترتيبها.

وحجتهم أنه كما لا يصح البحث عن المناسبة بين كلام الخطباء ونظم الشعراء وإنشاء الأدباء، التي قيلت في ظروف مختلفة زماناً ومكاناً وموضوعاً، فكذلك لا يصح البحث عن المناسبة بين آيات القرآن التي تنزلت في ظروف متعددة ومتباينة.

ويكفي في الإجابة عن ذلك أن أيّ أديب أو شاعر، "يجمع ويرتب" ما تناثر من إنتاجه بين دفتي كتاب، لا بد وأن يكون له منهج ومنطلق في ترتيب كلامه، إذ قد يرتبه على الزمان، أو قد يخالف الترتيب الزمني لإنشائه، فيرتب أجزاءه على الموضوع، أو بحسب الطول والقصر، أو القوة والضعف، أو غير ذلك، بحسب ما يقتضيه النظر عنده، أو الغرض الذي يرمي إليه.

---

(١) شبكة التفسير والدراسات القرآنيةwww.tafsir.net، وصيد الفوائد .www.saaid.net

(٢) السيوطي، **الإتقان**، (١٣٢/١).

هذا عند البشر المخلوقين، فهل إذا رتب ا تعالى آيات كتابه وسوره بغير الترتيب الذي أنزلها فيـه، لا يكـون ذلك عن حكمة؟! وكيف يجتمع في العقل والذهن، بل كيف ينسجم مع الإيمان، القول بأن الترتيب من ا تعـالى الحكيم العليم، مع رفض البحث عن الحكمة من هذا الترتيب؟ بل رفض الاستماع إليها وتشديد النكير عليها؟.

إن الرسول ﷺ " كانت تنزل عليه الآيات فيأمر كتبة الوحي أن يضعوها في موضعها بين ما نزل من القـرآن، في هذه السورة أو تلك، ويضع بعض ما نزل في مكة بين آيات السور المدنية، فلولا أن رابطاً يجمع بين هـذه الآيات بعضها وبعض ما كان ثمة سبب يدفع إلى هذا الوضع ولا يقتضيه، بل لرتبت الآي كما نزلت وما كـان هناك داع إلى ترتيب ولا تبويب، أما والقرآن قد نزل للناس كافة، وللأجيال جميعها؛ فقد اختار ا لكتابه خيـر ترتيب يحقق الهدف الذي له نزل الكتاب الحكيم"[١] .

(٣) الزعم بأن هذا العلم متكلف.

لعل أمراً آخر بالغ الأهمية مما يستند إليه المعترضون على التناسب القرآني، هو بعض الكلام المتكلف في القول بالمناسبة، ومع التسليم بوجود التكلف والمتكلفين، فليس كل ما يقال متكلفاً، ولا ينبغي أن يكون ذلك ذريعة لـرد الوجوه المعقولة المقبولة التي ذكرها الآخرون[٢]. والواقع أنه لا يكاد يخلو علم من متكلفين، يميز تكلفَهم عـادة أولو الاختصاص، لكن لا أحد يطالب بإلغاء هذا العلم لأجل هذه الفئة، ولو طالب ما استمع إليه أحد.

إن علم المناسبات القرآنية، يعتبر ـ وبحق ـ من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى غوص عميق وطول فكر وتدبر، والغائص لا يشترط أن يخرج باللؤلؤ بعد كل غوص.

فلدقة هذا العلم قل المهتمون به[٣]، وندر المشتغلون فيه حتى لقد اشتكى أحدهم، وهو القاضي أبـو بكـر بـن العربي، بأنه إذ لم يجد من يحمل هذا العلم ويأخذه عنه، فإنه قرر أن يتوقف عن الحديث فيه وتعليمه، بعـد أن أكد أنه لم يتطرق لعلم التناسب القرآني إلا عالم واحد كتب عن التناسب في سورة البقرة[٤].

وبسبب من القصور البشري، والكمال القرآني، وكونه لا يخلق على كثرة الرد؛ فإن القـرآن العظـيم يكـشف للمتدبر عند كل نظر معنى إضافياً، ووجها جديداً للتناسب، ولذلك قد يرى هذا العالم عند آية معينـة أو سـورة محددة غير ما يراه سواه عند النقطة ذاتها، بل إن العالم الواحد ليرى عند كل نظر جديداً لم يفطن إليه من قبل،

---

(١) بدوي، أحمد أحمد **، من بلاغة القرآن**، (ص:٢٣٩)، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ٣، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م.

(٢) مسلم، مصطفى، **مباحث في التفسير الموضوعي**، (ص٦٥)، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٣) الزركشي، **البرهان** ، (٦٢/١).

(٤) الزركشي، **السابق**، (٦٢/١).

كما قد يصحح قول غيره أو قوله السابق، وثمة شواهد عدة عند البقاعي في نظم الدرر، والسيوطي في تناسـق الدرر، تؤكد ذلك؛ حيث يكرران التصريح بالاهتداء إلى التناسب بعد طول تفكير أو شهور من التفكر والتـدبر، أو يستدرك أحدهما وهو يتحدث عن وجه المناسبة فيذكر ما يراه ألطف منه أو أحسن منه.

فالبقاعي يؤكد في مقدمة تفسيره مقدار الجهد فيه حيث يقول:" فلا تظنن أيها الناظر لكتابي هـذا أن المناسـبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها والرفع لستورها؛ فرب آية أقمت على تدبرها شهوراً"[(1)]، وفي سياق حديثه عن مقاصد سورة آل عمران يقول:" ..هذا ما كان ظهر لي أولاً، وأحسن منه أن... "[(2)]، ويعيد ذات العبـارة فـي سياق المناسبة بين سورتي البقرة وآل عمران:" وأحسن منه أنه لما.. "[(3)].

والسيوطي يكرر عبارة: " وقد ظهر لي وجه اتصالها"، وعبارة:" ثم ظهر لي بحمد ا   وجه آخر أتقن مما تقدم"، و" ظهر لي بعد الجهد" .

ومن الأمثلة أن السيوطي وهو يتحدث عن المناسبات بين سورتي البقرة وآل عمران قال:" فذكر هناك ـ يعنـي في البقرة   ـ ذكر خلق الناس، وذكر هنا تصويرهم في الأرحام، وذكر هناك مبدأ خلق آدم، وذكر هنا مبدأ خلق أولاده. وألطف من ذلك: أنه افتتح البقرة بقصة آدم حيث خلقه من غير أب ولا أم، وذكر في هذه نظيـره فـي الخلق من غير أب، وهو عيسى عليه السلام....إلى آخر كلامه[(4)]"، وقال في المناسبة بين النمـل والقـصص:" ظهر لي بعد الفكرة[(5)]" ، وقوله:" ثم ظهر لي بحمد ا   وجه آخر أتقن مما تقدم[(6)]" وقوله "ثم ظهر لي وجه آخر أحسن في الاتصال[(7)]" وهو يتحدث عن مناسبة الكهف للإسراء.

ومن المعاصرين سيد قطب الذي كان يمضي شهوراً لأجل معرفة وجه الاتصال بين الآية وسابقتها، كما حصل معه عندما استوقفه سر الانتقال المفاجئ من الحديث عن أحكام الطلاق إلى الأمر بالمحافظة علـى الـصلوات والصلاة الوسطى ثم العودة مرة أخرى إلى موضوع الطلاق[(8)]، وينقل الدكتور صلاح الخالـدي عـن الطبعـة

---

(1) البقاعي، **السابق**، (8/1).
(2) البقاعي، **السابق**، (3/2).
(3) البقاعي، **السابق**، (4/2).
(4) السيوطي، جلال الدين ، **تناسق الدرر في تناسب السور**، (ص: 73)، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1406هـ - 1986م.
(5) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص: 108).
(6) السيوطي، **السابق**،(ص: 85).
(7) السيوطي، **السابق**، (ص: 100).
(8) انظر: [البقرة:238]، والآيات السابقة واللاحقة.

الأولى من الظلال قول سيد رحمه ا :" أشهد أنني وقفت أمام هذه النقلة طويلاً، لا يفتح عليّ فـي سـرها، ولا أريد أن أتمحل لها، ولا أقنع كل القناعة بما جاء في بعض التفاسير عنها... ولقد بقيت ستة أشـهر أو تزيـد لا أتجاوز هذه النقلة، ولا أمضي وراءها لأن سرها لم يكشف لي كشفاً يستريح ضميري إليه... وأشهد أنـه لـم يسترح بعد لما اهتديت – حتى اللحظة إليه... فإذا هديت إلى شيء فسأبينه في الطبعة التالية، وإذا هدى ا أحداً من القراء، فليتفضل فليبلغني – مشكوراً – بما هداه ا "[1].

وقد أكد صاحب (البرهان في نظام القرآن) أنه " إذا عجزنا عن اكتشاف النظام في آية أو سورة أو مجموعة من الآيات، أو مجموعة من السور فلن يكون ذلك دليلاً على انتفائه أو عدم وجوده، وإنما يكون دليلاً على عجزنـا وقلة علمنا وقصور فهمنا فقط، فإن العجز عن إدراك حقيقة لا يكون دليلاً على انتفائها، وإنما يكون دليلاً علـى العجز عن إدراكها فقط"[2].

إن دقة هذا العلم تحول دون اشتغال الأكثرين به، بل ربما انصرف كثيرون عن الاطلاع عليـه لهـذا الـسبب، والمشتغلون به ليسوا جميعاً على نفس الدرجة من علو الكعب فيه، ولا يتأتى للعالم دائماً القول الفصل، وربمـا كان كثير مما يقال عنه تكلف ليس كذلك في الواقع.

(٤) **القول بأن المسلمين غير مطالبين شرعاً ببيان المناسبات.**

وهذا القول ابتداء ينظر إلى علم المناسبات على أنه مجرد لطائف، على هوامش علم التفسير، لا على أنه أساس الفهم الصحيح لكتاب ا تعالى، وقد مر ما يشبه هذا الكلام للفراهي في الرد على هذا الظن[3]، ثم كيف يقال إن المسلمين غير مطالبين شرعاً ببيان المناسبات، في وجود الآيات الموجبة لتدبر القرآن الكريم؟ لا بل إن القـول بوجود المناسبات أمر يحتمه الاعتقاد بتنزيه كلام ا سبحانه وتعالى عن الفوضى والتناقض﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء][4].

(٥) **دعوى أن الكلام في المناسبات هو من التفسير بالرأي المنهي عنه شرعاً.**

---

(١) الخالدي، صلاح ، **مدخل إلى ظلال القرآن**، (ص: ١٩٥)، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن** ،(ص٦٠-٦١).

(٣) في المطلب الثاني من هذا المبحث.

(٤) مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، (ص٦٦).

القول بأن التماس المناسبة في الآيات هو تكلم بمحض الرأي المنهي عنه، لا يسلم للشوكاني، لأن الرأي المنهي عنه هو ما كان يفعله أهل البدعة والباطل من تأويل القرآن إلى الهوى، وحمل النصوص على غير مرادها، مما حدا بأهل السنة، كما يقول الفراهي، أن يدعوا إلى الالتزام بما روي عن الصحابة والتابعين سداً لأبواب الفتنة، ولأجل ألا يكون تأويل للقرآن إلا وهو مؤسس على قواعده التي تكون فارقة بين الحق والباطل، ويعجب الفراهي كيف يمتنع أهل الحق عن الفكر والنظر في آيات ا المشهودة والمتلوة، بعد أن علموا أن القرآن حث على الفكر والتدبر في كليهما، وأن الصحابة، رضي ا عنهم، كانوا يقولون بما فهموا منه، وينقلون ذلك عنهم[1].

والتفسير بالرأي، ومنه التماس المناسبة، مثل الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية، فإنه لا يزال مفتوحاً أمام أربابه، والمجتهد في حكم الشرع مأجور، أخطأ أم أصاب[2]. ومن ثمّ فلا ينبغي التشنيع على المفسرين وأهل العلم الذين يلتمسون المناسبة إذا ما أخطأوا الاجتهاد.

(٦) **الاشتراط بأن يقع الكلام في أمر متحد لقبول المناسبة:** على ما قال العز بن عبد السلام، والملاحظ أن الذي قاله العز رحمه ا يكاد يتبناه الكثير من الباحثين حتى من المشتغلين بالتناسب، وسنجد من يعترض على التناسب بين السور، أو الوحدة العضوية في السورة، كما سنجد من يعترض على اتصال اسم السورة بموضوعها، أو على الأقل يبدي شيئاً من التحفظ.

إن المشكلة ليست في أن التناسب موجود في مواضع وغير موجود في مواضع أخرى؛ حيث إنه موجود في كل موضع من كتاب ا تعالى؛ ولكنه ظاهر جلي في مواضع، وخفيّ مستتر يستدعي غوصاً وعمق تفكير في مواضع أخرى، وقد يوفق له العالم أو لا يوفق.

(٧) **الزعم بعدم وجود وحدة موضوعية في السورة.**

حيث يقول الدكتور محمد رجب البيومي:" إن محاولة الربط الوثيق بين أغراض السورة الواحدة مهارة عقلية فائقة، وهي وإن ظهرت بين الآيتين المتجاورتين على نحو من التأويل في بعض ما تختلف به وجوه القول من آيات الذكر الحكيم، فإن بعض السور، لا تكاد تدور على فكرة خاصة بما يساق من هذه المعاني؛ لأن الربط الذي برع فيه بعض المفسرين كان ربطاً جزئياً ينظر إلى الآية المجاورة دون أن يحدد هدفاً واحداً للسورة إلا

---

(١) الفراهي، **التكميل في أصول التأويل**، (ص ٨، ٩) بتصرف، الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند، دت، دط.

(٢) الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون** ،(٢٦٢/١)،دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

بتكاف خاص في الخائضون عن اجتهاد يخطئ ويصيب"[١]. ويلاحظ في كلام البيومي تعريضه بالقائلين بوحدة السورة من خلال قوله بأن محاولة الربط هذه مهارة عقلية فائقة، كما لو كان الحديث عن هذه الوحدة نوعا من إسباغ العقلانية على ما ليس بعقلاني، والغريب أنه، في نفس مقالته،[٢] ينقل عن الرافعي[٣] رحمه ا كلامه عما أسماه روح التركيب[٤] الذي يؤدي إلى أن يتعلق أجزاء النص القرآني بعضه ببعض، كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت، فكيف يقبل ما يؤدي إليه الحس والشعور عند قراءة القرآن الكريم، ثم هو يرفض الأدلة العقلية والبراهين الواقعية المؤكدة لمشاعره وأحاسيسه؟.

إن مشكلة المعارضين للوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، هي أنهم قاسوا السورة القرآنية على مؤلفات البشر وتقسيمهم لموضوعات كتبهم، ونسوا أن القرآن يتعامل مع النفس ليربيها، ولذلك ينوع لها في المداخل والمآخذ، لعلمه سبحانه بالنفس الإنسانية التي هو فاطرها، وأحسن السبل للتأثير فيها.

إن القرآن ينتقل بين الأغراض المختلفة، "لا اعتباطاً وبلا هدف، ولكن لصلات وثيقة تربط بين هذه الأغراض، بحيث تتضافر جميعها في الوصول إلى الغاية القصوى وتحقيقها"[٥].

" إن القرآن كتاب رسالة يتجه إلى بناء الشخصية الإنسانية على أساس مفاهيمها الأساسية، وليس كتاباً تقليدياً يتحرك في اتجاه تحليل فكرة معينة بطريقة موضوعية تحاول أن ترصد الموضوع من جميع جوانبه، كما لو كان شيئاً مستقلاً بنفسه بعيداً عن أي تأثير قريب أو بعيد بالواقع الداخلي للإنسان. وفي ضوء ذلك، نجد القرآن يثير في السورة الواحدة عدة مواضيع متنوعة تختلف في طبيعتها، وفي مواقعها وعلاقاتها بالأشياء، فلا تشعر بوجود وحدة موضوعية تجمع هذه المواضيع في نطاق موضوعي واحد؛ ذلك ليس المشكلة في القضية، بل القضية هي أن هناك جانباً إنسانياً يراد معالجته في عملية صنع الشخصية"[٦].

---

(١) البيومي، محمد رجب، **البيان القرآني**،(ص:١٣٣- ١٣٤)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٢) البيومي، **البيان القرآني**،(ص ١٣٣).

(٣) مصطفى صادق عبد الرزاق الرافعي، أديب وشاعر مصري أصله من طرابلس الشام، دارت بينه وبين كل من العقاد وطه حسين معارك أدبية وفكرية، له: تاريخ آداب العرب، وتحت راية القرآن، ووحي القلم، والمساكين[**الأعلام**: ٢٣٥/٧].

(٤) الرافعي، مصطفى صادق، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**،(ص٢٧٨-٢٧٩)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٧، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

(٥) بدوي، **من بلاغة القرآن**،(ص: ٢٣٠).

(٦) الدغامين، زياد، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي**، (ص ١١٨) دار البشير، عمّان، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م. عن/محمد حسين فضل ا ، في ظل التربية الإسلامية، مقالات المؤتمر الثاني للفكر الإسلامي بطهران.

(٨) الاعتراض على التناسب بين اسم السورة وموضوعها

يكتنف موضوع المناسبة بين موضوع السورة واسمها ما يكتنف مباحث التناسب جميعها، من حيث إنها ليـست كلها في غاية الجلاء والوضوح، وكأن الله تعالى جلّى لنا بعضها ليحفزنا على التدبر بحثاً عما خفي منها، ومـا قيل في الرد على منكري المناسبة عموماً، يقال هنا أيضاً في مواجهة المعترضين على ارتبـاط اسـم الـسورة بموضوعها، سواء لخفائه أو لتكلف القائلين به، ولكن لا يسعنا إنكاره، سيما وقد ثبـت جميـع أسـماء الـسور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، كما نُقل في المبحث الأول عن السيوطي.

إن إيماننا بتوقيفية أسماء السور، يقتضي البحث عن الحكمة من وراء هذه التسمية الربانية، حيـث لا يعقـل أن يصدر عن أحكم الحاكمين إلا كل أمر حكيم، وخفاء الحكمة لا يعني عدم وجودها.

يقول الزركشي في أسماء السور:" ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة بما هو أشـهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكـر قـصة البقـرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها"[1].

وقول الزركشي أنه ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، حق، ومن ثمّ فالمطلوب البحـث عن الحكمة الإلهية في التسمية، لكن لا يسلم له ما بعده؛ لأنه يسقط الأسباب البشرية والعادة العربية على الـذات الإلهية والحكمة الربانية؛ حيث إن التسمية لهذه السور توقيفية ابتداء، لا أن الله - تعالى- استوقفه أمر نـادر أو بارز أو غريب فسماها لأجله، وكونها منزلة للبشر عموما والعرب ابتداء، لا يعني أنها قد خضعت لقوانينهم.

وكذلك فإن أستاذنا الدكتور فضل عباس مع تأكيده بأن أسماء السور توقيفية – كما نقلنا عنه في المبحـث الأول من هذا الفصل - فإنه لا يرى بأنه من الممكن تعليل جميع أسماء السور، حيث يقول في (إتقان البرهان):" حاول بعض العلماء أن يعللوا أسماء السور، ولكن إن تم هذا لهم في كثير منه، فلن يتم لهم في كثير منها كذلك، فممـا قُبل تعليله: سورة يوسف وسورة نوح عليهما السلام، حيث إن كل سورة تتحدث عن النبي الذي سميت باسـمه، وقد قالوا: إن سورة هود عليه السلام، سميت باسمه مع كون قصة نوح فيها أطول من قصة هـود؛ وذلـك لأن

---

(١) الزركشي، **البرهان**، (١/ ٣٤٠).

لنوح عليه السلام سورة خاصة به، ولأن اسم هود عليه السلام لم يذكر في سورة كما ذُكر في هذه السورة، فقـد ذُكر فيها أربع مرات".

ويتابع الدكتور فضل عباس:" ولكن هذا التعليل لا يتم لنا – كما قلت – في سور القرآن كلها، فعلى سبيل المثال: سورة يونس – عليه السلام – لم تذكر فيها قصته، وإنما ذُكر فيها آية واحدة وهي قوله تعـالى:﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ [يونس: ٩٨]، مع أن قصته عليه السلام، ذكرت بشيء من التفصيل في سورة الصافات كما ذكرت في غيرها، فكانت سورة الصافات وغيرها أولى أن تسمى سورة يـونس، لـو أن الأمـر يخضع للتعليل"[١].

والربط بين التسمية وعدد مرات تكرر الاسم في السورة منطقي، كما ذكروا بالنسبة إلى سـورة هـود، ومـن المناسب أخذه بعين الاعتبار كأحد أسباب التسمية، لكن ما قيل من أن سبب تسمية سورة هود - مـع أن قـصة نوح فيها هي الأطول – هو أن لنوح سورة خاصة به، فغير مقبول؛ لأن الكلام يوحي بأن تسمية هـود كانـت اضطرارية، وهذا القول إن قُبل في حق البشر فلا يقبل بحال بالنسبة إلى ا تعالى، وكذلك فـإن هـذا القـول يوحي بأن سورة نوح نزلت قبل هود، فيما تذكر كتب علوم القرآن أنها نزلت بعدها، وأنه قد نزل بين السورتين ما يقارب العشرين سورة[٢].

إن القول بأن أسماء الكثير من السور لا تخضع للتعليل، مقبول إذا قصد بالعلـة الوصـف الظـاهر المنـضبط المناسب- بحسب التعريف الأصولي-[٣]، وأما إن قصد الحكمة التي تـستخرج وتـستنبط بالاجتهـاد والتـدبر والمقاربة طلباً فلا شك أن الأمر يختلف.

وحيث إن أمر التسمية مرتبط بالوحي الإلهي، وليس المقياس هو المساحة التي يأخذها الاسم من السورة حتـى نحكم بأنه يعال أو لا يعال، بل إن الإشارة السريعة أو اللمحة الخاطفة للاسم في السورة، لتستوجب منـا تفكـراً أعمق وتدبراً أكبر، سعياً وراء حكمة التسمية، كما في سورة يونس وأمثالها.

كذلك فقد اعترض الدكتور زياد الدغامين على قول البقاعي بأن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، وقال بأن هذا:" أمر بحاجة إلى إعادة نظر، فضلاً عن أن بعض السور لها أسماء مختلفة كسورة غافر، أو سورة المؤمن،

---

(١) عباس، **إتقان البرهان**، (٤٤٤/١-٤٤٥).

(٢) الداني، **البيان في عد آي القرآن**، (ص١٣٦)، الزركشي، **البرهان**،(٢٤٩/١).

(٣) أبو زهرة، محمد، **أصول الفقه**، (ص٢٣٧)، دار الفكر العربي، بيروت، دط، دت.

فكل اسم سورة أطلق عليها باعتبار يغاير الاعتبار في الاسم الآخر، فكيف يكون الاسم – مع هذا – مترجماً عن مقصودها؟"[1]. علما بأن الدكتور الدغامين لا ينكر" أن يدخل اسم السورة ليدل على موضوعها أو ليشكل دعامة في ذلك الموضوع"[2].

إن كلام الدكتور الدغامين يجيب عن تساؤله، فما دام أن كل" اسم سورة أُطلق عليها باعتبار"، أي لعلة وحكمة إلهية، فهذا يقتضي التفكر فيه، وأما تعدد الاعتبارات بتعدد الأسماء فلا يلغيها، بل يستدعي ملاحظتها كلها، وفي وجود اسمين توقيفيين لسورة واحدة، دعوة للنظر إليها من خلال زاويتين لا زاوية واحدة، وهذا عامل مساعد لحسن التدبر وفهم مراد الله تعالى، وليس عاملا مربكاً أو موقعاً في البلبلة والاضطراب، سيما وأن تغاير الاعتبارات لا يعني تناقضها بل تنوعها وتكاملها، وقد رأينا أن الصحابة- رضي الله عنهم- ومن بعدهم قد أطلقوا الأسماء والأوصاف والألقاب على السور الكريمة، انطلاقاً من ملاحظ التفتوا إليها، أو أرادوا من غيرهم الالتفات إليها، لمزيد الإيضاح والبيان.

وخلاصة القول أن:" التوقيف في أسماء السور يجعل من اسم السورة عنواناً بارزاً لمحور المعنى أو المعاني المتناسقة التي تتضمنها السورة، كما أن الأسماء التي ذُكرت زيادة على الأسماء التوقيفية ترتبط كذلك لدى المفسرين من الصحابة وتابعيهم بالمعاني التي تتضمنها السورة[3]"؛ وعليه" فعنوان السورة – أو اسمها – مفتاح لمعانيها"[4].

(٩) **الادعاء بأن القرآن جاء على طريقة العرب في الكلام وهي الاقتضاب**:

والاقتضاب: هو قطع الكلام واستئناف كلام غيره بلا علاقة تكون بينه وبينه[5]، حيث ينسب إلى أبي العلاء محمد بن غانم[6] قوله:" إن القرآن إنما وقع على الاقتضاب، الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير

---

(1) الدغامين، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، (ص ١٠٣).

(2) الدغامين، **السابق**، (ص ١٣١).

(3) سعيد، محمد رأفت، **سورة لقمان بين كلمة التنزيل وتناسب الترتيب**،(ص١٢)، دار المنار، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، د.ط.

(4) سعيد، **السابق**،(ص١٣).

(5) ابن الأثير الجزري، ضياء الدين، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، (٢٤١/٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

(٦) أبو العلاء، محمد بن غانم، المعروف بالغانمي، ولد بنيسابور عام ٤٦٤هـ، كان من فضلاء عصره، وشعره مشهور، من شعراء نظام الملك، [عز الدين ابن الأثير، **اللباب في تهذيب الأنساب**، ٣٧٤/٢].

ملائم!! "[1]، ثم تابعه الشوكاني ليقول بأن القرآن الذي نزل بلغة العرب، قد سلك مسالكهم في الكلام، وجرى مجاريهم في الخطاب، إذ كانت عادتهم أن يأتوا بفنون متخالفة وطرائق متباينة، في المقام الواحد، فضلاً عن المقامين فضلاً عن المقامات.

ويرد الدكتور أسد سبحاني بأن " العرب كانوا أبعد الناس عن الاقتضاب، وكانوا أرغبهم في دقة السبك وحسن النظام، حتى إنه كان يعتبر عندهم مقياساً لجودة كلامهم وبلاغته"[2]، واستشهد على ذلك بأقوال بعض بلغاء العرب، من مثل:" البلاغة أن يكون أول كلامك يدل على آخره، وآخره يرتبط بأوله"[3]. فهذا واقع طريقة العرب في الكلام شدة التماسك والارتباط، أما منشأ الوهم بأن طريقتهم الاقتضاب – كما يفسره أسد سبحاني - فإنه لما كانت البلاغة عندهم الإيجاز وقلة اللفظ، وكان الأصل في كلامهم تنكب الفضول وبلوغ المعنى ولما يطل سفر الكلام؛ كانوا يقفزون في كلامهم قفزات واسعة، وكانوا يحذفون من الحديث ما كان مفهوماً لدى السامع، ولو لم يفعلوا لكان عاراً عليهم، فإنهم بطبيعتهم كانوا يحبون الكناية في الكلام، وعندهم أن الكلام الذي لا حذف فيه لا محل فيه للعقل والنظر، كما نقل عن الفراهي، وكان ذكاؤهم يريهم الكثير في القليل، وكانوا يقولون منوهين بميزته هذه:" الحر تكفيه الإشارة"[4]، وهذا الإيجاز في الكلام وسرعة الانتقال من مقال إلى مقال أصبحت آفة عند الذين جاءوا من بعدهم، فإنهم نشأوا على الإسهاب في القول والإفاضة في الكلام لقلة حظهم من ذوق البلاغة وذكاء القريحة وحسن البيان.

ويتابع أسد سبحاني أنه لما استعصت عليهم متابعة الشاعر العربي في تخلصاته السريعة اللطيفة اتهموه بالاقتضاب، وكان أولى بهم أن يتهموا أنفسهم هم بالعجز، دون أن يتهموا التراث الأدبي العربي بما هو بريء منه[5].

وما ورد من الاقتضاب في الكلام العربي، فلا يكاد يخلو منه كلام في أي لسان، وقد كانوا هم أول ناقديه، ولم يكن معدوداً عندهم من الكلام البليغ. ولعل بعض الاقتضاب يرجع إلى ما أصاب الشعر الجاهلي من نسيان بعض أجزائه ونسبة الرواة بعضاً من أجزائه إلى غير قائله، والانتحال. وإذا كان ذلك حال الشعر فإن إمكانية

---

(1) السيوطي، **الإتقان**، (٢٣٧/٢).

(2) سبحاني، **إنعام النظر**، (ص:٨٣).

(3) ابن رشيق، **العمدة**، (٢٤٤/١).

(٤) الميداني، **مجمع الأمثال**، (رقم ٢٤٤٧)، وهو عجز البيت : (العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة).

(5) سبحاني، **إنعام النظر**،(٩١، ٩٢)، بتصرف.

الخلل في النثر أكبر؛ لأنه غير منظوم[1]. وقد سبقت الإشارة إلى ما كان يذكره شيخ المفسرين الطبري عن حذف بعض الكلام لظهوره[2].

وخلاصة القول أن الاقتضاب ليس من خصائص الكلام العربي، بل هو عيب في الكلام ونقص في صاحبه، يتنزه عنه الكلام البليغ فضلاً عن أبلغ الكلام.

(١٠) **الظن بأن التناسب يعني التماثل**:

سبق القول في مقدمة هذا المبحث أن المناسبة مدعاة للتشابه، وإن كان مجرد المناسبة لا يقتضي بالضرورة حصول المشابهة، وبحسب الدكتور دراز، فإن بعض الباحثين ظنوا أن المناسبات الموضعية بين أجزاء السورة تعني الاتحاد أو التماثل أو التداخل أو غيرها من الصلات الجنسية فحسب، وقد أدى هذا الظن إلى أن يتعسف البعض في إثبات هذا النوع من الاتصال، وفريق آخر – إذ لم يجد التشابه - نفى وجود الاتصال، وادعى أن الاقتضاب هو الأصل في القرآن وكلام العرب.

وبرأي دراز فإن" التزام طريق معين في المناسبة وهو أن تكون من قبيل التجانس المعنوي زادت المسألة ضيقاً وحرجاً، وذلك أفضى هذا الرأي بأصحابه إلى أحد الطرفين المذمومين: التكلف أو الخروج"[3].علما بأن الصلات بين أجزاء القرآن، كما بين الكلام عموماً، قد تكون التشابه أو التضاد أو التفريع أو الاستنباط أو التمهيد أو غيره[4].

وقد خلص الدكتور محمد بازمول بعد مناقشته لمذهب المانعين للتناسب، والمطلقين بالجواز إلى حد التكلف، إلى أن الصواب هو جواز طلب المناسبات بين السور والآيات، وأنه علم حسن، ولكن بشروط، هي:

أ) أن تكون المناسبة منسجمة مع السياق والسباق واللحاق.

ب) أن لا تكون المناسبة متعارضة مع الشرع.

ت) أن تكون متوافقة مع تفسير الآية، غير مخالفة له مخالفة تضاد.

ث) أن لا تكون المناسبة متعارضة مع اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن العظيم.

---

(١) فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، (٨٦/١-٨٩)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٤م.

(٢) في المطلب الثاني من هذا المبحث.

(٣) دراز، **النبأ العظيم**، (ص ١٦٠).

(٤) دراز، **السابق**،(ص ١٦١).

ج) أن لا يجزم المفسر بأن هذه المناسبة هي مراد الله تعالى، غاية الأمر أن هذا ما أداه إليه اجتهاده ونظره وتدبره.

ح) أن يعلم أن المناسبة موجودة، ولا يلزم أن تكون ظاهرة في كل موضع لكل أحد.

وقد انتهى إلى أنه يشترط لجواز طلب المناسبات ما يشترط في قبول التفسير بالرأي، لكونها مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً[1].

ولعل الأنسب من قول الدكتور محمد بازمول أن طلب المناسبات جائز شرعاً، أن يقال بأن حكمه هو أنه مندوب وقد يصل إلى الوجوب؛ إذ ينبني على البحث في موضوع المناسبات القرآنية حسن فهم مراد الله تعالى في قرآنه، كما سيأتي في المبحث التالي.وكأن الدكتور الفاضل ربما هالته حدة النبرة في كلام الشوكاني رحمه الله، فأراد التوسط بين فريق المانعين الذين يشددون النكير، وفريق القائلين بالتناسب الذين لا يخلو بعض كلامهم من التكلف، وقد سبق القول بتراجع الشوكاني نفسه عن مقالته، فما ينبغي أن تُجعل في مقابلة أئمة العلم من القائلين بالتناسب عبر العصور.

(١) بازمول، **علم المناسبات بين السور والآيات**، (ص٣٧).

المطلب الرابع

أهمية علم المناسبات

تعرض غير واحد من الذين تكلموا في المناسبات إلى فوائدها وثمراتها ومزاياها، وهناك العديد من القواسم المشتركة فيما يقولون، وقد أفاض في ذلك البقاعي وأسد سبحاني، وسعيد حوى، وغيرهم، والسطور الآتية تسعى لاقتطاف أبرز ما قيل:

١) فهم مراد الله تعالى في كتابه، وعدم الوقوع في اللبس أو الخطأ

فمثلاً استند كثير من القدماء والمعاصرين على هذا الجزء من قوله تعالى على لسان العزيز: ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [يوسف]؛ في القول بأن ذلك تقرير إلهي بأن كيد النساء عظيم، حيث غفلوا عن أن القائل هو العزيز، وكون القرآن أورد قوله لا يعني بالضرورة موافقته عليه، وكم قد اقتبس القرآن من أقوال الكفار والمنافقين! فضلاً عن أن هذا القول من العزيز دليل على ضعف شخصيته وعجزه أمام انحراف زوجته[1].

و في قوله تعالى ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾ [التين: ١ - ٣]، فإن من رجح من العلماء بأن التين والزيتون من المواضع لا من المأكول استدل بقوله:" أما كونهما من المواضع فقد دل عليه السياق، لأنه تعالى قرن التين والزيتون بطور سينين والبلد الأمين؛ فدل النظم على كونهما اسمين لموضعين[2]".

٢) معرفة المناسبة والنظام مفتاح لكثير من كنوز القرآن وحكمه

يقول الإمام الرازي إن" أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[3]، والبقاعي يؤكد أن " المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف، بديعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر"[4]، وقال الفراهي:" ولما كان أكثر الحكم ومعالي الأمور مخبوءة تحت دلالات النظم، فمن ترك النظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه"[5].

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، (١٢٧/٢)، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢) الندوي، أبو الحسن الحسني، **تأملات في القرآن الكريم**، (ص١٠٤)، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩١م.

(٣) الرازي، **التفسير الكبير**،(١١٠/٤).

(٤) البقاعي، **نظم الدرر**،(١/ ٨).

(٥) الفراهي، **دلائل النظام**، (ص ٣٨).

ويجد القارئ أن المفسرين، والمشتغلين بعلوم القرآن والدراسات القرآنية، كثيراً ما يتوقفون عند السر في اختتام آية ببعض الأسماء الحسنى واختتام غيرها بغيرها، وكذا التوقف عند ما أسموه براعة الاستهلال بالنسبة لسورة معينة، أو حسن اختتامها، والمعنى من تتالي آيتين أو سورتين، زائداً على القول السابق في تفسير كل منهما على حدة، ومثله في ترتيب المواضيع في الآية الواحدة، كالسر في ترتيب أركان الإيمان في الآية الكريمة (آمن الرسول...) [البقرة:٢٨٥]، أو الحكمة في ترتيب وجوه البر، في قوله تعالى: (ليس البر...) [البقرة:١٧٧]، والمعاني من كون الفاتحة في أول المصحف، والمعوذتين في آخره.

٣) إظهار أسرار الإعجاز القرآني والكشف عن كنوزه

التناسب وجه من وجوه الإعجاز القرآني، ودليل آخر على ربانية هذا الكتاب العظيم، يقول البقاعي في نظم الدرر :" وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين : أحدهما : نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني : نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب "[(١)].

وحول الإعجاز في الترتيب، يقول الفخر الرازي في ختام تفسير سورة البقرة:" ومن تأمل في لطائف تفسير هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب ألفاظه وشرف معانيه، فهو معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته"[(٢)]. وقال الشيخ أبو بكر النيسابوري:" إن إعجاز القرآن البلاغي لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية، والقوية بين آياته وسوره، حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة، ترتيباً وتماسكاً"[(٣)].

وعند الأستاذ سعيد حوى أن مثل هذه الدراسات " تضع لبنة في صرح الحديث عن إعجاز القرآن ومعجزاته... (و) أن هذا الترتيب ما بين سور القرآن على هذه الشاكلة التي رتبها الله عز وجل في كتابه، شيء به وحده تقوم الحجة على كل من يتصور أن هذا القرآن يمكن أن يكون بشري المصدر"[(٤)].

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر**،(٧/١).

(٢) الرازي، **التفسير الكبير**،(١٠٦/٣).

(٣) حسن، سامي عطا، **المناسبات بين الآيات والسور**، www.saaid.net ، نقله عن: رضوان، د. بسيوني عرفة، الفصل والوصل،(ص ٣٩) مكتبة الرسالة، القاهرة.

(٤) حوى، **الأساس في التفسير**، (٢٥/١).

٤) **النظام يكشف عن قدر الأمور وأهميتها**

ومثال ذلك معرفة سر اقتران طاعة الرسول ﷺ بطاعة ا تعالى في كثير من الآيات، ومغزى مجيء الزكـاة بعد الصلاة في عدة مواطن من كتاب ا ، وأهمية الإحسان بالوالدين إذ جاء تالياً للأمر بالتوحيد في أكثر مـن موطن.

وينقل سبحاني عن الإمام الفراهي قوله:" وقد عظم بيان الجمعة عندي حين علمت كيف مهد ا قبلها من ذكـر تسبيح ما في السماوات والأرض، وصفاته الحسنى وفضله على الأمة، وخسران اليهود على استخفافهم بحكـم ا ، فقد رغّب، ثم رغّب، ثم رهّب، ثم ذكر أحكام الجمعة"[(١)].

ويضرب "سبحاني" لذلك مثلاً صلاة الجمعة، وكيف يمكننا أن ندرك أهميتها ومكانتها في الدين من خلال النظر في نظام السورة وارتباطاتها بالسور المجاورة[(٢)].

فقد قرنت سورة الجمعة بسورة الصف، وهذا القران يوحي بأن صلاة الجمعة إعداد وتـرويض للجهـاد، وإذا كانت سورة الصف قد أشادت بالذين يقاتلون في سبيل ا صفاً كأنهم بنيان مرصوص، فإن سورة الجمعة نفـت أن يكون الذين هادوا أولياء من دون الناس بدليل أنهم لن يتمنوا الموت بما قدمت أيديهم، وهـل الجهـاد إلا الشوق إلى لُقيا ا تعالى؟.

وفي ذلك يؤكد الفراهي: واعلم أن ذكر الجمعة ها هنا بعد سورة الصف وآية تمني الموت، يشير إلى أنها مـن أسباب القيام بالجهاد[(٣)].

ومن جهة أخرى فإن اقتران سورة الجمعة بسورة المنافقون، تلميحاً إلى أن الغفلة عن صـلاة الجمعـة مـن أمارات النفاق[(٤)].

٥) **تكميل المقصود من كل سورة وفهم المراد من القرآن**

شدد الإمام ابن تيمية، على ضرورة تحزيب القرآن على السور، لا على عدد الكلمات والحروف، كما أكـد على أهمية قراءة السورة كاملة في الصلاة لا قراءة جزء من وسطها أو آخرها، وأن ذلك هـو الـسنة وفعـل

---

(١) سبحاني، **إمعان النظر**، (ص ١٦٧)، نقلاً عن مخطوط" مذكرات القرآن" للفراهي.
(٢) سبحاني، **السابق**، (ص ١٥٩- ١٦٧)، بتصرف كبير وتلخيص.
(٣) سبحاني، **السابق**، (ص١٦٧).
(٤) سبحاني، **السابق**، (ص ١٦١).

الصحابة والتابعين، ثم بين الحكمة فقال :" وفي ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض، والافتتاح بما فتح ا به السورة، والاختتام بما ختم به، وتكميل المقصود من كل سورة"[١].

وكان الزركشي أكد أن فائدة التناسب "جعل أجزاء الكلام آخذاً بعضها بأعناق بعض، فيقوى بـ ذلك الارتبـاط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم ، المتلائم الأجزاء"[٢]، والجعل المقصود هنا هو الجعل في الـ ذهن؛ لأن واقع حال القرآن أنه كالبناء المحكم، لكن صاحب النظرة العجلى قبل التدبر، قد يقع في وهم عـ دم ارتبـاط آي القرآن وسوره بعضه ببعض.

٦) بيان وتوضيح ما يظن أنه تكرار في القرآن

وموضوع التكرار في القرآن قد تكلم فيه كثيرون، والراجح أنه ليس في القرآن تكرار وإنما هو التشابه، سـ واء في ذلك القصص أو العقيدة وغيرهما؛ حيث يقول البقاعي متحدثاً عن أهمية التناسب: " وبه يتبين لـ ك أسـ رار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدّعي في تلك السورة استدل عليه بتلـ ك القـ صة غير المعنى الذي سيقت له"[٣].

وفي نفس المعنى يقول صاحب الظلال:" ويحسب الناس أن هناك تكراراً في القـ صص القرآنـ ي، لأن القـ صة الواحدة يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة مـ ن قـ صة قـ د تكررت في سورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة كـ ان هناك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار"[٤].

ويقول الدكتور فضل عباس بأن المتدبر لآيات العقيدة: " يجد أنها خالية من التكرار، لأن كل موضع كُررت فيه العقيدة، نجد فيه معنى ومعلماً وفائدة، لا نجدها في الموضع الآخر"[٥].

ومن الأمثلة على ما قد يظنه البعض تكراراً:

---

(١) ابن تيمية، **مجموعة الفتاوى**، (٢٢٤/١٣)، دار الوفاء بالمنصورة، ومكتبة العبيكان بالرياض، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) الزركشي، **البرهان**، (٦٢/١).

(٣) البقاعي، **نظم الدرر**،(٨/١).

(٤) قطب، **في ظلال القرآن** : (١/ ٦٤) .

(٥) عباس، فضل، وعباس، سناء فضل، **إعجاز القرآن الكريم**، (ص ٢٢٩)، دار الفرقان، عمان، ١٩٩١م.

أ - التشابه بين قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [البقرة: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾[الأعراف: ١٦٠].

النظرة العجلى للآيتين قد توقع صاحبها في الظن بأن الآيتين كلتيهما تتحدثان عن ذات الواقعة، وربما قال بعض المفسرين: عند آية الأعراف، " قد مر تفسيره في البقرة"، كما فعل صاحب غرائب القرآن[(١)]، أو كما ذكر في زاد المسير:" قوله تعالى:(فانبجست منه)، والقصة مذكورة في سورة البقرة:٥٨ – ٦٠"[(٢)].

لكن عند التدقيق يتضح أن الانبجاس غير الانفجار، وهو أضعف منه، فالانبجاس" أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع"[(٣)]، فالذي استسقى في آية البقرة هو موسى عليه السلام، فكان الانفجار، والذي استسقى في الأعراف هم قومه، وهم أقل كرامة على الله تعالى منه، فكان الانبجاس، وليس هناك ما يشير إلى تقدم إحدى الحادثتين على الأخرى، أو مقدار الزمن بينهما. وكل حادثة منهما تتناسب مع الجو العام للسورة التي وردت فيها، فالانفجار يتناسب مع سورة البقرة وسياقها الذي يركز على "تعداد النعم على بني إسرائيل"[(٤)]، وتفضيلهم على العالمين والإنعام عليهم، والانبجاس يتناسب مع سورة الأعراف التي فيها قوله تعالى﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ، تلخيصا لحال العديد من الأمم التي ورد ذكرها في السورة، ما يعني أن المقطع المذكور فيه نفس الخاصية، وهي قلة البركة، " والمقام مقام تقريع وتأنيب، فإن بني إسرائيل قوم لا يتعظون؛ فإنهم بعدما أنجاهم من البحر وأغرق آل فرعون طلبوا من موسى أن يجعل لهم أصناماً يعبدونها، وعندما ذهب موسى لميقات ربه عبدوا العجل"[(٥)].

---

(١) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمي، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، (٣٣٧/٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٢) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (٣/ ٢١١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٣) الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن** ،(ص٤٦).

(٤) السامرائي، فاضل صالح، **التعبير القرآني**، (ص٣١٢)، دار عمار، عمان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٥) السامرائي، **السابق**، (ص٣١٣).

ب - التشابه بين قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ [إبراهيم:٣٥]. حيث قال صاحب زاد المسير وهو يفسر آيـة سـورة إبراهيم:" قوله تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾، قد سبق تفسيره في سـورة البقـرة"[١].

والصواب ما أورده صاحب فتح البيان بقوله:" والفرق بين ما هنا وما هنالك أن المطلوب ههنا مجرد الأمن للبلد، والمطلوب هنالك البلدية والأمن"[٢].

والذي في البقرة يتناسب مع جو النعم فيها ولذلك اجتمع فيها طلب النعمتين، لكن في سورة إبراهيم جاء سـؤال طلب الأمن للبلد مقترناً بسؤال الله تعالى أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، التي يقارفها أهل مكة الذين يدعون أنهم على دين إبراهيم، وبين ظهرانيهم نزلت السورة المسماة باسمه عليه السلام.

ج - التشابه بين قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج]، وقوله تعالى:﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات]، وهنا أيضاً سنجد من يقول بأن الآيتين تتحدثان عن الموضـوع ذاته، مثل صاحب التفسير الكاشف، فإنه في سورة المعارج عندما وصل تفسير الآيتين (٢٤، ٢٥)، قال:" يبذلون في سبيل الطاعات والخيرات لوجه الله تعالى لا يبتغون جزاء ولا شكوراً، وتقدم مثله في الآية ١٩ من سورة الذاريات"[٣].

لكن السياق في المعارج يتحدث عن(المصلين)، فيما يتحدث الـسياق فـي الـذاريات عـن (المتقـين المحسنين)، الأمر الذي يقتضي أن صنيعهم أعظم، وقربتهم أكبر، فقد كانوا قليلاً من الليـل مـا يهجعـون وبالأسحار هم يستغفرون، وهو ما يتبين لنا إذا أنعمنا النظر في الفرق بين الآيتين، حيـث تـصف سـورة المعارج الحق الذي في أموال المصلين بأنه معلوم، وتتركه سورة الذاريات مجرداً عن الوصف والتحديـد، وذاك هو الفرق بين الطائفتين، لأن المتقين المحسنين لا يكتفون بقدر معلوم ينفقونه من أمـوالهم، وربمـا استغرقت النفقة عند أحدهم، كل ماله أو جله.

---

(١) ابن الجوزي، **زاد المسير**، (٢٧٨/٤).

(٢) القنوجي، صديق بن حسن، **فتح البيان في مقاصد القرآن**،(١٢١/٧)، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) مغنية، محمد جواد، **التفسير الكاشف**، (٤١٨/٧)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.

٧) ملاحظة اقتباسات النبيﷺ وأصحابه من نظم القرآن الكريم .

والناظر في أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام لا بد أن يلاحظ المواطن العديدة التـي يظهـر فـي اقتباسه عليه السلام من مشكاة القرآن الكريم، والإفادة من النظم القرآني؛ يقول الدكتور سبحاني:" فـإذا تأمـل الباحث في نظام الآيات ورباط معانيها، ثم وصل إلى ما يجد له تأييداً في كلام النبوة وآثارها، ازداد بذلك ثقـة وارتياحاً إلى ما فتح ا عليه من خزائن حكمته، كما ازداد انشراحاً واقتناعاً بصحة ذلك الحديث الذي وجد لـه أصلاً في تنزيله"[(١)].

مثل قول النبي صلى ا عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتـزوج؛ فإنـه أغـض للبصر، وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[(٢)]، فهذا الحديث الشريف مستفاد من الآيات الكريمـــة: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾[النور] ، فالآيتـان الأولى والثانية تأمران بغض البصر وحفظ الفروج، ثم تأتي الثالثة لتأمر بتزويج الأيامى والصالحين من العبـاد والإماء، حيث يفيد نظم الآية أن النكاح يكون معواناً على غض البصر وحفظ الفرج، وأما الأمر بالـصوم فـي نهاية الحديث لمن لا يقدر على الزواج فهو مـستفاد مـن نظـم الآيـة الكريمـة: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا

---

(١) سبحاني، **إمعان النظر**، (ص ٢٥٨).

(٢) البخاري، كتاب الصوم، (رقم(١٩٠٥)، وكتاب النكاح رقم (٥٠٦٥، ٥٠٦٦)، صحيح مسلم، رقم (١٤٠٠).

وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب]، حيث جاء حفظ الفروج تالياً لصفة الصوم، الأمر الذي يلمح إلى أنه كالسبب له.

ب ـ وعن ابن عباس ، قال : كنتُ خلفَ رسول ا ِ يوماً ، فقالَ : يا غلام ، ألا أُعلمـك كلمـات :احفـظ ا َ يحفظك ، احفظ ا َ تجده تُجاهك ، إذا سألتَ فاسأل ا َ ، وإذا استعنتَ فاستعن با ِ ، واعلم أن الأمـةَ لـو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه ا   لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بـشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه ا ُ عليك، رفعت الأقلام، وجفّت الصّحف)[1].

والحديث السابق يكاد يكون مستوحى من سورة الكهف، التي موضوعها الأساس حفظ الفتية المؤمنين فـي الكهف من القوم الكافرين وحتى من الوحوش والحشرات والشمس والتربة، وكذا حفظ الدين بحفـظ كتابـه الذي لم يجعل ا   له عوجا ولا مبدل لكلماته، فضلاً عن أن جو الحفظ يتعلق بسائر قصص الـسورة مـن حفظ السفينة والوالدين المؤمنين، والغلامين اليتيمين، ثم حفظ القوم الذين لا يكادون يفقهـون قـولاً، مـن يأجوج ومأجوج، بالردم الذي أقامه ذو القرنين، فالحديث فيه حفظ المؤمن الحافظ لأمـر ا ، وفيـه حفـظ كلمات ا   التي لا مبدل لها، كما يؤكده قوله عليه السلام في البداية:(إني أعلمك كلمات)، وفـي الختـام:(رفعت الأقلام وجفت الصحف)، وفي السورة التأكيد على أنه لا مبدل لكلمات ا .

وبالمثل فإن أقوال الصحابة رضوان ا   تعالى عليهم، تؤكد أنهم كانوا يراعون النظم القرآني، وترتيب كلمه وآياته، ويأتي أسد سبحاني بشاهدين على قوله هذا[2]، أولهما تصميم أبي بكر رضي ا   عنه علـى قتـال مانعي الزكاة، واحتجاجه بالقول: "وا   لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة[3]"، أي ما يكون لنا أن نفـرق بين الصلاة والزكاة، ما دام أن ا   تعالى قد قرن بينهما في كتابه، ما يعني أن مرتبة الزكاة تاليـة لمرتبـة الصلاة، ما دامت قد جاءت بعدها في نظم القرآن الكريم.

والشاهد الثاني: يوم السقيفة إذ قال قائل الأنصار:" منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش"، وعنـدما احتـد النقاش، وكاد أن يتفاقم الأمر، قام أبو بكر فكان مما قاله:" يا أيها الناس نحـن المهـاجرون، أول النـاس

---

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة، رقم(٢٥١٦)، وأحمد في مسند عبد ا   بن عباس، رقم(٢٥٣٧)، والألباني، **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، رقم(٧٩٥٧).

(٢) سبحاني، **إنعام النظر**، من(ص ٢١٢- ٢١٥)، بتلخيص واختصار.

(٣) ابن كثير، **البداية والنهاية**، (٣١١/٦)، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٦٦م.

إسلاماً... أسلمنا قبلكم، وقُدّمنا في القرآن عليكم[1]، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، حيث استدل أبو بكر على أحقية المهاجرين بسابقتهم في الإسلام، وبتقدم ذكرهم على الأنصار في القرآن.

ولعل عدداً من النقاط السابقة التي أوردها الدكتور أسد سبحاني وغيره، ناتجة عن الفهم الأصح الذي يقود إليه نظام الآيات وملاحظة الارتباط بينها.

٨) **ترجيح القول بتوفيقية ترتيب السور القرآنية:** ذكر الأستاذ سعيد حوى أن إبرازه لنظرية الوحدة القرآنية، سيؤدي إلى أن يزداد " ترجيح بعض الجوانب التي وقع فيها خلاف، كقضية: أن ترتيب السور توقيفي وليس اجتهاديا، فمع أن جماهير الأمة ذهبت إلى هذا؛ فإن هذا التفسير- يقصد كتابه الأساس – سيبرهن على هذا الموضوع بشكل عملي"[2]. ومن اللطيف أن موضوع التناسب القرآني ينطلق من فكرة أن ترتيب السور والآيات توقيفي من خلال النقل، ثم ينتهي البحث إلى تأكيد هذه الفكرة وتعزيزها بعد إعمال العقل.

٩) **الرد على شبهات المستشرقين، وأعداء الإسلام عموماً:** وفي ذلك يقول الأستاذ سعيد حوى: " ولقد سئلت أكثر من مرة، من بعض من عرضت عليهم وجهة نظري، في فهمي للصلة بين الآيات والسور عن فائدة هذا الموضوع، وكنت أجيبه بأن هذا الموضوع فيه رد على شبهة أعداء الإسلام الذين زعموا أن هذا القرآن لا يجمع آياته في السورة الواحدة جامع ولا يربط بين سوره رابط، وذلك لا يليق بكلام البشر فكيف بكلام رب العالمين، إنها لشبهة فظيعة جدا أن يحاول محاول إشعار مسلم بأن كتاب الله ينزل عن كتاب البشر في هذا الشأن، وقد استطعت بحمد الله أن أبرهن على أن كمال القرآن في وحدة آياته في السورة الواحدة وكماله في الوحدة الجامعة التي تجمع ما بين سوره وآياته على طريقة لم يعرف لها العالم مثيلا، ولا تخطر على قلب بشر، لقد استطعت بهذا أن أرد السهم إلى كبد راميه من أعداء الله في هذه النقطة بالذات " [3].

وقد طعن كثير من المستشرقين والمنصّرين في الوحدة ، وزعموا أن آيات القرآن لا يجمعها سياق وليس بينها وفاق ،وأوصوا بإعادة ترتيب القرآن وفق أسباب نزوله تيسيرا للقارئ وإعانة له على فهم المعنى –على حسب

---

(١) السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي، **الروض الأنف**، (٢٦٢/٤)، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧١م.

(٢) حوى، **الأساس في التفسير**، (١/ ٢٥).

(٣) حوى، **السابق**، (٢٧/١).

زعمهم الباطل وفهمهم السقيم ،كما فعل المستشرق نولدكه[1]، وتابعه المستشرق الفرنسي بلاشير[2]. ومن قبل فقد طعن عدد من الملاحدة في الماضي في آيات القرآن الكريم بدعوى أنها غير متناسبة[3].

ويرى الدكتور أحمد الشرقاوي أن من حكم العليم الخبير أن يقيض من أعداء الدين من يخدم الإسلام من حيث لا يشعرون، فإن إثارة أعداء الإسلام لهذه الشبهة الباطلة دفع الكثير من الغيورين إلى دراسة هذا الموضوع بتعمق" [4].

إن كون علم المناسبات القرآنية يبطل دعاوى المشككين، لا يعني أنه أتى رد فعل على شبهات المستشرقين وأعداء الإسلام، كما لو أنه لولاها لم يكن، فإن الكلام فيه قديم قديم، وربما استثارت شبهات المبطلين بعض الغيورين للبحث في التناسب، لكن ذلك لم يكن هو القاعدة ولم يكن البداية.

١٠) ومما قيل في أهمية دراسة النظام والمناسبة في القرآن الكريم:

أن الوقوف على نظام الآيات يسمو بالدارس إلى ذروة الشوق والمحبة واللذة التي لا يصل إليها أبداً من لا يهتم بنظامها[5]؛ فإن هذه المشاعر وتلك الأحاسيس تزداد بزيادة المعرفة بمحاسن الكلام وحسن النظام وقوة البرهان، حيث إن مثل هذه الدراسات"تروي ظمأ طلاب المعرفة، والباحثين عن دقائق أسرار هذا القرآن"[6]، وكذلك فإن طلب هذا العلم مما يعين على حفظ القرآن، ويحقق أمر الله تعالى بتدبره، وتحصيل الثواب[7].

---

(١) نولدكه، ث: مستشرق ألماني (١٨٣٦-١٩٣٠م)، أتقن عدداً من اللغات الشرقية والاتينية له: تاريخ النص القرآني، وأصل وتركيب سور القرآن، وتاريخ الشعوب الإسلامية، وفكرة عامة عن حياة محمد، [مراد، يحيى، **معجم أسماء المستشرقين**: ص٦٨٦-٦٨٧].

(٢) بلاشير، ريجيس(١٩٠٠-١٩٧٣م): فرنسي، درس الثانوية في الدار البيضاء، وتابع في كلية الآداب بالجزائر، والسوربون، وكان عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق، له: ترجمة القرآن الكريم، وتاريخ الأدب العربي، ومعجم عربي إنجليزي فرنسي، [**الأعلام**: ٧٢/٢، ومراد، يحيى، **معجم أسماء المستشرقين**: ص١٧١-١٧٣].

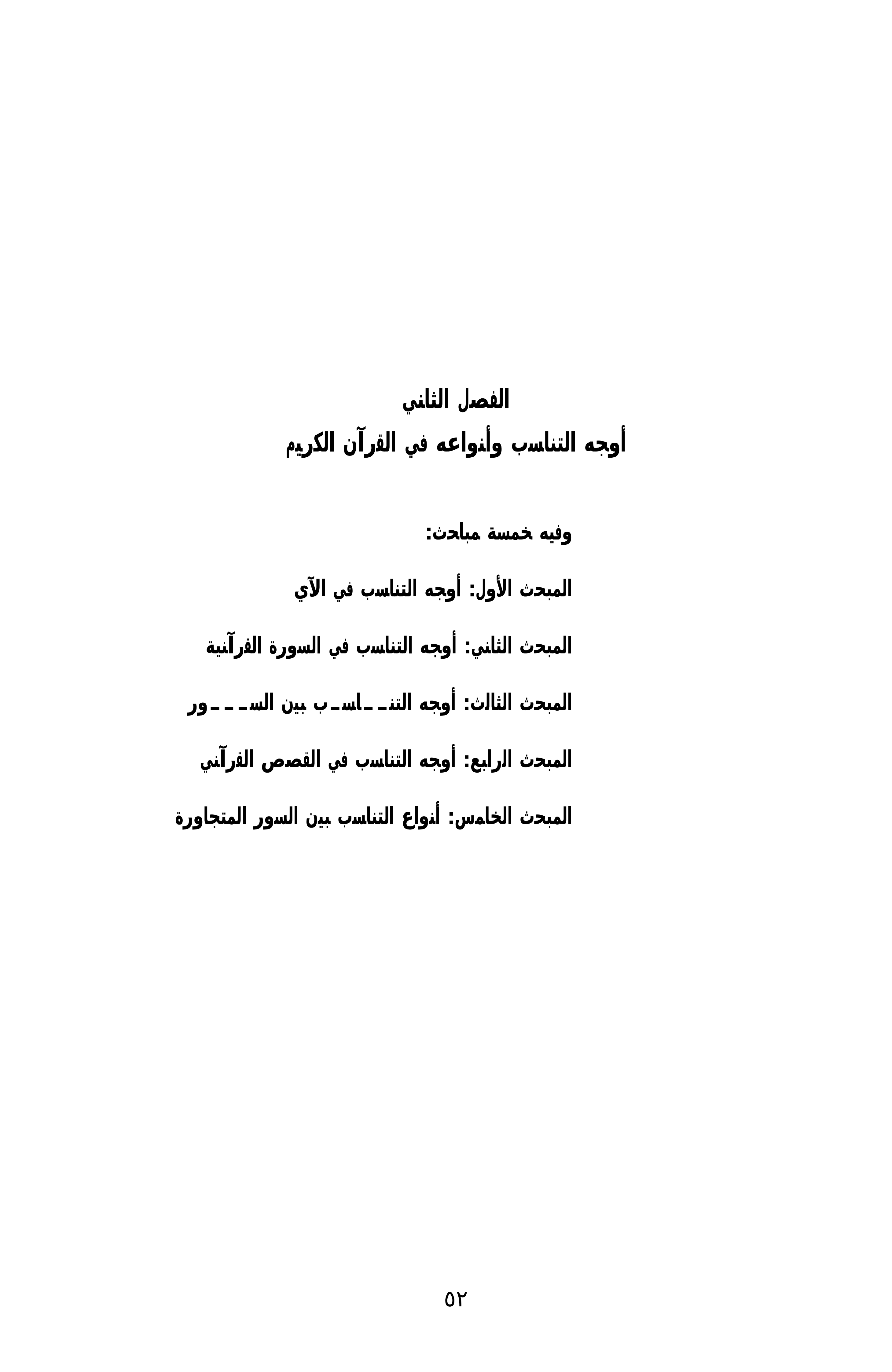
(٣) ابن قتيبة، أبو محمد مسلم، **تأويل مشكل القرآن**، (ص ٧٢-٧٣)، المكتبة العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

(٤) الشرقاوي، **موقف الشوكاني من التناسب**، سابق،عن: موقع صيد الفوائد، وشبكة التفسير.

(٥) سبحاني، **إنعام النظر**، (ص ٢٦٨).

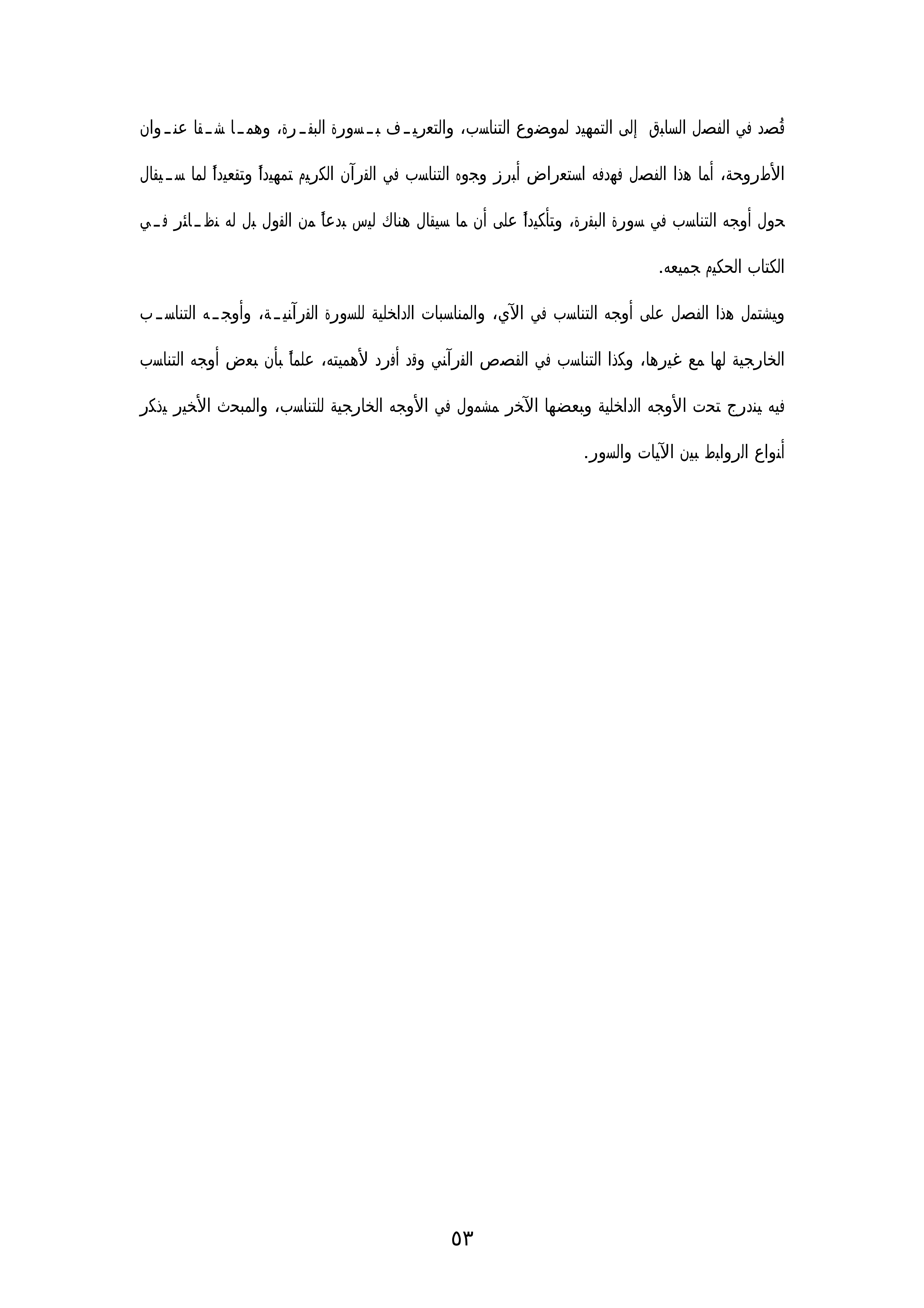
(٦) حوى، **الأساس في التفسير**، (٢٥/١).

(٧) بازمول، **علم المناسبات**، (ص٤٠).



الفصل الثاني
أوجه التناسب وأنواعه في القرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث:



قُصد في الفصل السابق إلى التمهيد لموضوع التناسب، والتعريف بسورة البقرة، وهما شقا عنوان الأطروحة، أما هذا الفصل فهدفه استعراض أبرز وجوه التناسب في القرآن الكريم تمهيداً وتقعيداً لما سيقال حول أوجه التناسب في سورة البقرة، وتأكيداً على أن ما سيقال هناك ليس بدعاً من القول بل له نظائر في الكتاب الحكيم جميعه.

ويشتمل هذا الفصل على أوجه التناسب في الآي، والمناسبات الداخلية للسورة القرآنية، وأوجه التناسب الخارجية لها مع غيرها، وكذا التناسب في القصص القرآني وقد أفرد لأهميته، علماً بأن بعض أوجه التناسب فيه يندرج تحت الأوجه الداخلية وبعضها الآخر مشمول في الأوجه الخارجية للتناسب، والمبحث الأخير يذكر أنواع الروابط بين الآيات والسور.

المبحث الأول
أوجه التناسب في الآي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التناسب في الآية

المطلب الثاني: التناسب بين الآيات

المبحث الأول
أوجه التناسب في الآي

يتضمن هذا المبحث أوجه التناسب في الآية من حيث: التناسب بين النداء ومضمون الآيـة، فالتناسـب فـي ترتيب المذكورين، ثم المناسبة بين الآية والفاصلة، ومن ثم التناسب بين الآيات المتجاورة، وفيه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، وسأفرد لكل منها مطلباً من المطالب الآتية:

المطلب الأول: التناسب في الآية

أكثر ما بحث المفسرون المناسبات في الآية، إذ هي تتعلق بالسياق القريب، وبعـدها المناسـبة مـع الآيـة المجاورة، والذي هو موضوع المطلب التالي.

ومن أوجه المناسبات في الآية الواحدة اختيار المفردات، وكذا الحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والتعريـف والتنكير، وفي كتب التفسير والإعجاز البياني منه الكثير وهو ليس غرض هذا البحث، ومن الأوجـه كـذلك ارتباط المنادى بموضوع الكلام والغرض المطلوب، ومنها ترتيب الأسماء والنعوت داخـل الآيـة، وكـذلك مناسبة الفاصلة للآية.

<u>أولاً: المناسبة بين النداء والمضمون:</u>

في القرآن نداءات كثيرة تتصدر آياته أو تتوسطها، من مثل: (يا بني آدم، يا بني إسرائيل، يا أهل الكتاب، يا أيها الذين هادوا، يا أيها الإنسان...)، وكل واحد منها يناسب السياق والغاية من النداء، ومن أمثلته:

١) يا بني آدم:

النداء الأول:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

قال في زهرة التفاسير:" النداء لبني آدم جميعاً؛ لأنه مجاوبة للفطرة الإنسانية التي جعلت أبوي البشر يخصفان عليهما من ورق الجنة، ولذا كان النداء إلى أولاد آدم، وفيه إشارة إلى تلك الفطرة السليمة، وإلى ذلك الحياء الفطري الذي هو سمة الإنسانية الرفيعة، لا إلى تلك الإنسانية المسيخة، التي تظهر في العري الفاحش الـذي يقره بعض الذين تبلدت مشاعرهم وأحاسيسهم"[1].

---

[1] أبو زهرة، محمد، **زهرة التفاسير**، (٢٨٠٤/٦)، دار الفكر العربي، مصر، د ط، د.ت.

النداء الثـاني: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف].

حيث جاء النداء " للناس أجمعين، تذكيراً للأبناء بما كان للآباء من عداوة إبليس، وتهديده بإغوائهم، وأنه يقعد لهم الصراط المستقيم، فا تعالى ينهانا أن ننخدع بالشيطان، وله ماض في إيذائنا وخدع أبوينا، وكـان مـن نتيجة استجابتهما لوسوسته إخراجهما من الجنة وكشف سوءاتهما"[1].

٢) يا بني إسرائيل:

يقول أبو حيان[2]:" وأضافهم إلى لفظ إسرائيل، وهو يعقوب، ولم يقل: يا بني يعقوب، لما في لفظ إسرائيل من أن معناه عبد ا أو صفوة ا ، وذلك على أحسن تفاسيره، فهزهم بالإضافة إليه؛ فكأنه قيل: يا بني عبد ا ، أو يا بني صفوة ا ، فكان في ذلك تنبيه على أن يكونوا مثل أبيهم في الخير، كما تقول: يا ابن الرجل الصالح أطع ا ، فتضيفه إلى ما يحركه لطاعة ا ،؛ لأن الإنسان يحب أن يقتفي أثر آبائه"[3].

٣) يا أهل الكتاب:

قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران]، "والسبب في هذا النداء هـو أولاً توبيخهم على ما كان منهم؛ لأن علمهم بالكتاب كان يوجب عليهم الإذعان للحق بدل التفرق فيـه، ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ [الشورى:١٤]، ثم هناك سبب آخر، وهو أن علمهم بالكتـاب فـي الجملة يجعل الاحتكام إلى ما بقي منه عندهم كافياً لإذعانهم إن كانت عندهم أثارة من إيمان بالحق وطلب له مع ما هم فيه من تعصب"[4]. ومثل ذلك يقال في الآية الكريمـة ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٥]، فإن علمهم بالكتاب يجعلهم على بينة

---

(١) أبو زهرة، **السابق**، (٦/ ٢٨٠٧- ٢٨٠٨)، بتصرف.

(٢) محمد بن يوسف بن حيان، الأندلسي الغرناطي،(٦٥٤- ٧٤٥هـ)، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه، له سوى التفسير، التذييل والتكميل، وإتحاف الأريب بما في القرآن مـن الغريـب.[**طبقـات الـداودي**، ٢٨٦/٢-٢٩١، **طبقات الأدنروي** ٢٧٨-٢٨٠].

(٣) أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**،(١/ ٢٨١)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٤) أبو زهرة، **زهرة التفاسير**،(١٢٥٧/٣).

من أمر إبراهيم عليه السلام ومن ثم فإن حجاجهم مغالطة لما يعرفون.

ثانياً: المناسبة في ترتيب الأمور المذكورة داخل الآية

لفت غير واحد من المفسرين إلى الحكمة من الترتيب للأمور المذكورة في الآية أو الآيات، ومن الأمثلة على ذلك:

١) الحكمة من ترتيب الدواب المذكورة في قوله تعـالى:﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور:٤٥]، كما يراها الزمخشري: " هي لتقديم ما هـو أعـرق فـي القدرة: وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم، ثم الماشي على رجلين، ثم الماشي على أربع"[١].

٢) وقال أبو حيان عن الترتيب في الآية الكريمـة: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة:٩٨]:" وهذا الترتيب في غاية الحسن؛ فابتدئ بذكر الله، ثم بذكر الوسائط التي بينه وبين الرسـل، ثـم بذكر الوسائط التي بين الملائكة وبين المرسل إليهم، فهذا ترتيب بحسب الوحي، ولا يدل تقديم الملائكة فـي الذكر على تفضيلهم على رسل بني آدم، لأن الترتيب الذي ذكرناه هو ترتيب بحسب الوسـائط، لا بالنـسبة التفضيل"[٢].

وعند قوله تعالى﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقـرة: ٢٨٥]، قال:" وهذا الترتيب في غاية الفصاحة؛ لأن الإيمان بالله هو المرتبة الأولى، وهي التـي يـستبد بهـا العقل؛ إذ وجود الصانع يقر به كل عاقل، والإيمان بالملائكة هي المرتبة الثانية؛ لأنهـم كالوسـائط بـين الله وعباده، والإيمان بالكتب: هو الوحي الذي يتلقنه الملك من الله يوصله إلى البشر، هي المرتبة الثالثة، والإيمان بالرسل الذين يقتبسون أنوار الوحي فهم متأخرون في الدرجة عن الكتب، هي المرتبة الرابعة"[٣].

ويضاف إلى ذلك أن تأخير الرسل هو أيضاً بسبب ما بعدها من الحديث عن عدم التفريق بين أحـد مـنهم. والدرجات التي يتحدث عنها أبو حيان هي مراتب لأركان الإيمان، لا درجات ومراتب المذكورين، كما بـين ذلك في الآية السابقة.

---

(١) الزمخشري، **الكشاف**،(٢٤٠/٣).

(٢) أبو حيان، **البحر المحيط**، (٥١٦/١).

(٣) أبو حيان، **البحر المحيط**، (٧٦٥/٢).

ثالثاً: المناسبة بين الفاصلة والآية:

والحديث هنا يتضمن المناسبة بين الفاصلة والآية، وبعض العادات القرآنية في تقـديم الأسـماء الحـسنى أو تأخيرها، وسر التغاير في بعض الأحيان، ومن الأمثلة على ذلك:

١) ما رواه الأصمعي[1] بقوله:"كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي، فقرأت هذه الآية:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ، فقلت:(وا غفور رحيم)، سهواً، فقال الأعرابي: كلام مـن هذا؟ فقلت: كلام ا ، قال: أعد، فأعدتُ: (وا غفور رحيم)، ثـم تنبهـت فقلـت: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة] ، فقال:الآن أصبت! فقلت:كيف عرفت؟ قال: يا هذا عزيز حكيم فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع"[2].

٢) السر في تقديم الرحمن على الرحيم:" أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال علـى تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال علـى أنه يرحم خلقه برحمته"[3].

٣) أما الحكمة من جريان العادة القرآنية بتقديم اسم الغفور على الرحيم، فهي أن دفع الضرر أولى من جلب المنفعة، فضلاً عن أن في هذا الترتيب تصاعداً في النعم من الأدنى إلى الأعلى، و" المغفرة ستر للذنوب، أما الرحمة فتفضل وإنعام زائد على مغفرة الذنوب؛ لذا قُدمت المغفرة على الرحمـة، والتخليـة مقدمـة علـى التحلية"[4].

لكن سورة سبأ هي الوحيدة التي تقدم فيها اسمه سبحانه الرحيم علـى اسـم الغفـور:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾.

---

(١) عبد الملك بن قُريب بن أصمع الباهلي (١٢٢-٢١٦هـ)، مولده ووفاته بالبصرة، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، طاف البوادي يقتبس علومها وأخبارها، له: الإبل، والخيل، والمترادف، وشرح ديوان ذي الرمة[**الأعلام** ١٦٢/٤].

(٢) الرازي، **التفسير الكبير**، (٣٥٧/٤).

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر الدمشقي، **بدائع الفوائد**، (٢٤/١)، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دت.

(٤) عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، (ص٢١٣).

والسر في مغايرة آية سبأ لسائر الآيات " أن الغفور يتقدم في كل موطن يهمس فيه السياق بوقوع المعاصـي وكفران النعم، والدعوة إلى التوبة والاستغفار من الذنوب، فتكون المبادرة بالمغفرة لطمأنة المذنبين والخطائين إلى أن يد ا ممدودة إليهم، تعفو عنهم وتستر خطاياهم لأنه رحيم بهم... أما الآية التي تقدمت فيها الرحمـة من سورة سبأ، فهي في سياق يعدد ا تعالى فيها نعمه على خلقه، المستوجبة للحمد والشكر عليها ... هـذه النعم الجليلة مصدرها ودوام بقائها رحمة ا الواسعة بخلقه مع مقابلتهم لها بالكفران والنسيان"[1] وكذلك فإن سياق آية سبأ هو سياق القدرة والعلم، وسياق العناية بالمخلوقات المذكورة، التي تتجلى فيها كلها رحمـة ا تبارك وتعالى[2].

٤) وسر اختلاف الفواصل بين الآيتين:﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص]؛ أن الليل يصلح للاستماع ولا يصلح للإبصار، فيما النهار ظرف مضيء صالح للإبصار[3]، بل يحصل فيه تشويش للسمع لكثرة الأصوات.

٥) وحول الفاصلتين في الآيتين الكريمتين:﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].

يقول الشيخ محمد أبو زهرة[4]، عن فاصلة الآية الأولى:" فهم يريدون الإطفاء وا لا يريد إلا أن يتم نـوره، ويعم الوجود الإنساني، وإرادة ا هي النافذة؛ لأن إرادتهم ظلمة والنور كاشـف:﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ لأن ستر الحقائق والتمويه والتضليل لا يدوم مهما يطل الزمان، وقد أيد ا دعوة الحـق بإرسـال محمـدﷺ

---

(١) الخضري، محمد الأمين، **من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية**، (ص٥٠)، د.ن، القـاهرة، د.ط، ١٤١٤هـ ـ - ١٩٩٤م.

(٢) عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، (ص ٢١٤).

(٣) ابن أبي الإصبع المصري، **تحرير التحبير**، (ص٣٦٤)، تحقيق حفني محمد شـرف، منـشورات لجنـة إحيـاء التـراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، القاهرة، د.ط، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٤) هو محمد أحمد مصطفى أبو زهرة،(١٨٩٨- ١٩٧٤م)، من علماء الأزهر الأفذاذ، له عشرات الكتـب منهـا: المعجـزة الكبرى، خاتم النبيين، الملكية ونظرية العقد، تاريخ الديانات القديمة، وعدة دراسات عن أئمة الفقه.[انظر: **الأعلام**:٢٥/٦-٢٦، ومقدمة **زهرة التفاسير** ٣/١-١١].

يكشف به الظلمات[1]"، فالشيخ رحمه ا ربط بين أصل معنى الكفر الذي هو الستر، وما يقوم به الكفرة من محاولة إطفاء نور ا الكاشف للظلمات والمميز للحق من الباطل، وأما في الآية الثانية فقد أوضح أن دين الحق هو التوحيد[2]، ولذلك فهم يكرهونه لأنهم مشركون. والمشركون الكافرون في الآيتين السابقتين هم أهل الكتاب، الذين قالت عنهم الآية السابقة لهاتين الآيتين:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ [التوبة].

المطلب الثاني: المناسبة بين الآيات

التناسب بين الآيات يشمل أشكالاً عدة، وهو كسابقه لا ينفك عما سيأتي من المناسبات في السورة أو بين السور، أو في القرآن الكريم جميعه، والقصد من إفراده هو العبور من خلاله إلى ما هو أعم وأشمل. ويشتمل هذا المطلب على أمثلة للمناسبة بين الآية وسابقتها، والمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه.

<u>أولاً: المناسبة بين الآية وسابقتها:</u>

١) مناسبة قوله تعالى:﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ [التوبة]، مع الآية الكريمة السابقة، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ ﴾ [التوبة]؛ أنه " لما حرم ا تعالى على الكفار أن يقربوا المسجد الحرام، وجد المسلمون في أنفسهم بما قُطع عنهم من التجارة التي كان المشركون يوافون بها؛ قال ا عز وجل: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ ﴾ الآية. ثم أحل ا في هذه الآية الجزية وكانت لم تؤخذ قبل ذلك؛ فجعلها عوضاً مما منعهم من المشركين"[3].

٢) عند تفسير الآية الكريمة:﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ

---

(١) أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، (٣٢٨٦/٦).

(٢) أبو زهرة، **السابق**، (٣٢٨٧/٦).

(٣) القرطبي، أبو عبد ا محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، (٨/ ٤٤)، دار الفكر، لبنان، د ط، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٣٤ ﴾ [البقرة] قال الشوكاني:" لما ذكر سبحانه عدة الطلاق واتصل بذكرها ذكر الإرضاع؛ عقب ذلك بذكر عدة الوفاة لئلا يتوهم أن عدة الوفاة مثـل عـدة الطلاق"[1]، وفي نظم الدرر:" لما ذكر عدة الطلاق الذي هو فرقة الحياة، انتظم برأس آيته عدة الوفاة الـذي هو فراق الموت واتصل بالآية السابقة لما انجر في ذكر الرضاع من موت الوالد وأمر الوارث"[2].

٣) والتناسب بين الآيتين الكريمتين: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٨٣ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٨٤ ﴾ [آل عمران]، قال الإمام الطبري:" يعني بذلك جل ثناؤه: أفغير دين الله تبغون يا معشر اليهود، وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، وإليه ترجعون، فإن ابتغى غير دين الله يا محمد، فقل لهم: آمنا بالله؛ فترك ذكر قوله:" فإن قالوا نعم"، وذكر قوله:"فإن ابتغوا غير دين الله"، لدلالة ما ظهر من الكلام عليه"[3].

٤) و قال في اللباب عن سر مجيء قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٢٨]، بعد الآيتين الكريمتين: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢٧ ﴾ [آل عمران]:" في كيفية النظم وجهان: أحدهما: أنه- تعالى- لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه في تعظيم الله – تعالى- ذكر بعده ما يجب أن يكون المؤمن عليه في المعاملة مع الناس فقال: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، والثاني: أنه لما بين أنه - تعالى- مالك الدنيا والآخرة، بين أنه ينبغي أن تكون الرغبة فيما عنده وعند أوليائه، دون أعدائه"[4].

وقال في تفسير المنار:" جاء قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، بعد تلك الآيـة

---

(١) الشوكاني، **فتح القدير** (٤٣٠/١).

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**: (٤٤٢/١).

(٣) أبو جعفر الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (٣/ ٤٥٨).

(٤) ابن عادل الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**، (١٤٢/٥)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

التي نبه ا فيها النبي والمؤمنين إلى الالتجاء إليه معترفين أن بيده الملك والعز ومجامع الخير، والسلطان المطلق في تصريف الكون يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، فإذا كانت العزة والقوة له - عز شأنه- فمن الجهل والغرور أن يعتز بغيره من دونه، وأن يلتجأ إلى غير جنابه، وأن يذل المؤمن في غير بابه"(١).

٥) و قال الطبري عن المناسبة بين الآيات الثلاث:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة]، ما ملخصه: أي قاتلوا أيها المؤمنون في سبيل ا الصادين عن سبيله ولا تجبنوا عن لقائهم وقتالهم حذر الموت؛ فتذلوا ويأتيكم الموت كما أتى الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت، ثم أهابت الآية الأخيرة بالمؤمنين أن ينفقوا لإعانة المجاهدين في سبيل ا (٢).

ثانياً: المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه.

القسم في القرآن فضلاً عما يؤديه من التوكيد، وما يلفت إليه من علو شأن المقسم به - إذ أقسم به رب العزة في كتابه -، فإنه يقصد به الاستدلال بالمقسم به على المقسم عليه، كما ستوضحه النقاط الآتية:

١) مناسبة القسم بالعاديات على أن الإنسان لربه لكنود هي أن" ا سبحانه يصف الخيل في هذه السورة بأوصاف ويذكر لها أعمالاً، كلها ترجع إلى نقطة، وهي الوفاء والفداء والإيثار لسيدها.

"فهي التي تفديه بنفسها وتشقى لنعيمه، وتموت لحياته، ولا تعرف لنفسها ولا لحياتها حقاً، ترمي بنفسها في الخطر، وفي النار والبحر، وتصبر على الجوع والعطش، وتتحمل المشاق: تعدو ضبحاً، وتوري قدحاً، وتغير صبحاً، فتثير به نقعاً، وتوسط به جمعاً، ولا تصوير أبلغ من تصوير ا سبحانه.

"تفعل كل هذا مع ربها، وهو ليس لها برب، والذي هو من غير جنسها، والذي يستخدمها أكثر مما يخدمها، وهو الحيوان غير الناطق غير العاقل. فكيف الإنسان العاقل الشريف مع ربه الحقيقي وولي نعمه، إن الإنسان لربه لكنود! فللإنسان عبرة في دواجنه وفي عبيده المسخرة"(٣).

---

(١) رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم،الشهير بتفسير المنار،**(٣/ ٢٧٦)، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) الطبري، **جامع البيان،** (٢/ ٨٠٠ – ٨٠٢).

(٣) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **تأملات في القرآن الكريم،** (ص ١١٠-١١١)، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢) وعن علاقة القسم بالتين والزيتون وطور سينين والبلد الأمين، بخلق الإنسان في أحسن تقويم، في قولـه تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾ [التين] أن كـل:" هذه الأمكنة الطاهرة تشهد بمزية الإنسان واعتدال طبيعته واستعداده لأكبر مهمة وحمل أمانة النبوة، والنبـوة لا يليق لها إلا المعتدلون في الخلق والخلق"[(١)].

وقد " ترقى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضل؛ فبدأ بموضع مظهر المسيح، ثم ثنى بموضع مظهر الكليم، ثم ختمه بموضع مظهر عبده ورسوله وأكرم الخلق عليه"[(٢)].

٣) وعن حكمة القسم بالقلم أن محمداً ﷺ ليس بمجنون، قال الإمام ابن تيمية:" أقـسم سـبحانه بـالقلم ومـا يسطرون؛ فإن القلم به يكون الكتاب الساطر، للكلام المتضمن الأمر والنهي والإرادة والعلـم المحـيط بكـل شيء؛ فالإقسام وقع بقلم التقدير ومسطوره، فتضمن أمرين عظيمين تناسب المقسم عليه؛ أحـدهما: الإحاطـة بالحوادث قبل كونها، وأن من علم بالشيء قبل كونه، أبلغ ممن علمه بعد كونه، فإخباره عنه أحكم وأصـدق، والثاني: أن حصوله في الكتابة والتقدير، يتضمن حصوله في الكلام والقول والعلم، من غير عكس؛ فإقـسامه بآخر المراتب العلمية يتضمن أولها من غير عكس، وذلك غاية المعرفة والعلم إذا صار مكتوباً"[(٣)]. فالمناسـبة جلية بين القسم بالقلم على أن محمداً ليس بمجنون؛ إذ القلم عنوان بارز على العلم، وأهله أربـاب الحكمـة، والمكتوب المسطور بالقلم حجة ووثيقة ليس كمثلها غير المكتوب.

---

(١) الندوي، **السابق**، (ص١٠٥).

(٢) ابن قيم الجوزية، **التبيان في أقسام القرآن**، (ص٥٥)، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٣) ابن تيمية، **مجموعة الفتاوى**،(٤٥/١٦).

المبحث الثاني
أوجه التناسب في السورة القرآنية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها

المطلب الثاني: التناسب بين مقاطع السورة

المطلب الثالث: الوحدة الموضوعية للسورة

المطلب الرابع: تميز السورة بمفردات وتعابير معينة

المطلب الخامس: التناسب بين اسم السورة وموضوعها

التناسب بين كل آية وجارتها يقتضي أن السورة القرآنية وحدة واحدة، وقد مضى في مبحث سابق تشبيه السورة أو تشبيه القرآن الكريم بالبناء الواحد، أو الجسم الواحد، بل وحتى الكلمة الواحدة.

والمعاصرون كالفراهي، وسيد قطب، والدكتور مصطفى مسلم، والدكتور صلاح الخالدي، وسعيد حوى، وأسد سبحاني، ومحمود البستاني، وطه جابر العلواني، وصبحي الفقي، وغيرهم ممن تكرر الرجوع إلى مؤلفاتهم في هذا البحث، استخدموا مصطلحات حديثة من مثل:(الوحدة الموضوعية في السورة، أو الوحدة العضوية، وكذا التماسك، والوحدة البنائية، وعمارة السورة، والتفسير البنائي، فضلاً عن النظام والتناسق والترابط والتناسب والنظم).

وقد أكثر عدد من أئمة التفسير القدماء، من ربط نجوم السورة - أجزاء السورة ومقاطعها - أكثر من مرة خلال التفسير ثم يجملون العلاقة بين هذه الأجزاء وبالأخص قبيل ختام السورة، شعوراً منهم وإشعاراً لقرائهم بوحدة السورة القرآنية، وفيما يأتي عدد من الأمثلة في ربط المقاطع، ثم أمثلة أخرى قديمة ومعاصرة على تبلور فكرة الوحدة الموضوعية في السور القرآنية.

المطلب الأول

التناسب بين مطلع السورة وختامها

أغلب الذين اهتموا بالمناسبة التفتوا إلى الصلة بين بداية السورة ونهايتها، أو رد مقطعها على مطلعهـا، وإن تفاوتوا في ذلك كثرة وقلة، أو قوة وضعفا وهذه بعض الأمثلة التي تبين ذلك:

١) سورة المؤمنون: قال الزمخشري:" جعل فاتحة السورة:﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ ، وأورد في خاتمتها:﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ ، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة[1]"، فقد" بدئت السورة الكريمة بتقريـر فـلاح المؤمنين، وختمت بنفي فلاح الكافرين؛ تحريضاً على الإيمان، وعلى ما يوجب بقاءه وتنميته، مـن التمـسك بالتنزيل"[2].

٢) سورة الإسراء: افتتحت بالتسبيح الذي هو تنزيه الله تعالى عما لا يليق، وختمت بتسبيح الـذين أوتـوا العلم، ثم بالطلب إلى الرسول ﷺ أن يحمد الله تعالى على أن تنزه عن الولد والشريك.

٣) سورة الكهف: حيث بدأت بقوله تعـالى:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾.

وختام السورة:" ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ .

قال في الظلال:" وهكذا يتساوق البدء والختام في إعلان الوحدانية، وإنكار الشرك، وإثبات الوحي، والتمييـز المطلق بين الذات الإلهية وذوات الحوادث"[3].

ففي المطلع حمد الله الذي أنزل على عبده الكتاب، وفي الختام تأكيد الكلام على لسان الرسول أنه بشر/عبـد، وأنه يوحى إليه، وفي البداية أن الكتاب ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً، وفي الختام: أن على من كـان يرجـو لقاء ربه أن يعمل عملاً صالحاً، وأن لا يشرك بعبادة ربه أحداً.

---

(١) الزمخشري، **الكشاف**، (٢٠١/٣).

(٢) ابن عجيبة الأندلسي، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، (٤٤/٥)، تحقيـق عمـر أحمـد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٣) قطب، **في ظلال القرآن**، (٢٢٥٧/٤).

المطلب الثاني
التناسب بين مقاطع السورة

١) قال في (غرائب القرآن) رابطاً بين مقاطع سورة الصافات وخاتمتها:" واعلم أن السورة اشتملت على ما قاله المشركون في ا ، وعلى ما عانى المرسلون من جهتهم، وعلى ما يؤول إليه عاقبة الرسل وحـزب ا من موجبات الحمد؛ فلا جرم ختمها بكلمات جامعة لتلك المعاني"[1].

٢) وقال الرازي في الآية قبل الأخيرة من سورة الأحقاف:" اعلم أنه تعالى ذكر في أول السورة ما يدل على وجود الإله القادر الحكيم المختار، ثم فرع عليه قولين؛ الأول: إبطال قول عبدة الأصـنام، والثـاني: إثبـات النبوة، وذكر شبهاتهم في الطعن في النبوة، وأجاب عنها.

" ولما كان أكثر إعراض كفار مكة عن قبول الدلائل بسبب اغترارهم بالدنيا، واستغراقهم في استيفاء طيباتها وشهواتها، وبسبب أنه كان يثقل عليهم الانقياد لمحمد والاعتراف بتقدمه عليهم ضرب لذلك مثلاً وهم قوم عاد فإنهم كانوا أكمل في منافع الدنيا من قوم محمد فلما أصروا على الكفر أبادهم ا وأهلكهم، فكان ذلك تخويفـاً لأهل مكة بإصرارهم على إنكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم لما قرر نبوته على الإنس أردفه بإثبات نبوته في الجن، وإلى ههنا قد تم الكلام في التوحيد وفي النبوة، ثم ذكر عقيبهما تقرير مسألة المعاد"[2].

٣) وأورد النيسابوري[3] في أواخر تفسير سورة ص:" واعلم أنه سبحانه لما بدأ في أول السورة بأن محمـداً يدعو إلى التوحيد، وأن الكفار يستهزئون منه وينسبونه إلى السخرية تارة وإلى الكذب تارة أخرى، ثم ذكـر طرفاً من قصص الأنبياء عليهم السلام ليعلم أن الدنيا دار تكليف وبناء لا دار إقامة وبقاء، ثم عقبه بشرح نعيم الأبرار وعقاب الأشرار، عاد إلى تقرير المطالب المذكورة في أول السورة؛ وهي: صحة نبـوة محمـد ﷺ وصدق ما يدعو إليه من التوحيد والإخلاص، فقال:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ﴾ ، من جميع الوجوه ﴿ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾ لما دونه، ثم أردف باللطف والتربية قائلاً: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ، ثم أكـد صـفتي اللطف والقهر بقوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ ؛ فمن عزته أدخل أهل الاستكبار النار، ولمغفرته أعـد الجنـة لأهـل

---

(١) النيسابوري، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، (٥٧٩/٥).

(٢) الرازي، **التفسير الكبير**، (٢٩/١٠-٣٠).

(٣) نظام الدين، الحسن بن محمد القمي النيسابوري، (ت ٧٢٨هـ)، مفسر له اشتغال بالحكمة والرياضيات، وتفسيره غرائـب القرآن كأنه اختصار لتفسير الرازي.[**الأعلام** ٢١٦/٢].

الاستغفار، قوله: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ ﴾ ، أي القول بأن ا واحد نبأ عظيم، أو القول بالنبوة أو بإثبات الحشر والقيامة؛ وذلك لأن هذه المطالب كانت مذكورة في أول السورة ولأجلها سيق الكلام منجزاً إلى ههنا"[1].

---

(١) النيسابوري، **غرائب القرآن**، (٦٠٦/٥-٦٠٧).

المطلب الثالث
الوحدة الموضوعية للسورة

توقف غير واحد من العلماء عند الوحدة الموضوعية، أو المحور الرئيس في السور القرآنية، ومن الأمثلة على ذلك:

١) سورة العنكبوت: مضمونها على ما ذكر الإمام ابن القيم، هو:" سر الخلق والأمر؛ فإنها سورة الابتلاء والامتحان وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة، ومن تأمل فاتحتها ووسطها وخاتمها، وجد في ضمنها أن أول الأمر ابتلاء وامتحان، ووسطه صبر وتوكل، وآخره هداية ونصر"[(١)].

٢) سورة فصلت: قال الفخر الرازي:" وقد ظهر من كلامنا في تفسير هذه السورة أن المقصود من هذه السورة، هو ذكر الأجوبة عن قولهم:﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥ ﴾ ؛ فتارة ينبه على فساد هذه الطريقة، وتارة يذكر الوعد والوعيد لمن لم يؤمن بهذا القرآن ولم؟ يعرض عنه، وامتد الكلام إلى هذا الموضع من أول السورة على الترتيب الحسن والنظم الكامل"[(٢)]. وأكد في موطن آخر من السورة أن:" هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام واحد "[(٣)].

٣) سورة القلم: يقول الإمام ابن تيمية:" سورة(ن) هي سورة الخُلق، الذي هو جماع الدين الذي بعث الله به محمداً ﷺ، قال الله تعالى فيها:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾ "[(٤)].

وبعد الحديث عن تناسب المقسم به مع المقسم عليه، والغوص في معاني الآيات والموازنة بين صاحب الخُلق القويم، وذوي الخلق الذميم، قال رحمه الله عن السورة:" وختمها بالأمر بالصبر الذي هو جماع الخلق العظيم في قوله:﴿ ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾ [القلم: ٤٨][(٥)].

---

(١) محمد، يسري السيد، **بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية**، (٣٧٠/٣)، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) الرازي، **التفسير الكبير**، (٥٦٩/٩).

(٣) الرازي، **السابق**، (٥٦٩/٩-٥٧٠).

(٤) ابن تيمية، **مجموعة الفتاوى**، (٤٥/١٦).

(٥) ابن تيمية، **السابق**، (٤٩/١٦).

المطلب الرابع

تميز السورة بمفردات وتعابير معينة

تحدث غير واحد عن الشخصية المستقلة لكل سورة، وتميزها عن غيرها بألفاظ وتعبيـرات محـددة، ومـن أمثلته:

١) فقد ذكر أستاذنا الدكتور أحمد نوفل أنه – وفي سبيل تأكيد الشخصية المتفردة لـسورة يوسـف – فقـد حشدت السورة من التعابير والصور البيانية، ما لم يتكرر في سورة أخرى، من مثل:" أحد عشر، اطرحـوه، الجب، يرتع، الذئب، قميصه، بضاعة، قدت، شغفها، سكيناً، حاش ، السجن، أصب، خبـزاً، حـصحص، رحالهم، نمير، بعير، صواع، وعاء، معاذ ا ، العير، حرضاً، بثّـي، تثريـب، البـدو، تعبـرون، جهـزهم بجهازهم، تفتأ، دلوه، دراهم، أعصر، تعصرون، عجاف، تفندون، غلّقت، روح ا ، نسوة، الزاهدين"[1].

٢) وفي سورة محمد: أحصى الدكتور صلاح الخالدي الألفاظ التي تفردت بها السورة الكريمـة، ومنهـا: (تعساً، آسن، عسل، أمعاءهم، أشراطها، أقفالها، أضغانهم، أضغانكم، لحن،يحفكم).

كما أورد قائمة بالتعابير التي لم ترد على صورتها التركيبية في غير السورة الكريمة، والتي بلغت ثلاثـين، منها: (أضل أعمالهم، وأصلح بالهم،فضرب الرقاب، دمر ا عليهم، وأنهار من خمر لذة للـشاربين، ولـن يتركم أعمالكم، وتقلبكم ومثواكم، وا يعلم إسرارهم)[2].

٣) وبالنسبة إلى سورة النساء التي ركزت على قضايا النساء والأيتام والضعفاء بعامة، فاللافت أن فيها أكثر ورود لكلمة النساء، وكلمة اليتامى، ومشتقات الجذر(ضعف)، مقارنة بجميع سور القرآن الكريم.

٤) وفي سورة القلم جو القسم يبدأ من أولها بقسم ا تعالى وهو الحق، ثم نهي الرسول عـن طاعـة كـل "حلّاف" مهين، ثم إن أصحاب الجنة " أقسموا" ليصرمنها صارمين، وجاء التساؤل بعد القصة: أم لهم "أيمـان" علينا بالغة. وفيها أيضاً جو من الصرامة والصرم والحسم، يؤكده أولاً تكرر القسم، ثـم مـشتقات "صـرم": (ليصرمنها، صارمين، كالصريم)، وكذا الحرمان والحرد، وفي السورة كذلك، جو الإصباح: (مـصبحين، فأصبحت، وغدوا).

---

(١) نوفل، أحمد، **سورة يوسف: دراسة تحليلية**، (ص١٠)، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

(٢) الخالدي، صلاح، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، (ص: ٢٩٠- ٢٩٤).



وفيها ذو الخلق العظيم والأوسط عقلاً، المنفي عنه الجنون، يقابلهما الحلاف المهين الهماز المشاء بنميم العتل الزنيم، الذي يتأكد لأضرابه أنهم كانوا هم الضالين الأشبه بالمجانين.

المطلب الخامس

التناسب بين اسم السورة وموضوعها

كثير من تسميات السور مرجعها إلى افتتاحها بذلك الأمر الذي سميت به، ولذلك نظائر في شعر العرب؛ كتسميتهم قصيدة كعب بن زهير[1]: (بانت سعاد) لافتتاحها بها، وتسمية قصيدة امرئ القيس[2]: ب(قفا نبك)، تسميةَ الكل باسم أوله؛ لشهرة الأول وخفته وتداوله لكونه أول ما يفاجئه، وعلى هذا كثير من أسماء السور. وكذلك فإن طول شأن الاسم في السورة وإن لم يكن في أولها، من دواعي التسمية به، أو مناسبة الاسم لأول السورة لكون الأول كالترجمة لباقي السورة، وكأنهم يلفتون إلى علاقة اسم السورة بمطلعها الذي يقوم بباقي السورة بتفصيله[3]، حيث يتم في العنوان الإشارة إلى المحتوى على اعتبار أنه اعتصار واختصار مكثف للنص القادم[4].

وأكثر من اهتم بالمناسبة بين الاسم والموضوع هو الإمام البقاعي، وهو القائل بأن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، إذ اهتدى إلى هذه القاعدة بعد وصوله إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائه في تفسير نظم الدرر[5]، وحيث إنه قد ألزم نفسه أن يذكر مقصود كل سورة من خلال اسمها فإن من الطبيعي أن لا يحالفه التوفيق في جميع اجتهاداته، دون أن ننتقص من قيمة الجهود التي بذلها، والنظرية التي اكتشفها.

ومن المعاصرين صاحب الظلال حيث ربط أحياناً بين اسم السورة وموضوعها، كما فعل في سورة المؤمنون والقتال والواقعة، وفي خواطره القرآنية[6]، حرص الأستاذ عمرو خالد على أن يربط بين السورة وموضوعها في مواطن كثيرة.

ولقد سبق القول بأن عنوان السورة – أو اسمها – مفتاح لمعانيها، [1]، والأمثلة الآتية تهدف إلى استعراض بعض محاولات الربط بين أسماء السور وموضوعاتها، ثم استخلاص ما يشبه القاعدة في ذلك.

---

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني،(ت٢٦هـ)، الشاعر المشهور، صحابي معروف، أنشد قصيدته (بانت سعاد)، فأعطاه الرسول بردته. [**أسد الغابة** ٥٢٨/٣، **الأعلام**، ٢٢٦/٥].

(٢) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، (ت ٨٠قهـ)، يماني الأصل كان أبوه ملك أسد وغطفان.[**الأعلام**، ١١/٢-١٢].

(٣) ابن عقيلة المكي، **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، (٢٩٢/١-٢٩٤).

(٤) مالكي، فرج عبد الحسيب، **عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية، دراسة في النص الموازي**، (ص ٢٤)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٥) البقاعي، نظم الدرر،(١٢/١).

(٦) خالد، عمرو، **خواطر قرآنية**، نظرات في أهداف سور القرآن، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

ومن الأمثلة على الربط بين اسم السورة وموضوعها:

١) سورة الشورى: قال البقاعي رحمه ا تعالى في بداية تفسيره للسورة:" مقصودها الاجتماع على الـدين الذي أساسه: الإيمان، وأم دعائمه: الصلاة، وروح أمره: الألفة بالمشاورة، المقتضية لكون أهل الـدين كلهـم فيه[٢] سواء، كما أنهم في العبودية لشارعه سواء، وأعظم نافع في ذلك الإنفاق والمؤاساة فيما في اليد، والعفو والصفح عن المسيء، والإذعان للحق في الخضوع للآمر الحق وإن صعب وشـق... وتـسميتها بالـشورى واضح المطابقة لذلك"[٣].

ومن الواضح أن البقاعي رحمه ا تعالى قد استوحى سياق الآية الذي ورد فيه اسم الشورى وهو يتحـدث عن المقصود، وهو قولـه تعـالى:﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

٢) سورة الفتح: قال في (نظم الدرر):" مقصودها مدلول اسمها الذي يعم فتح مكة وما تقدمـه مـن صـلح الحديبية وفتح خيبر ونحوهما، وما وقع تصديق الخبر به من غلب الروم على أهل فارس، وما تفرع[٤] مـن فتح مكة المشرفة، من إسلام أهل جزيرة العرب، وقتال أهل الردة وفتوح جميع البلاد الذي كله إظهار الـدين على الدين كله، وهذا كله في غاية الظهور بما نطق به ابتداؤها وأثناؤها في مواضع منهـا:﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ﴾ [٢٧]، وانتهاؤها﴿ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [٢٨] "[٥].

٣) سورة النور: قال الدكتور عبد الكريم الخطيب[٦]، عن سبب تسمية السورة بهذا الاسم، فضلاً عـن ورود آية﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[٣٥]:" لأنها جاءت بآيات كشفت ظلاماً كثيفاً، كان قد انعقـد فـي سـماء المسلمين قبل أن تنزل هذه السورة، وتنزل هذه؛ وذلك أن السيدة عائشة رضي ا عنها، كانت في تلك الفترة موضع اتهام على ألسنة المشركين والمنافقين، وقد أوذي رسول ا ﷺ من هذا الحديث المفترى، كما أوذيت

---

(١) سعيد، محمد رأفت، **سورة لقمان بين كلمة التنزيل وتناسب الترتيب**، (ص١٣).

(٢) في المطبوع: (في)، والسياق يستدعي الضمير.

(٣) البقاعي، **نظم الدرر**، (٥٩٣/٦).

(٤) في المطبوع:(تفرغ).

(٥) البقاعي، **نظم الدرر**،(١٨٣/٧).

(٦) عبد الكريم محمود الخطيب(١٩١٠-١٩٨٥م)، المصري، المفسر والمفكر الإسلامي، له أكثر من ٥٠ كتاباً، منها سـوى التفسير: القصص القرآني، وإعجاز القرآن، والمهدي المنتظر، والحدود في الإسلام، [**تتمة الأعلام** ٣١٦/١-٣١٧].

زوجه رضي ا   عنها، وأوذي المسلمون بهذا الذي طاف حول بيت النبوة من غبار تلك التهمة المفتراة، فلما نزلت الآيات التي تبرئ البريئة الصديقة بنت الصديق انقشع هذا الظلام، وكشف النور السماوي، عن وجـوه المنافقين المفترين... فلهذه الأنوار التي تملأ الوجود من نور ا ، ولهذه الآيات المنزلة التي أضاءت للمسلمين ظلام الليل الكثيف... استحقت السورة أن تحمل هذا الاسم"[1].

٤) سورة الأنعام: قال الدكتور محمد البهي[2]: " ... فجاءت سورة الأنعام - وحملت السورة اسـم الأنعـام باعتبار أن الأنعام تمثل الجانب الرئيسي في الثروة القومية للمجتمع القبلي في شبه الجزيرة العربية ـ تنكـر على الكهان تدخلهم في الأموال الخاصة.. وتنفي نسبة ما يقولون من حلال وحرام، إلى ا .. وتؤكد افتراءهم واختلاقهم على ا ، فيما كانوا يوجهون به أتباعهم في شؤون الأموال. كما جاءت لتضع دستوراً عاماً للحلال والحرام، ومقياساً لا يختلف لتقييم أعمال الناس، يستطيع كل إنسان أن يعرف قيمة عمله منه، دون الرجـوع إلى وسيط بينه وبين ا .

" فسورة الأنعام هي سورة الأموال الخاصة وموقف الإسلام منها. هي السورة التي تنكر المصادرة والتـدخل في شأن الأموال من أية سلطة: دينية ، أو سياسية، إلا طبقاً للدستور العام الذي سجلته هي فيها"[3].

وكما هو ظاهر؛ فقد استرشد الدكتور محمد البهي، وهو يربط بين اسم السورة وموضوعها الـرئيس، مـن السياقات التي ورد فيها الحديث عن الأنعام في السورة ، وهذا الربط الذي قام بـه الـدكتور البهـي- علـى وجاهته- فإنه متأثر بالفترة التي كتب فيها، والتي تميزت بالمد الاشتراكي وقيام الدولة بحملات التأميم.

٤) سورة الكهف: بعد الاقتباسات السابقة، بالإمكان تطبيق ذات المنهج في التوصل إلى المحـور الـرئيس لسورة الكهف، انطلاقاً من اسمها، ومطلعها وخاتمتها، واستئناساً بما ورد في السنة بشأنها.

الكهف: كانت وظيفته حماية الفتية، وقد انتهت القصة فإذا الدين الذي كان مهدداً مطارداً قد عادت الغلبة لأهله الذين يقررون اتخاذ "مسجد" على فوق الكهف، وبالتالي فقد أظهرت القصة حفظ المؤمنين وحفـظ الإيمـان، وجو الحفظ ينتظم قصص السورة جميعها، كما سيأتي.

---

(١) الخطيب،عبد الكريم، **التفسير القرآني للقرآن**، (١١٩٩/٩-١٢٠٠)، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، ١٩٧٠م.

(٢) محمد البهي(١٩٠٥-١٩٨٣)، عالم مصري، تولى إدارة جامعة الأزهر ووزارة الأوقاف، له عشرات المصنفات، خصص عدداً منها لتفسير مجموعة من السور القرآنية،[**تتمة الأعلام**، ١٣٣/٢-١٣٤].

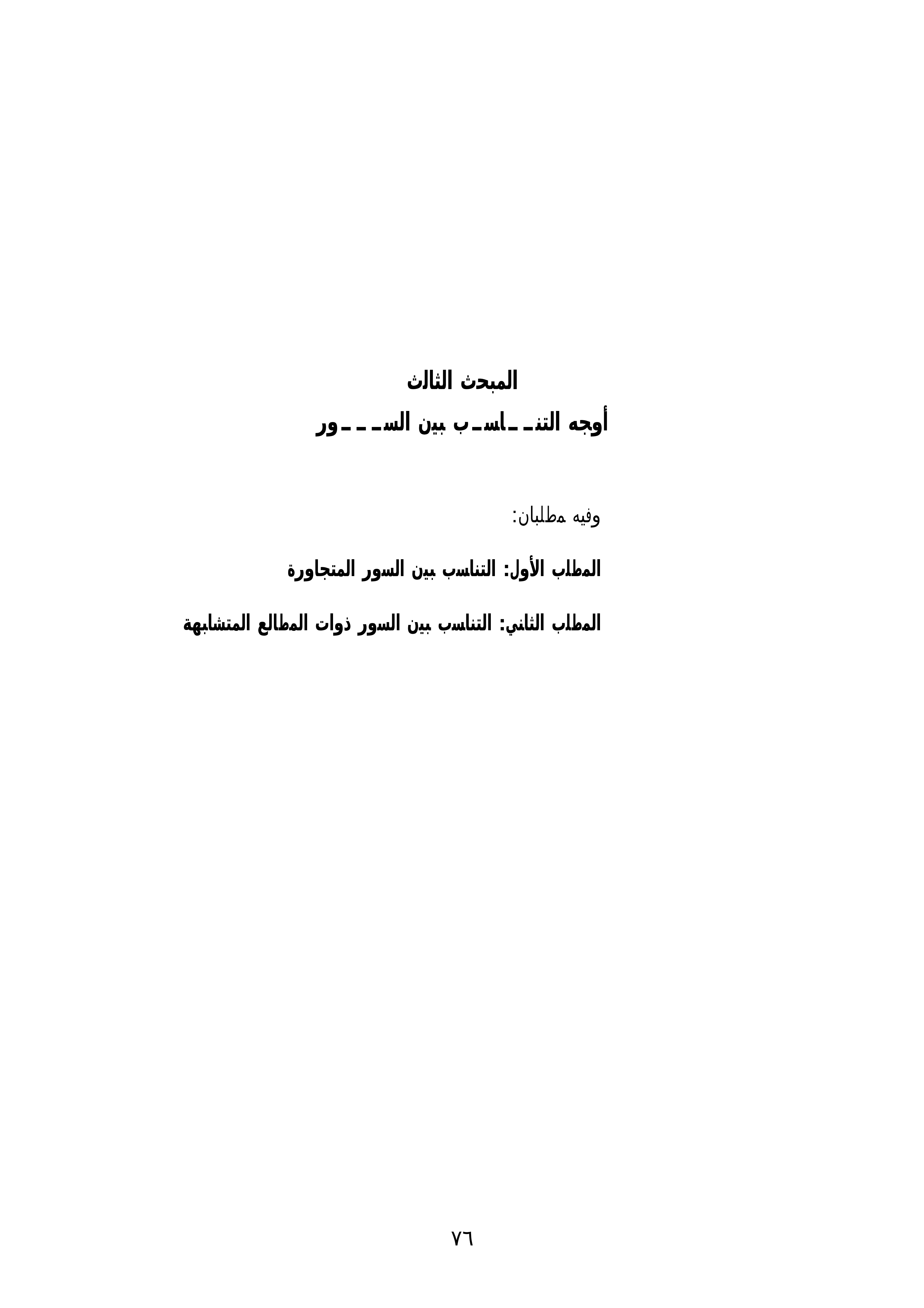
(٣) البهي، محمد، **تفسير سورة الأنعام**، (ص٧)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

ونفس المعنى في بدء السورة وختامها؛ في البدء تأكيد على أن الكتاب لا عوج له – أي محفوظ -فلا سـبيل إلى تحريفه أو حرفه عن مساره، والختام تأكيد على أن كلمات ا لن تنفد، وخلال السورة تأكيد على أنـه لا مبدل لكلمات ا .

وفي الحديث أن (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال)[1]، والعصمة حفظ.

وكأن المحور الرئيس في السورة هو التأكيد على حفظ ا تعالى للمؤمنين وكتابهم، حتـى يبلغـوا التمكـين ويصير حالهم كذي القرنين، وبعد أن كانوا يحفظهم ا حال ضعفهم، يطلب إليهم أن يحفظوا الـضعفاء، وإذا كان ما يتعلق بالدنيا سريع الزوال ولا بقاء له، فإن الصالحات هن الباقيات، ويصرخ المجرمون حين يوضـع الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها حيث حفظت أعمالهم ولم يضع منها شيء، وسيأتي مزيد عند الحديث عن التناسب في القصص القرآني.

١ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، حديث رقم(٨٠٩).



المبحث الثالث

أوجه التنـــاســب بين الســـــور

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التناسب بين السور المتجاورة

المطلب الثاني: التناسب بين السور ذوات المطالع المتشابهة

المطلب الأول
التناسب بين السور المتجاورة

وللتناسب بين السور المتجاورة أوجه عدة:

١) **التناسب بين الأطراف:**

ويقصد به التناسب بين آخر السورة ومطلع التي تليها، ومن أمثلته:

أ- خاتمة الإسراء وفاتحة الكهف:

خاتمة الإسراء هي قوله سبحانه:﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ ، وفاتحة الكهف﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ .

قال البقاعي:" لما خُتمت تلك بأمر الرسول ﷺ بالحمد عن التنزه عن صفات النقص، لكونه أعلم الخلق بذلك؛ بدئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص، منبهاً بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم"[(١)].

ب- خاتمة مريم وفاتحة طه: قال في (روح المعاني) في بداية تفسيره لسورة طه:" ووجه ارتباط أول هذه بآخر تلك؛ أنه سبحانه ذكر هناك تيسير القرآن بلسان الرسول عليه الصلاة والسلام معللاً بتبشير المتقين وإنذار المعاندين، وذكر تعالى هنا ما فيه تأكيد لذلك"[(٢)]. ويشبهه ما جاء في (البحر المديد):" ووجه مناسبتها لما قبلها قوله:﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ ، [مريم:٩٧]، مع قوله:﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ [طه]، كأنه يقول: فإنما سهلناه عليك لترتاح به لا لتتعب"[(٣)].

ت- المناسبة بين فاتحة النور وخاتمة المؤمنون: قال النيسابوري:" لما أُمر رسول ا ﷺ في خاتمة السورة المتقدمة بطلب المغفرة والرحمة، وطلبه يستلزم مطلوبه لا محالة بدليل سل تعط، أردفه بذكر ما هو أصل كل

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر**، (٤٤١/٤).

(٢) الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (٢١٦/١٦)، دار الفكر، بيروت، دط، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٣) ابن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، (٢٥٩/٤).

رحمة ومنشأ كل خير فقال: ﴿سُورَةٌ﴾ أي هذه سورة ﴿أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: ١]"[١].

ث- المناسبة بين أول الحج وخاتمة الأنبياء: قال البقاعي في بداية تفسير سورة الحج:" لما خُتمت التي قبلها بالترهيب من الفزع الأكبر، وطي السماء وإتيان ما يوعدون، والدينونة بما يستحقون، وكان أعظم ذلك يـوم الدين، افتتحت هذه بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم"[٢].

وقال الشوكاني: " لما أنجز الكلام في خاتمة السورة المتقدمة إلى ذكر الإعادة وما قبلها ومـا بعـدها، بـدأ سبحانه في هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها، حثاً على التقوى التي هي أنفع زاد فقال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١]"[٣].

٢) التناسب بين الفاتحتين:

في القرآن الكريم أزواج أو مجموعات من السور المتجاورة تتطابق فواتحها أو تتقارب، أو يكون بينها وجـه من وجوه المناسبة، وسيأتي في المطلب الثاني من هذا المبحث، ما يترتب على المشابهة بـين الفـواتح مـن تناسب بين السور تجاورت أم لم تتجاور، وأما هنا فالمقصود إبراز ارتباط فاتحتي السورتين المتجـاورتين، ومن أمثلته:

أ- الإسراء والكهف: فاتحة الإسراء هي ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ ، وفاتحة الكهـف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ .

والمناسبة بينهما أولاً: من حيث تكرر لفظة (عبده) في الافتتاحيتين مقصوداً بها محمد ﷺ، وثانيـاً: مـن حيث افتتاح الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد، "وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد، نحو: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر:٩٨]، وسبحان ا وبحمده"[٤]. وقال الإمام الرازي في تعليل تقدم التسبيح في الإسراء على التحميد في الكهف:" التسبيح أول الأمر لأنه عبارة عن تنزيه ا عما لا ينبغي، وهو

---

(١) النيسابوري، **تفسير غرائب القرآن**،(١٤١/٥).
(٢) البقاعي، **نظم الدرر**،(١٢٩/٥).
(٣) الشوكاني، **فتح القدير**،(٥٩٣/٣).
(٤) السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**،(ص٩٩).

إشارة إلى كونه كاملاً في ذاته، والتحميد عبارة عن كونه مكملاً لغيره، ولا شك أن أول الأمر هو كونه كاملاً في ذاته، ونهاية الأمر هو كونه مكملاً لغيره؛ فلا جرم وقع الابتداء في الذكر بقولنا: (سبحان ا)، ثم نـذكر بعده: (الحمد)، تنبيهاً على أن مقام التسبيح مبدأ، ومقام التحميد نهاية"[1].

ب- الأنبياء والحج: ذكر أبو جعفر بن الزبير أنه:" لما افتتحت سورة الأنبياء بقولـه تعـالى:﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴾ [الآية:١] وكان وارداً في معرض التهديد، وتكرر في مواضـع... وقـد ختمت بمثل ما به ابتدئت، اتصل بذلك ما يناسبه من الإعلام بهول الساعة وعظيم أمرها"[2].

٣) **التفصيل والإجمال:**

حيث يذكر الأمر مجملاً في سورة فتأتي التي بعدها فتفصله، ومن أمثلته:

أ- مناسبة مجيء سورة النور بعد المؤمنون: " وجه اتصالها بسورة قد أفلح: أنه لمـا قـال:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ ﴾ [المؤمنون]، ذكر في هذه أحكام من لم يحفظ فرجه، من الزانية والزاني، وما اتصل بذلك من شأن القذف، وقصة الإفك، والأمر بغض البصر، وأمر فيها بالنكاح لحفظ الفروج، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف وحفظ فرجه، ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا"[3].

ب- بين مريم وطه: قال السيوطي:" لما ذكر في سورة مريم قصص عدة من الأنبياء، وهم زكريا ويحيـى وعيسى، الثلاثة مبسوطة، وإبراهيم، وهي بين البسط والإيجاز، وموسى وهي موجزة بجملة؛ أشار إلى بقيـة النبيين في الآية الأخيرة[4] إجمالاً. وذكر في هذه السورة شرح قصة موسى، التي أجملها هناك، فاسـتوعبها غاية الاستيعاب وبسطها أبلغ بسط، ثم أشار إلى تفصيل قصة آدم الذي وقع مجرد اسمه هناك، ثم أورد فـي سورة الأنبياء بقية من لم يذكر في مريم"[5].

---

(١) الرازي، **التفسير الكبير**، (٤٢١/٧).

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**،(٥/ ١٢٩- ١٣٠).

(٣) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص١٠٤).

(٤) يشير إلى قوله تعالى(أولئك الذين أنعم ا عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومـن ذريـة إبـراهيم وإسرائيل...)، [مريم:٥٨].

(٥) السيوطي، **السابق**، (ص١٠٢).

ويضاف إلى ذلك، أنه لما لفتت سورة مريم، إلى أهمية هارون في مؤازرة موسى عليهما السلام ، ومن قبل بنسبة مريم إليه:﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ [مريم: ٢٨]؛ فإن سورة طه قد ذكرت دعاء موسى بطلب هارون وزيراً وكثر ذكره فيها، بل قدمه السحرة عندما - خروا سجدا- في الذكر.

ت- بين آل عمران والنساء: فقد جاء في أواخر آل عمران قوله سبحانه:﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، حيث تضمنت أمرين: وحدة الأصل بين الجنسين، والعدل في الجزاء الإلهي وعدم تضييع أي من الجنسين، أو أي فرد منهما. ثم جاءت سورة النساء يبين أولها أن ا تعالى خلق الناس﴿ مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ ﴾ [النساء: ١] هو تفصيل لقوله:﴿ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ ﴾، ثم تكرر التأكيد في السورة على إيتاء النساء حقوقهن على قدم المساواة مع الرجال، في مثل قوله تعالى:﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ٧ ﴾ [النساء]، وقوله سبحانه:﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ ﴾ [النساء:٣٢]، فإنه تعالى بعد أن أكد أنه لا يضيع عمل عامل ولا يظلم أحداً أو يهضمه حقه في الآخرة، دعا المؤمنين أن يؤتوا النساء حقوقهن رعاية للنساء في الحياة الدنيا.

٤) أن يذكر موضوع في سورة فتأتي جارتها لتعالج ذات الموضوع من جانب آخر

ومن أمثلته: **موضوع الرحمة بين الكهف ومريم**: حيث تكررت الرحمة في قصص سورة الكهف، كما تكررت في قصص سورة مريم التي تليها، لكن الملاحظ أن الرحمة في الكهف هي رحمة الحماية والمحافظة على المؤمنين والضعفاء، والرحمة في مريم هي الرحمة بالمعين على الدعوة.

كما يلاحظ في الآيتين الكريمتين:﴿ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠ ﴾، و﴿ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ﴾[الكهف: ٨٢]، كما قال الخضر لموسى مؤولاً أفعاله الغريبة بأنها رحمة بالمساكين أصحاب السفينة التي يلاحقها الملك القرصان، وبالوالدين الذين قتل ابنهما كيلا يرهقهما طغياناً وكفراً، وباليتيمين إذ أقام الجدار ليحفظ لهما كنزهما، ومثل ذلك قول ذي القرنين للقوم الذين

لا يكادون يفقهون قولاً بعدما أقام ردما يمنع عنهم عدوان يأجوج ومـأجوج: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ﴾ [الكهف:٩٨].

وأما الرحمة في سورة مريم، فهي رحمة أصفياء ا المذكورين، بمن يعينهم على الدعوة فـي مثـل قولـه سبحانه: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ ، وقوله جل شأنه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾.

٥) **المناسبة بين أسماء السور:**

ضرب السيوطي لذلك أمثلة؛ فقال في المناسبة بين سورتي القمر والنجم:" لا يخفى مـا فـي تـوالي هـاتين السورتين من حسن التناسق في التسمية؛ لما بين النجم والقمر من الملابسة، ونظيره توالي الـشمس والليـل والضحى"[1].

وقد لاحظ الباحث وجود تناسب بين أسماء بعض السور المتجاورة، وهو إذ يذكرها فلأجل أن يلفت الأنظـار إلى ما قد يكون باباً مهماً من أبواب التناسب، حيث المعتاد في أوجه المناسبة أن يكون بعضها ظاهراً بينـاً، والبعض الآخر يكتنفه بعض الغموض، والبعض الثالث يحتاج إلى طول تفكر؛ وليس من المقبول رفضه لعدم جلائه أو اكتشافه.

ومن الأمثلة عليه السور الثلاث: المؤمنون والنور والفرقان، فالمؤمنون بإيمانهم اتبعوا النور الذي جـاء بـه النبي ﷺ أو انتقلوا وخرجوا بالإيمان من الظلمات إلى النور، وحيث تمسكوا بالنور فقـد تحـصل لـديهم الفرقان، (الفرقان هو القرآن) الذي يفرق بين الحق والباطل، وشأن النور أن يساعد فـي تمييـز الأشـياء والتفريق بينها.

وكذلك سورتا آل عمران والنساء؛ فقد ركزت آل عمران على امرأة عمران ومريم عليهما الـسلام، ودعـت سورة النساء إلى رعاية النساء بعدما أشادت آل عمران بمثَلين كريمين منهن، إذ إن النظرة الـسلبية للمـرأة باعتبارها أصل الشرور، قد تؤدي إلى اليأس من إصلاحها بل والاعتداء على حقوقها.

---

(١) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص١٢٠).

وأما عن العلاقة بين اسمي البقرة وآل عمران؛ فإن الأولى تحدثت عن جنس ما عبده بنو إسرائيل من البقر، والثانية تحدثت عما عبده النصارى؛ وهما عيسى ومريم من آل عمران، والبقرة مهمة وأساسية لحياة الإنسان المادية، وتحدثت الثانية عن أمر رئيس آخر، لكن لحياة الإنسان الروحية وهم حملة الدين من آل عمران.

المطلب الثاني

المناسبة بين السور ذوات المطالع المتشابهة

توقف العلماء عند السور التي لها ذات الفواتح لكشف المشترك فيها، والمعاني التي يمكن أن تستشف من ترتيبها في كتاب ا تعالى، ومن الأمثلة:

١) السور المفتتحة بالحمد: حيث ذكر ابن كثير[١] في مطلع تفسيره سورة الكهف، أنه تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتمها؛ فإنه المحمود على كل حال، وله الحمد في الأولى والآخرة، ولذا حمد نفسه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات ا وسلامه عليه"[٢].

هناك خمس سور من القرآن الكريم افتتحت بالحمد، هي الفاتحة وأولها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١﴾ ، ثم الأنعام وفاتحتها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١﴾ ، وبعدهما الكهف ومطلعها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ١﴾ ، ثم تأتي سورة سبأ وبدايتها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١﴾ ، والسورة الأخيرة هي فاطر، وقد استهلت بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١﴾.

يرى الإمام محمود شلتوت[٣] أن سور الحمد تعبر عن مظهر الربوبية في الخلق والإيجاد، وفي الهدى والإرشاد، وأن هذه النعمة الكبرى هي سر استحقاقه تعالى واختصاصه بالحمد والثناء، الذي ينبغي أن يتوجه إلى مصدرها فقط.

---

(١) هو أبو الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (ت٧٧٤) ، مفسر محدث مؤرخ تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية ، له: البداية والنهاية، وطبقات الفقهاء الشافعيين، وجامع المسانيد،[انظر: **طبقات الأدنروي** ص٣٦٠-٣٦١، **والأعلام** ١/٣٢٠].

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، (٧١/٣)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

(٣) محمود شلتوت(١٨٩٣-١٩٦٣م)، فقيه ومفسر مصري، تخرج في الأزهر ودرس فيه ثم صار شيخاً له، من كتبه: الإسلام

"ومع اشتراك السور الخمس في الافتتاح بتقرير استحقاق الحمد على هذه النعمة الكبرى، كان لكل سورة منها منهج خاص فيما عرضت له من أنواع تلك النعمة، وقد جاءت الفاتحة بالنسبة لسائرها في هذا الشأن، كما جاءت هي لجميع القرآن بالنسبة لكل ما تضمنته، جاءت أما تجمع فروع التربية وأنحاءها التي وزعت على السور الأربع، وتقاسمتها؛ فهي تقول:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١﴾ ﴾، فتربط استحقاق الحمد بربوبيته للعالمين، والربوبية المطلقة تنتظم التربية الخلقية، جسمية وعقلية بالخلق والإيجاد، كما تنتظم التربية التشريعية بالوحي والرسالة؛ فكما لا خالق ولا مانح للعقل وقوى التفكير سواه، لا مشرع ولا مرشد ولا هادي سواه.

" وتجيء بعد الفاتحة سورة الأنعام، فتثبت أيضاً استحقاق الحمد وحده، وتسير في طريق نوع من أنواع التربية العامة، وهو نوع الخلق والإيجاد للكائنات وظواهرها،﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ ... و" تجيء بعد ذلك سورة الكهف فتأخذ روح التربية بالوحي:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ ،...ثم تجيء سورة سبأ فتبدأ بإثبات الحمد أيضاً، وتأخذ نوعاً من أنواع التربية المطلقة، يرجع إلى الملك والتصرف الحكيم، والتدبير المحكم﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ .

" ثم تجيء بعد ذلك سورة فاطر وهي آخر السور الخمس، فتذكر استحقاق ا وحده الحمد، وتجمع في سـبيله نوعي التربية: الجسمية والسماوية، ولكن على تفصيل لم يذكر في سورة الفاتحة؛ فتذكر السماوات والأرض، وتذكر رسل الوحي من الملائكة، وتذكر أن ا مصدر الرحمة بيده إمساكها وبيده إرسالها، ... ثم تذكر الذين ينقادون لتربية الوحي، وترشد إلى أن ما أوحى به إلى محمد -ﷺ- هو الحق المصدق لما بين يديـه، وأن ا يورث الكتاب من يصطفيهم من عباده، وهكذا تمزج التربيتين: الخَلقية والتشريعية في منهجهـا"[1]، وفاتحـة

عقيدة وشريعة، القرآن والمرأة، القرآن والقتال، ولم يفسر سوى الأجزاء العشرة الأولى، [**الأعلام**، ١٧٣/٧].

(**١**) شلتوت، محمود، **تفسير القرآن الكريم**، (ص٣٦٤-٣٦٨).

سورة فاطر هي: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١﴾﴾.

٢) السور المفتتحة بالتسبيح: قال الكرماني[١]: هذه الكلمة- التسبيح- استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر منها في بني إسرائيل(الإسراء)؛ لأنه الأصل، ثم الماضي، في الحديد والحشر والصف؛ لأنه أسبق الزمانين، ثم بالمستقبل، في الجمعة والتغابن، ثم بالأمر في سورة الأعلى، استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها"[٢]، وقال أبو جعفر بن الزبير:" وإنما تقدم الماضي لثباته رتبةً ووجوداً قبل المضارع، ثم أُتبع بما يقتضي الاستمرار، وكان ورود أكثرها على التعبير بالماضي؛ لأنه أوضح في استحكام الثبات وامتداده"[٣].

والملاحظ أن الكرماني وأبا جعفر قد التفتا إلى الأمر من خلال المنظار النحوي، الذي يدل على واقع الأمر بالنسبة للتسبيح، فإن الله سبحانه منزه في ذاته من قبل إيجاده المخلوقين وتنزيههم له، ولذلك بدئ بالمصدر، ثم كان الحديث عن قيام المخلوقات في الماضي بتسبيحه تعالى واستمرارها على ذلك في الحاضر والمستقبل، وهو كما يبدو السر في توالي صيغتي الماضي والحاضر، وما دام الأمر كذلك بالنسبة لذات الخالق سبحانه، وسلوك المخلوقين ماضياً وحاضراً، فما ينبغي للإنسان أن يتلكأ أو يشذ، وعلى هذا جاءت صيغة الأمر آخر المطاف، وقد تكرر في القرآن الحديث عن تسبيح ما في الكون؛ كيما يسير الإنسان مع التيار ويلحق بالركب.

٣) قال في الميزان إن:" السور القرآنية المصدرة بالحروف المقطعة لا تخلو من ارتباط بين مضامينها وبين تلك الحروف، فالحروف المشتركة تكشف عن مضامين مشتركة"[٤].

وعند السامرائي أن :" كل سورة تبدأ بالطاء ترد فيها قصة موسى في أوائلها مفصلة قبل سائر القصص، مثل: طه، وطس، وطسم في القصص، وطسم في الشعراء، وليس في المواطن الأخرى مما يبدأ بالحروف المقطعة مثل ذلك؛ فالقاسم المشترك فيما يبدأ بالحرف (ط) قصة موسى مفصلة في أوائل السورة. والملاحظة

---

(١) محمود بن حمزة الكرماني،(ت ٥٠٥هـ)، النحوي المعروف بتاج القراء، له: شرح على البخاري، وشرح اللمع لابن جني، وخط المصاحف، ولباب التأويل المشهور باسم العجائب والغرائب.[**طبقات الأدنروي** ص ١٤٩، **الأعلام** ١٦٨/٧].

(٢) الكرماني، محمود بن حمزة، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**(أسرار التكرار في القرآن، كما سماه المحقق)، (ص ٢٣٢)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط ، د.ت.

(٣) ابن الزبير، **ملاك التأويل**، (٨٩١/٢).

(٤) الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، (٧/١٤).

الأخرى أن ما يبدأ ب(طسم) تكون قصة موسى فيها أطول مما يبدأ ب(طس)، فكأن زيادة الميم إشعار بزيادة القصة[1]".

وأما بالنسبة إلى السور المفتتحة بحرف الصاد؛ فإن سورة (ص)، التي فيها كلمات صادية كثيرة[2] بالمقارنة مع غيرها من السور، قد اشتملت على عدد" من الخصومات المتعددة؛ فأولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ، وقولهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [ص:5]، إلى آخر كلامهم، ثم اختصام الخصمين عند داود ﷺ، ثم تخاصم أهل النار، ثم اختصام أهل النار، ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم... ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود، ثم اختصامه ثانياً في شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم[3]".

ووصفت سور مريم التي تضمنت فاتحتها حرف الصاد قوم محمد ﷺ أنهم قوم (لُد)، وافتتحت الأعراف منبهة الرسول ألا يضعف فيترك بعض ما أنزل إليه، تحت تأثير الخصومة الشديدة.

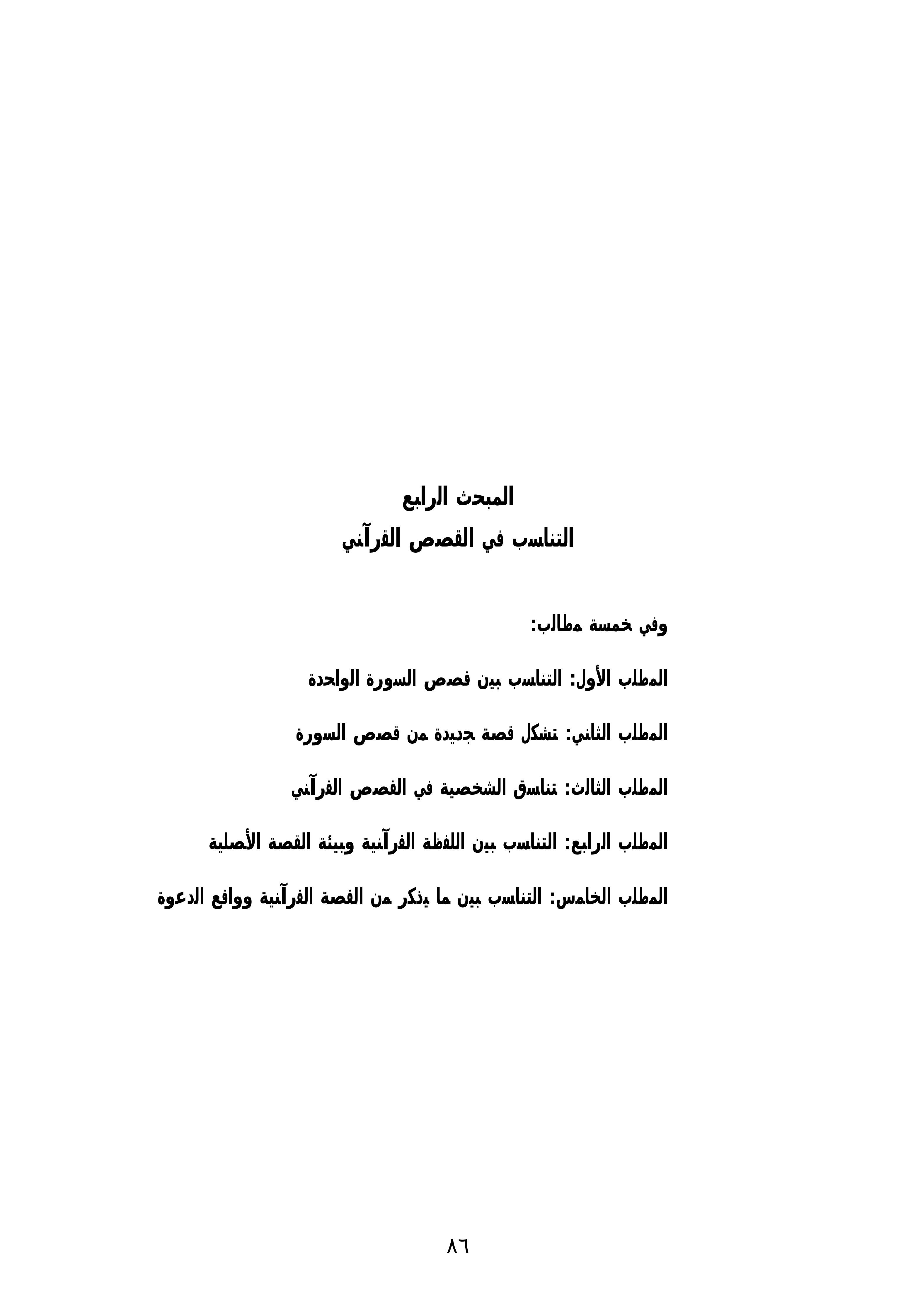
يضاف إلى ذلك: أن جو الذكر والتذكير في سورتي (مريم) و(ص) بارز؛ فكلتاهما تبدآن بالذكر ثم يتكرر فيهما الأمر به، ويمكن أن يلاحظ الأمر نفسه في سورة الأعراف، التي تتضمن فاتحتها حرف الصاد، حيث يتكرر فيها مادة الذكر في عدد من الآيات كذلك وبداية من مطلعها.

---

(1) السامرائي، فاضل صالح، **التعبير القرآني**، (ص: ٢٢٤)، دار عمار، عمان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(2) ورد حرف الصاد في سورة (ص) ٢٩ مرة، جرار، بسام، **إعجاز الرقم ١٩ في القرآن الكريم**، (ص: ١١١) المؤسسة الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

(3) الزركشي، **البرهان**، (١/٢١٨- ٢١٩).



المبحث الرابع
التناسب في القصص القرآني

وفي خمسة مطالب:

المطلب الأول: التناسب بين قصص السورة الواحدة

المطلب الثاني: تشكل قصة جديدة من قصص السورة

المطلب الثالث: تناسق الشخصية في القصص القرآني

المطلب الرابع: التناسب بين اللفظة القرآنية وبيئة القصة الأصلية

المطلب الخامس: التناسب بين ما يذكر من القصة القرآنية وواقع الدعوة

القصص في القرآن يجري عليه ما يجري على جميع آيات القرآن الكريم، من حيث تناسبها مع الواقع الـذي نزلت لمعالجته، والسورة التي وردت فيها، ومن الطبيعي أن تتناسب القصص الواردة في الـسورة الواحـدة بعضها مع بعض، فضلاً عن أن تشكل هذه القصص المتتالية أو المتناثرة في السورة فصولاً من قصة جديدة، تؤدي الغرض المقصود من السورة، كما التفت الباحثون إلى أن كل شخصية قصصية قرآنية – وإن توزعت على مواضع كثيرة – فإنها متناسقة ولها تميزها واستقلالها عن سائر الشخصيات الأخرى.

وقد أُفردت المناسبة في القصص القرآني لأهميته، ولتعدد أشكال المناسبة فيه سواء داخـل الـسورة أو بـين السور، وكذا تناسبها لواقع النزول أو واقعها التاريخي، وتناسق الشخصية.

ولعل سيد قطب أن يكون أول من نظم الدرر المتناثرة حول مناسبات القصص القرآني من كتـب التفـسير، فضلاً عن الإضافات المميزة التي جاء بها مما فتح ا عليه، سيما وأنه أديب مطبوع ومفكر من ذوي النبوغ، وذلك في كتابه (التصوير الفني)، ثم في تفسير (الظلال).

المطلب الأول
التناسب بين قصص السورة الواحدة

ومن الأمثلة على التناسب بين القصص القرآني في السورة الواحدة:

١) قال في (مجمع البيان):" لما ذكر ا سبحانه أن إيمان فرعون لم يقبل عند معاينة العذاب، وصـل ذلـك بذكر إيمان قوم يونس، قبل نزول العذاب، فقال:﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾[يونس: ٩٨] "[١].

٢) وذكر في (اللباب) وجوهاً لمناسبة قصة البقرة مع ما قبلها:" أحدها: أنه تعالى لما عدد الـنعم المتقدمـة على بني إسرائيل؛ كإنزال المن والسلوى، ورفع الطور، وغير ذلك؛ ذكر بعد هذه النعم التي بين فيها البريء من غيره، وذلك من أفضل النعم. الثاني: أنه تعالى لما حكى عنهم التشددات والتعنت، كقـولهم:﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً ﴾[٢][البقرة: ٥٥]، وقولهم: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ [البقرة: ٦١]، وغيـر ذلـك مـن التعنت، ذكر بعد تعنتاً آخر؛ وهو تعنتهم في صفة البقرة"[٣].

٣) قال الشوكاني:" لما ذكر سبحانه حال بعض الشاكرين لنعمه عقبه بحال بعض الجاحدين لها فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ ﴾[سبأ: ١٥] "[٤]، يقصد الربط بينها وبين قصة سليمان وداود الشاكرين.

٤) وعن حكمة مجيء قصة عيسى بعد قصة يحيى عليهما السلام قال الفخر الرازي: " إنما قدم قصة يحيى على قصة عيسى عليهما السلام، لأن خلق الولد من شيخين فانيين، أقرب إلى مناهج العادات من تخليق الولد

---

(١) الطبرسي، **مجمع البيان**، (٢٠٨/٥).

(٢) في المطبوع: (يريد ا جهرة) [النساء:١٥٣]، وهو خطأ من جهتين: أن آية النساء فيها (أرنا) وليس(يريد)، والثانية أن السياق هو عن آيات البقرة وليس عن آيات النساء، ولذلك اقتضى التصحيح.

(٣) ابن عادل، **اللباب في تفسير الكتاب**، (١٥٣/٢).

(٤) الشوكاني، **فتح القدير**، (٤٢١/٤).

لا من الأب البتة؛ وأحسن الطرق في التعليم والتفهيم الأخذ من الأقرب فـالأقرب مترقيـاً إلـى الأصـعب فالأصعب"[1]، وذلك بحسب التصور البشري والقدرة البشرية.

يضاف إلى ذلك أن قصة زكريا ويحيى في السورة – مثلما كانت في الواقع – فإنها كالتمهيد والتقديم لقـصة مريم وعيسى عليهم السلام، فالسورة اسمها مريم وبدايتها عن زكريا تمهيداً وتهيئة، وفيهما من التشابه الكثير؛ إذ إن الناظر في قصتيهما، سيجد، وبشكل يكاد يكون مطردا، أن عناصر قصة يحيى، تشكل مقدمة وتوطئـة وتمهيدا، لما يقابلها من قصة عيسى، التي تبدو عناصرها أكبر وأكمل.

فقد كانت ولادة يحيى عليه السلام، من أم عجوز عاقر وشيخ كبير، معجزة موطئة وممهدة للمعجزة الأكبر في ولادة عيسى عليه السلام دون أب.

والآية لزكريا في حمل يحيى أن لا يكلم الناس ثلاث ليال سويا، ومريم تنذر للرحمن صوماً فلا تكلم في ذلـك اليوم إنسيا.

وكانت المعجزة في أن يؤتى يحيى الحكم صبيا، مقدمة للمعجزة الأكبر في أن عيسى يكون نبيا ويبلّغ عن ا في المهد صبيا.

وكذلك كانت نبوة يحيى موطئة لنبوة عيسى ..بحيث يكون يحيى مصدقا بكلمة من ا ، فمع أنه سبقه، إلا أنه يصير بعد بعثة عيسى مؤيداً وتابعاً له.

5) وقال الرازي في حكمة مجيء قصة إبراهيم عليه السلام بعد قصة مريم في سـورة مـريم: " اعلـم أن الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر، والمنكرون للتوحيد هم الذين أثبتوا معبوداً سـوى ا تعالى، وهؤلاء فريقان: منهم من أثبت معبوداً غير ا حياً عاقلاً فاهماً وهم النصارى، ومـنهم مـن أثبـت معبوداً غير ا جماداً ليس بحي ولا عاقل ولا فاهم؛ وهم عبدة الأوثان. والفريقان وإن اشتركا في الـضلال، إلا أن ضلال الفريق الثاني أعظم؛ فلما بين تعالى ضلال الفريق الأول تكلم في ضلال الفريق الثـاني وهـم عبدة الأوثان"[2].

---

(1) الرازي، **التفسير الكبير**، (٥١٩/٧ - ٥٢٠).

(2) الرازي، **التفسير الكبير**، (٥٤١/٧).

المطلب الثاني

تشكل قصة جديدة من قصص السورة (قصص سورة الكهف أنموذجاً)

هذا المطلب امتداد لسابقه؛ إذ هو يتحدث عن تناسب القصص في السورة الواحدة، لكنه ينظر إليها جميعاً باعتبارها فصولاً أو حلقات متسلسلة.

فقصة الكهف التي سميت بها السورة كانت كأنها فصل أول في رواية، وتبعتها القصص الأخرى فصولاً تالية، أو هي ملخص وتفصيله ما بعده؛ لكأن السورة بدأت بما يشبه واقع المسلمين في مكة من المطاردة والاضطهاد، ثم أرادت تصبيرهم على ما هم فيه بطمأنتهم على أنفسهم وعلى دينهم، ولفتهم إلى أن سبحانه حكمة عظيمة في كل أمر، وأن الأمور ليست على ظاهرها دائما، والمطلوب تسليم الأمر تعالى، فإن ا تعالى سيرعاهم ويحفظهم حتى يتم نوره، ويصير حالهم إلى حال ذي القرنين فيفتحوا المشارق والمغارب بالتوحيد، واسم ذي القرنين كما هو واضح، يوحي بمعاني القوة والغلبة.

وقد جاءت السورة وقصصها بشكل عام تدعوهم إلى الصبر وعدم الاستعجال، وتطمئنهم﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ [الكهف: ٢١]، كما تحقق الوعد لفتية الكهف، ثم جاءت قصة ذي القرنين "ذكراً"؛ ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [الكهف]، أي تذكيراً لهم بدورهم الرسالي في نشر التوحيد وحماية الضعفاء، جهاداً في سبيل ا تعالى والمستضعفين، كيلا يكون كل همهم الخروج من الأزمة دون التفكير في المستقبل المطلوب، ومرة أخرى يأتي الحديث عن وعد ا ، لكن على لسان ذي القرنين، مقترناً بالحديث عن الآخرة، فالمؤمن لا ينسى في كل أحواله أنه صائر إلى دار الجزاء، فيصبره ذلك أيام الشدة، ويضبطه أيام العز والنصر ويقيه الغرور والانحراف.

وإذا كانت قصة الكهف تحدثت عن الفتية المؤمنين المطاردين، كيف حفظهم ا تعالى وحفظ الدين الذي قاموا لأجله، حتى إنهم ليبنون المساجد؛ فإن القصة التالية تنبه المؤمنين إلى أن امتلاك زينة الحياة الدنيا لا يعني النصر والتأييد والحفظ والبقاء، إذ الحفظ مرهون بقدر ا وقدرته، وقد جاء بين القصتين قوله تعالى :

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف]، فهي من جهة تطالب الرسول عليه السلام، بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم؛ فإنهم محفوظون كما حفظ أصحاب الكهف، وبالغون مراد الله تعالى منهم، وتنهاه من جهة أخرى عن طاعة من أغفل الله قلبه واتبع هواه وحكم عليه بأن أمره فُرط، وإن كان ظاهره يشير إلى غير ذلك، وقصة صاحب الجنتين مثال واضح لذلك.

ثم تأتي أخبار موسى مع الخضر عليهما السلام فيها حفظ السفينة لأصحابها المساكين، وحفظ الأبوين المؤمنين، ثم حفظ الكنز لليتيمين اللذين كان أبوهما صالحاً، تطميناً للمؤمنين المستضعفين أنهم محفوظون في دينهم وذرياتهم وأموالهم ولن تغرق سفينة حياتهم ولا سفينة دعوتهم، وأن عليهم حين يصيرون إلى مثل حال ذي القرنين أن يقوموا هم بحماية المستضعفين حسبة لله تعالى، كما حفظهم حال ضعفهم، وكما فعل ذو القرنين حين جعل الردم، لحماية القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً، من إفساد يأجوج ومأجوج.

وقد تكرر الحديث عن الصبر في القصة السابقة لقصة التمكين – قصة ذي القرنين، كأنما لترسخ في قلوب المؤمنين أنه لا يكون تمكين دون صبر وأن الساعات التي تسبق التمكين تحتاج صبراً أكبر.

المطلب الثالث

تناسق الشخصية في القصص القرآني

قال صاحب كتاب البيان القرآني: إن " التصوير سمة عامة للبيان القرآني في كل مجالاته التعبيرية، وهو في القصة القرآنية على أتم ما يعهد، فأنت تعرف الشخصيات القرآنية معرفة متميزة؛ حتى لتفرق بوضوح بين سمات يوسف وموسى وإبراهيم وسليمان، وبلقيس وامرأة العزيز، لا أقول السمات الظاهرية وحدها، بل السمات الخافية التي تمور في مسارب اللحم والعظم"(١).

وسنلحظ من خلال الأمثلة الآتية أن أية شخصية مهما تكرر ورودها في السور القرآن، وبالرغم من تعدد المواقف والتطورات الحاصلة في القصة، في سياق العمل الدعوي والحياتي، أو الانتقال من مرحلة عمرية إلى أخرى، بل لا نبالغ إذا قلنا بأن كل مجموعة بشرية وردت في القصص القرآني، لها ملامح خاصة تميزها عما سواها، بحيث تتناسق عناصر الشخصية وتتكامل، دون شذوذ ولا نشوز.

١) فأما إبراهيم عليه السلام فهو " نموذج الهدوء والتسامح والحلم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥﴾ [هود: ٧٥](٢) ، فهو الذي آتاه الله تعالى رشده صغيراً، فرفض عبادة الأصنام، بل كسرها وهو لما يزل فتى ليقنع قومه بخطأ الذي يفعلون، ويحاور عبدة الأصنام والأجرام السماوية من قومه، كما يحاور أباه ، ويتحمل مواقفه العدوانية مسالماً له وواعداً إياه بالاستغفار له، ونلاحظ إبراهيم عليه السلام في أكثر من سورة يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء. وامتداداً لصفة الحلم عنده، يتكرر مشهد إبراهيم الخليل يحاجج ويجادل مرة أباه ومرة قومه وثالثة الذي آتاه الله الملك، بل إنه ليجادل الملائكة في قوم لوط.

وإذ نلحظ الشجاعة والجرأة العالية في مواجهات إبراهيم ومنذ صغره، مع كرم النفس والتسامح، فإننا نلاحظ إبراهيم عليه السلام الكريم الجواد الذي يأتي بعجل سمين حنيذ لضيوفه، ومعلوم أن هذه الصفات متلازمة، كما أن البخل والجبن واللؤم صفات متلازمة.

---

(١) البيومي، **البيان القرآني**، (ص١٤٩).

(٢) قطب، **التصوير الفني في القرآن**، (ص١٦٤).

٢) وأما يوسف فنموذج للرجل الواعي الحصيف[1]؛ فها هو ذا يلقى العنت من مراودة امـرأة العزيـز لـه فيأبى، ولا يفجؤه قدوم العزيز ومبادرة المرأة إلى اتهامه، بل يظل محافظا على رباطة جأشه ويرد بقلب ثابت ولسان صادق أنها هي التي راودته عن نفسه. وإذ يكون في السجن وقبل أن يفسر الرؤى فإنـه يقـدم لـذلك بدعوتهما إلى التوحيد، ثم إنه لا يعين أي الرجلين هو الذي سيسقي ربه خمراً وأيهما الذي سيـصاب فتأكـل الطير من رأسه، كيلا يجزع الأخير. وعندما يأتيه من يطلب تأويل رؤيا الملـك فإنـه يقـدم خطـة عمـل واستراتيجية لخمس عشرة سنة قادمة ولا يكتفى بالتأويل، ثم لا تستخفه دعوة الملك للخروج من السجن بـل يطلب إعادة التحقيق في القضية، وتتجلى الحصافة كذلك في إكرام إخوته، وتأخير كشف نفسه لإخوته، ثم في إيواء شقيقه ووضع السقاية في رحله، والبدء بأوعيتهم قبل وعاء أخيه.

والصبر والحصافة قرينان إذ الصبر ضياء، وقد تجلى ذلك في صبر يوسف على أذى إخوته، وعلى السجن، وعلى البعد عن أهله ووطنه. وهذه الحصافة لم تخطئها فراسة العزيز وهو يقول لامرأتـه: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾[يوسف: ٢١]، ولم تخطئها أذن الملك إذ قال له بعدما كلمـه: ﴿ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يوسف].

ومع الصبر كانت التقوى، بعدم استجابته للمراودة وبتكرار عبارة (معاذ ا) عند الدعوة إلى الفاحشة، أو ذكر ما يعني الظلم.

والإحسان هو التقوى والصبر مجتمعين، ويوسف عليه السلام يصفه ربه بأنه مـن المحـسنين: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[يوسف]، ويتحدث هو عن نفسه أنه قد تحقق بصفة الإحسان إذ اتقى وصبر فلـم يـضع ا تعالى أجره: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يوسف]، كما يصفه الفتيان بنفس الصفة﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يوسف]، ويخاطبه بها الإخوة: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [يوسف]، بل إن رؤيته وحتى مجرد ذكر اسـمه ليستدعيان تنزيه ا تعالى، وتذكر الملائكة الكرام، والشهادة له بالبراءة من الـسوء: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ

(1) قطب، **السابق**، (ص١٦٦-١٦٩).

أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف]، و﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾[يوسف: ٥١].

٣) **شخصية إخوة يوسف**: لعل عاملين أساسيين قد ساهما في تشكيل شخصيتهم الجماعية؛ أولهمـا: سـكنى البادية، والثاني: كونهم أبناء نبي الله يعقوب عليه السلام.

وعلى الرغم من شدة الذي يجدونه في نفوسهم تجاه يوسف عليه السلام، وتفكيرهم فـي قتلـه، فلـيس مـن الموضوعية الظن بأنهم مجرمون محترفون؛ ففي اجتماعهم للتخلص من يوسف، بدأوا الحديث عـن القتـل، وفي نفس اللحظة كان اقتراح آخر بعدم قتله والاكتفاء بطرحه أرضاً ليكون الهلاك بغير أيديهم، ولـو كـانوا مجرمين محترفين، ما شفاهم إلا مباشرة الجريمة بأنفسهم، وقد لاحظنا قول بعضهم لبعض: (اقتلوا يوسـف)، كأن كل واحد منهم يريد أن يتهرب من مباشرة الجريمة بيده، وكان إجماعهم آخر الأمر ألا يقتلـوا يوسـف والاكتفاء بإلقائه في غيابة الجب، ولعل استعجالهم طلب اصطحاب يوسف(غداً)، خشية منهم، أو خشية مـن الشيطان الموسوس لهم أن تصحو ضمائرهم ويتراجعوا عما في نفوسهم ، فيمـا المجرمـون المحترفـون لا تزيدهم الأيام إلا حقداً، ويحتاجون لمزيد من الوقت لإحكام التخطيط، ويدل على بـساطتهم أيـضاً وضـعف قرائحهم وضحالة مخيلتهم أنهم لم يستطيعوا نسج قصة يفسرون بها غياب أخيهم إلا أن يقولوا: أكله الـذئب، وهو عين الذي قاله لهم أبوهم في الليلة السابقة، وحين أرادوا تأكيد زعمهم كانت كلمـاتهم تفـضحهم وهـم يقولـــون: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يوسف]، فيما المجرمون المحترفون وهم يخططون لقتل صالح عليه السلام، أكثر قدرة علـى الحبك والإحكام وإثبات براءتهم من الجريمة: ﴿ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النمل].

ومتابعة للحديث عن الشخصية الجماعية لإخوة يوسف عليه السلام؛ فإن من الملاحظ تكريرهم للقسم المبدوء بحرف التـاء: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يوسـف]، و﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [يوسـف]،و﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يوسف]،و﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ [يوسف].

المطلب الرابع
التناسب بين اللفظة القرآنية وبيئة القصة الأصلية

الألفاظ والتراكيب التي يختارها القرآن الكريم في قصصه، تنتقل بالقارئ إلى حيث بيئة القصة، فمـع كـون القرآن عربياً إلا أنه ينتقي العبارات العربية التي تنتمي أيضاً لبيئة القصة المعينة، ومن الأمثلة على ذلك:

١) لفظة اليم، والتي تعني البحر[(١)]؛ فالملاحظ أنها لم ترد إلا في قصة موسى عليه السلام، وإذا رجعنا إلـى تفسير المنار، عند تفسير قولـه تعـالى: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [الأعراف]، سنجده يقول: أي فانتقمنا منهم عند بلوغ الأجل المضروب لهم بأن أغرقناهم في الـيم – وهو البحر في اللغة المصرية الموافقة للعربية في الألوف من مفرداتها، وهو يطلق على النيل وغيره" وقـال في الهامش :" قد اكتشف هذه الموافقة علّامة العاديات المصرية صديقنا أحمد باشا كمال الأثـري المـصري صاحب المعجم الكبير للغة الهيروغليفية"[(٢)].

٢) وجاء في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأنعام]، فقد أشار إلى الشمس بقوله: ﴿هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ ﴾ ولم يقل:" هـذه ربتـي هذه أكبر" مع كون الشمس تعامل معاملة المؤنث عند العرب، حيث تبين من دراسة آلهة ما بين النهـرين أن الشمس عندهم إله مذكر" [(٣)].

٣) وعبارة ﴿هَيْتَ لَكَ ﴾[يوسف: ٢٣]، بمعنى: هلم لك، بالقبطية، أو السريانية[(٤)].

---

(١) السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، (٤١١/٤)، تحقيق محمد التونجي، عالم الكتـب، بيـروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) رضا، **تفسير القرآن الحكيم الشهير بالمنار**،(٩٥/٩).

(٣) الطراونة، سليمان، **دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية**، (ص١٥٧)، دن، ط١، عمان،١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٤) الماوردي، **النكت والعيون**، (٢٣/٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت.

المطلب الخامس

التناسب بين ما يذكر من القصة القرآنية وواقع الدعوة

القرآن، مكيه ومدنيه، كان يعالج واقع الدعوة في ظرفي الزمان والمكان، ويهيئ لقابل الأيام، وقصص القرآن التي هي بعض القرآن، كانت أيضاً تعالج الواقع الذي تنزلت فيه، وتهيئ لمستقبل الدعوة الإسلامية، وسنجد النبي الواحد تتوزع قصته على أجزاء عديدة، وتتنزل في أزمنة مختلفة، بحيث يتناسب كل نجم منها مع الواقع الذي نزل فيه.

١) **قصة إبراهيم:** فإذا تأملنا قصة إبراهيم عليه السلام في السور المكية، فسنجده غالباً يتعلق بالحجاج مع عبدة الأصنام والأجرام وحتى في دعائه، نجده في سورة إبراهيم المكية يدعو﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾، وفي سورة البقرة المدنية حيث بنو إسرائيل يساكنون المؤمنين يأتي الحديث عن إسماعيل ابن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، ثم دعاؤهما أن يبعث في أهل مكة رسولاً منهم، ومن قبل بناء البيت من قبل إبراهيم وإسماعيل، وهو القبلة الجديدة – القديمة، التي يعجب السفهاء من عودة المسلمين إليها، لتأكيد صلة محمد ﷺ بإبراهيم ﷺ الذي يدعي يهود أنهم أبناؤه، وحيث إن هذه القبلة من بناء إبراهيم فما يسعهم الاعتراض عليها، وفي قول ا تعالى لإبراهيم بعد إذ أتم الكلمات التي ابتلي بها:﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة]، تأكيد على أن الإمامة ليست أمراً ينال بالوراثة عبر التوالد، ولكن بالنجاح في الاختبار وإتمام الكلمات الربانية، أما الظالمون-والإشارة هنا نحو اليهود- فإنها تؤذن بنزع الراية منهم وتسليمها لمحمد ﷺ وأمته.

وقال الرازي عند تفسيره قصة إبراهيم عليه السلام في سورة مريم: " وإنما شرع في قصة إبراهيم لوجوه: أحدها: أن إبراهيم عليه السلام كان أبا العرب وكانوا مقرين بعلو شأنه، وطهارة دينه على ما قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[الحج: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٣٠]، فكأنه تعالى قال للعرب: إن كنتم مقلدين لآبائكم على ما هو قولكم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ

ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ [الزخرف]، ومعلوم أن أشرف آبائكم وأجلهم قدراً هو إبراهيم عليه السلام فقلدوه في ترك عبادة الأوثان وإن كنتم من المستدلين فانظروا في هذه الدلائل التي ذكرها إبراهيم عليه السلام لتعرفوا فساد عبادة الأوثان؛ وبالجملة فاتبعوا إبراهيم إما تقليداً وإما استدلالاً.

" وثانيها: أن كثيراً من الكفار في زمن الرسول ﷺ كانوا يقولون كيف نترك دين آبائنا وأجدادنا؟ فذكر الله تعالى قصة إبراهيم عليه السلام وبين أنه ترك دين أبيه وأبطل قوله بالدليل، ورجح متابعة الدليل على متابعة أبيه ليعرف الكفار أن ترجيح جانب الأب على جانب الدليل رد على الأب الأشرف الأكبر الذي هو إبراهيم عليه السلام"[1].

٢) **قصة يوسف:** وقد تحدث غير واحد من المفسرين والمفكرين الإسلاميين عن التناسب بين قصة يوسف عليه السلام، وواقع الدعوة النبوية فالطبري، يقول خلال تفسيره الآية[١٩] من سورة يوسف: " وهذا، وإن كان خبراً من الله تعالى عن يوسف نبيه- ﷺ - ، فإنه تذكير من الله نبيه محمداً ﷺ وتسلية منه له عما كان يلقى من أقربائه وأنسبائه المشركين من الأذى فيه، يقول: فاصبر يا محمد، على ما نالك من الله ، فإني قادر على تغيير ما ينالك به من المشركين، كما كنت قادراً على تغيير ما لقي يوسف من إخوته في حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا، ولم يكن تركي ذلك لهوان يوسف علي، ولكن لماضي علمي فيه وفي إخوته، فكذلك تركي تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون، لغير هوان بك علي، ولكن لسابق علمي فيك وفيهم، ثم يصير أمرك وأمرهم إلى علوك عليهم، وإذعانهم لك، كما صار أمر إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم وعلو يوسف عليهم"[2].

وتعليقاً على قوله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾[يوسف]، يقول الطبري أيضاً:" هذا وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن، فإن المراد به محمد نبي الله ﷺ ، يقول له عز وجل: كما فعلتُ هذا بيوسف من بعد ما لقي من إخوته ما لقي، وقاسى من البلاء ما قاسى، فمكنته في الأرض، ووطأت له في البلاد، فكذلك أفعل

(١) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، (٥٤١/٧- ٥٤٢).
(٢) الطبري، **جامع البيان**، (٢٢١/١٢).

بك فأنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأمكن لك في الأرض، وأوتيك الحكـم والعلـم، لأن ذلك جزائي أهل الإحسان في أمري ونهيي"[1].

ويعقد صاحب كتاب "مؤتمر تفسير سورة يوسف" فصلاً للمشابهة بين قصتي محمد ويوسف عليهما الـصلاة والسلام، يقول فيه:" فأنزل عليه وهو بمكة هذه السورة كاملة مرة واحدة، ليحيط علمه بما سيقع له من قريش وليقيس أحوال قريش على أحوال هؤلاء ويقيس شخصه على شخص يوسف، إذ هو اليوم يوسف قريش"[2].

٣) **وتشير قصة أصحاب الجنة،** في سورة القلم: إلى أن حال محمد ﷺ مع قومه، كحال أوسـط أصـحاب الجنة مع شركائه، أنه أوسطهم أي خيرهم وأعقلهم، وقد وصفه ربه بأنه على خلق عظيم، والحال أن الخلـق الكريم قرين العقل الراجح، ومن هنا وصفه ربه تعالى بأنه على خلق عظيم، بعد أن نفى عنه التلبس بالجنون؛ ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾ [القلم]، فما ينبغي للأوسط أن يتبع الأقل منه، والأصل أنه بالنسبة إليهم متبوع لا تابع، ومطاع غير طائع، فكيف إذا كـانوا علـى الحـال الأسوأ؟ فمن هنا جاء في السورة :﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ [القلم] ثم، ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠﴾ [القلم].

والمشابهة واضحة من البداية من قوله تعالى في مطلـع القـصة: ﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ۝١٧﴾ [القلم] إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة، فهنا نعمة وهناك نعمة، نعمة ثمار البستان، وهنـاك في مكة نعمة الإطعام والأمن، ونعمة إرسال محمد ﷺ - الأخ الأوسط - لقريش بالتسبيح الذي أوله التوحيد ونبذ الشرك، وكذا إطعام المساكين، وقد وصفوا في غير هذا الموضع بأنهم لا يتحاضون على طعام المسكين، ومن العطاء الذي يمنعونه: الصد عن دعوة محمد ﷺ ، فضلاً عن عدم استجابتهم لها وحملها معه.

وهناك نعمة الأوسط – أخيهم الصالح- الذي يأمرهم بالتسبيح، ويقتضي الأمر بالتسبيح، الرد على ظـنهم أن مصلحتهم تقتضي منع المساكين، وا تعالى هو الأعلم بمصلحة العباد، وظنهم أنهم سيفلتون من عقاب ا إذ يخالفون أمره، ثم وهم يقحمون اسم ا تعالى في سياق التأكيد على اقتراف ما نهى، وذاك مناقضة للتسبيح، فضلاً عن أن الإكثار من الحلف با دليل على أن صاحبه لا يقدر ا تعالى حق قدره، وقد كان حريـاً بهـم وهم يذكرون اسمه الجليل، أن يكون ذلك مدعاة لإجلاله وتعظيم أمره واجتناب نهيه.

---

(١) الطبري، **السابق،** (٢٣٢/١٢).

(٢) نوفل، أحمد، **سورة يوسف دراسة تحليلية،** (ص١٠٢)، نقلاً عن مؤتمر تفسير سورة يوسف، لعبد ا العلمي.

ولئن نهى القرآن محمداً ﷺ عن طاعة المكذبين وطاعة كل حلاف مهين، وأراه حـال الأوسـط وصـحبه إذ تغلبوا عليه، فإنه قد نهاه وحذره من أن يكون كصاحب الحوت داعياً إياه إلى الصبر لحكم ربه، ما يشير إلـى أن صاحب الحوت عليه السلام لم يصبر لحكم ربه، وسيان من ينسحب ومن يدهن.

٤) **قصة مريم:** فيما يتعلق بمناسبة ما ورد من قصة مريم في سورة مريم لواقع الدعوة في العهد المكي، فإن نزول هذه القصة قبيل الهجرة إلى الحبشة، يهدف - فيما يهدف- إلى لفت نظر ملكها إلى الدين الجديد، الذي يجمعه وإياه أرضية مشتركة فيما يتعلق بحقيقة عيسى عليه السلام، وليكـون دافعـاً لـه لحـسن استـضافة المهاجرين وحمايتهم[١]، وقد وقع الأمران فآمن النجاشي ولم يقبل بإرجاع المسلمن إلى مكة، لا بل أنذر أهـل مملكته من مغبة التعرض للمسلمين بأذى[٢].

ومن جهة أخرى فقد كان نزول هذه القصة بمثابة الوقاية والتحصين لهم من عقيدة أهـل الحبـشة، فليـسوا جميعهم على نفس الدرجة من الإيمان والوعي، فضلاً عن أن غالب أهل الحبشة لم يكونوا على مثل اعتقـاد الملك، ومع ذلك تتحدث بعض المصادر عن تنصر بعض المهاجرين[٣].

(١) الجابري، محمد عابد، **مدخل إلى القرآن الكريم**، (٣٦٤/١-٣٦٥)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، بتصرف.

(٢) العمري، أكرم ضياء، **السيرة النبوية الصحيحة**، (١٧٣/١-١٧٤)، ط٥، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٣) ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، (٥٠/٢)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، دت.

المبحث الخامس

أنواع التناسب بين السور القرآنية

سبق تعريف التناسب بأنه ارتباط أجزاء القرآن الكريم بعضها ببعض، وكانت المباحث السابقة عن أجزاء القرآن التي يكون بينها ارتباط، أما هذا المبحث فيعنى بطرائق العلماء ومناهجهم في توجيه المناسبات القرآنية، وفهمهم لأسس ذلك الارتباط بين أجزاء القرآن، وهو ما اخترت له اسم: أنواع التناسب، وخاصة ما يكون منها بين السورة وتاليتها، وأكثره مما استخلصه الدكتور محمد العبد[1] من تناسق الدرر للسيوطي، أو ما استخرجه الباحث مشهور المشاهرة[2] من تفسير البقاعي، علماً بأن هناك العديد من من نقاط الالتقاء بينهما.

١) **التفصيل والإجمال:**

القاعدة التي استقر بها القرآن - كما ذكر السيوطي - أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه[3].

ويمكن أن نلحظ هذه الخاصية القرآنية بين السورة والتي تجاورها بل بين مقاطع السورة الواحدة، فقد بدأت سورة الواقعة بتقسيم الناس أزواجاً ثلاثة، ومن ثم فصلت الآيات التالية في هذه الأزواج.

ولئن جاء في أواخر سورة يوسف تقريع المشركين على إعراضهم عن آيات ا المبثوثة في السماء والأرض: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ ، فقد افتتحت سورة الرعد التالية لها بما يفصل القول في هذه الآيات السماوية والأرضية، من رفع للسماء بغير عمد، وتسخير للشمس والقمر، ومن إرساء للجبال ومد للأرض وجعل الأنهار، وما جعل في الأرض من الثمرات الكثيرة وجنات النخيل والأعناب، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ

---

(١) العبد، محمد، **النص والخطاب والاتصال**،(ص١٥٧-١٦٩)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) مشاهرة، مشهور موسى، **التناسب القرآني عند الإمام البقاعي/** دراسة بلاغية، (ص ١٠٧- ١٢٩)، أطروحة ماجستير، في اللغة العربية وآدابها، من الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م.

(٣) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص ٦٥).

جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[1].

٢) **التناسب على الدليل والبرهان:**

من هذا القبيل، التناسب القائم بين أوائل سورة الفيل وخواتيم سورة الهمزة؛ فإنه لما قدم في الهمزة "أن كثرة الأموال المسببة بالقوة والرجال ربما أعقبت الوبال، دل عليه بدليل شهودي محذراً من الوجاهة في الدنيا وعلو الرتبة والطغيان، مشيراً إلى أن هذه الأمور كلما عظمت زاد ضررها بما تجره، وما تحمله في ثناياها، إلى أن ينازع صاحبها الملك الأعلى، فالويل له بعد ذلك، وأدل دليل عليها ما شاهدته قريش من أمر أصحاب الفيل"[2].

ومثله التناسب بين آخر الإسراء وأول الكهف؛ فلما ختمت الإسراء بأمر الرسول ﷺ بالحمد عن التنزه عن صفات النقص، لكونه أعلم الخلق بذلك، فقد بدئت الكهف بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة من النقص، منبهاً بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم الذي خضعت لجلاله العلماء الأقدمون، وعجز عن معارضته الأولون والآخرون، الذي هو الدليل على ما خُتمت به سورة الإسراء من العظمة والكمال والتنزه والجلال[3].

وكذا أوائل سبأ مع الأحزاب[4]،والتحريم والطلاق[5]، والفجر مع الغاشية[6].

٣) **التناسب على أساس السبب والنتيجة:**

ومثاله ترتب الفتح، بمعنى النصر، على القتال، وكون الأول نتيجة للثاني؛ حيث جاءت سورة الفتح بعد سورة القتال[7]، وكذا ارتباط سورة النصر بسورة الكافرون، على اعتبار أن إخلاص العباد ولاءهم تعالى

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر**، (١١٨/٤-١١٩).

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**، (٥٢٨/٨).

(٣) البقاعي، **نظم الدرر**، (٤٤١/٤).

(٤) البقاعي، **نظم الدرر**، (١٤٤/٦).

(٥) البقاعي، نظم الدرر، (٤٣/٨).

(٦) البقاعي، **نظم الدرر**، (٤١٣/٨).

(٧) الألوسي، **روح المعاني**، (١٢٧/٢٦).

وتبرأهم من أعدائه سبب لحصول نصر ا والفتح، فكأنه تعالى يقول: لما أمرتك بمجاهدة جميع الكفار، بالتبري منهم، وإبطال دينهم؛ جزيتك على ذلك بالنصر والفتح وتكثير الأتباع(١).

ومن المناسبة بين سورتي الفيل وقريش، ما ذكره بعض النحاة من أن اللام في ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾ موصولة بما قبلها، على معنى أنه سبحانه جعلهم كعصف مأكول لإلف قريش، أي أهلك ا أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف، ومع أن هذا ليس هو الرأي الراجح عند النحاة(٢)، فإن المناسبة المعنوية حاصلة بين السورتين.

ومثل ذلك توالي سور: المؤمنون والنور والفرقان، فإن الإيمان سبب لامتلاك للنور، والنور سبب نتيجته حصول الفرقان.

٤) **التناسب على أساس التقابل**:

بأن يؤتى بمعنيين فأكثر ثم ما يقابل هذه المعاني(٣)، وهي وسيلة في العرض تقوم على مبدأ إقامة ضدية بين فكرتين أو تعبيرين، مع قصد في اللفظ ووفاء بحق المعنى، بهدف الإقناع والإمتاع؛ لما تتضمنه من صور لنماذج بشرية مختلفة، وحقائق دينية متناقضة(٤)، ففي سورة الواقعة مقابلة بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وفي الحاقة مقابلة بين من يؤتون الكتاب باليمين ومن يؤتونه بالشمال، وفي سورة الليل مقابلة بين الليل والنهار، وبين الذكر والأنثى، وبين من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، فيسره ا لليسرى، ومن بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فيسره ا للعسرى.

وقال الإمام الفخر الرازي عن سورة الكوثر بأنها كالمقابلة لسورة الماعون التي قبلها؛ حيث وصف ا سبحانه فيها المنافقين بأربعة أمور: البخل وترك الصلاة والرياء فيها ومنع الزكاة، فقد ذكر في مقابلة البخل ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ أي الخير الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة ﴿فَصَلِّ﴾ أي دم عليها، وفي مقابلة الرياء﴿لِرَبِّكَ﴾أي لرضاه لا للناس، وفي مقابلة الماعون ﴿وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾وأراد به التصدق بلحوم

---

(١) الرازي، **التفسير الكبير**، (٣٣٥/٣٢).

(٢) الزجاج، أبو إسحق إبراهيم بن السري(ت٣١١هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، (٣٦٥/٥)، تحقيق عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٣) عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها/ علم البيان**، (ص ٢٧٨)، دار الفرقان، عمان، ط٢، ١٩٩٦م.

(٤) مشاهرة، **التناسب البلاغي**،(ص١١٨، ١١٩)، عن/ بن عيسى بطاهر، المقابلة في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٤م.

الأضاحي[1].

5) **التناسب على أساس التكميل والعطف:** بأن تكون السورة في ترتيبها كالتتمة للتي قبلها، مثل سورة المعارج- فيما ذكر السيوطي- فإنها كالتتمة لسورة الحاقة في بقية وصف يوم القيامة والنار[2]، وكذلك الأمر بالنسبة لسورة عبس التي ختمت بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخة؛ لجحودهم بما لهذا القرآن من التذكرة؛ ابتدئت التكوير التي تليها، بإتمام ذلك، فصور ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة[3] ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى سورتي البقرة وآل عمران؛ حيث فصلتا أواخر الفاتحة فاختصت الأولى بالتعريف بالمغضوب عليهم، وفصلت الثانية في التعريف بالضالين.

وبالإمكان أن نجد لدى البقاعي وغيره، حديثاً عن التناسب بين عدد من السور المتتالية، تلخيصاً لسور ماضية، أو تهيئة لسور تالية، كما فعل وهو يعطف مناسبات الحاقة والمعارج ونوح والجن والمزمل والمدثر، فالقيامة والإنسان فالمرسلات والنبأ واستمر حتى الانفطار، وما بعدها[4].

6) **التناسب على أساس الملابسة:**

وقد ضرب السيوطي لذلك أمثلة فقال في المناسبة بين سورتي القمر والنجم:" لا يخفى ما في توالي هاتين السورتين من حسن التناسق في التسمية؛ لما بين النجم والقمر من الملابسة، ونظيره توالي الشمس والليل والضحى[5]"، وقال في موطن آخر:" هذه الثلاثة حسنة التناسق جداً، لما في مطالعها من المناسبة بين الشمس والليل والضحى من الملابسة[6]، ومقصده من الملابسة، كما يبدو، المخالطة والتداخل وذاك واضح بين القمر والنجم في الواقع، وكذلك بالنسبة للشمس والليل والضحى؛ فالليل والضحى وقتان، فضلاً عن علاقة الشمس بهذين الوقتين وجوداً وعدماً.

---

(1) الرازي، **التفسير الكبير**، (٣٠٧/٣٢).

(2) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص١٢٨).

(3) البقاعي، **نظم الدرر**، (٣٣٥/٨).

(4) البقاعي، **السابق**، (١٤٣/٨-١٤٤).

(5) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص١٢٠).

(6) السيوطي، **السابق**، (ص١٣٧).

٧) التناسب على أساس بيان العلة:

بمعنى أن تقع السورة موقع العلة لما قبلها، ومثاله عند السيوطي سورة البينة الواقعة موقع العلة لما قبلها؛ كأنه سبحانه لما قال في القدر: (إنا أنزلناه)، قيل: لم أُنزل؟ فقيل: لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة، وهو رسول من ا يتلو صحفاً مطهرة، وذلك هو المنَزل[١].

ومن ذلك أيضاً اختتام الواقعة بالأمر بالتسبيح، وافتتاح الحديد به؛ على اعتبار أن أول الحديد واقع موقع العلة للأمر به وكأنه قيل: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة]، لأنه ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد][٢].

٨) التناسب على أساس التعجب والإنكار:

ومثال ذلك مناسبة أول المعارج آخر الحاقة، فقد دل على وجوب وقوعها بتسميتها الحاقة تنبيهاً على أنه لا بد منها ولا محيد عنها، ولم يبق هناك نوع لبس في وجوب التفرقة في الحكم بين المحسن والمسيء، وأن ترك ذلك مناف للكمال؛ لم يبق عذر لأحد أن ينكرها ويسأل عن وقوعها، ولو فعل أي أحد لكان جديراً بالتعجب منه والإنكار عليه[٣].

والأمر نفسه يقال في مناسبة أول سورة النبأ لآخر المرسلات، فإنه لما أخبر في آخر المرسلات بتكذيبهم بيوم الفصل وحكم على أن لهم بذلك الويل المضاعف المكرر، وختمها بأنهم إن كفروا بهذا القرآن لم يؤمنوا بعده بشيء؛ افتتح سورة النبأ بأن من خالفوا فيه وكذبوا الرسول في أمر لا يقبل النزاع، فقال معجباً منهم غاية العجب، زاجراً لهم ومنكراً عليهم، ومتوعداً لهم ومفخماً للأمر بصيغة الاستفهام[٤].

وثمة أوجه أخرى للمناسبة؛ بين الآيات بعضها ببعض، وكذا بين السور، وفي داخل الآية الواحدة وبالذات فواصل الآيات، مما أورده البقاعي والسيوطي وغيرهما، لكن غاية هذا المبحث هي التمثيل، لا الاستقصاء.

---

(١) السيوطي، **السابق**، (ص ١٤١).

(٢) السيوطي، **تناسق الدرر**، (١٢١-١٢٢).

(٣) البقاعي، **نظم الدرر**، (١٤٣/٨-١٤٤).

(٤) البقاعي، **السابق**، (٢٩٤/٨-٢٩٥).

الفصل الثالث

أوجه التناسب الداخلية في سورة البقرة

وفيه المباحث الآتية :

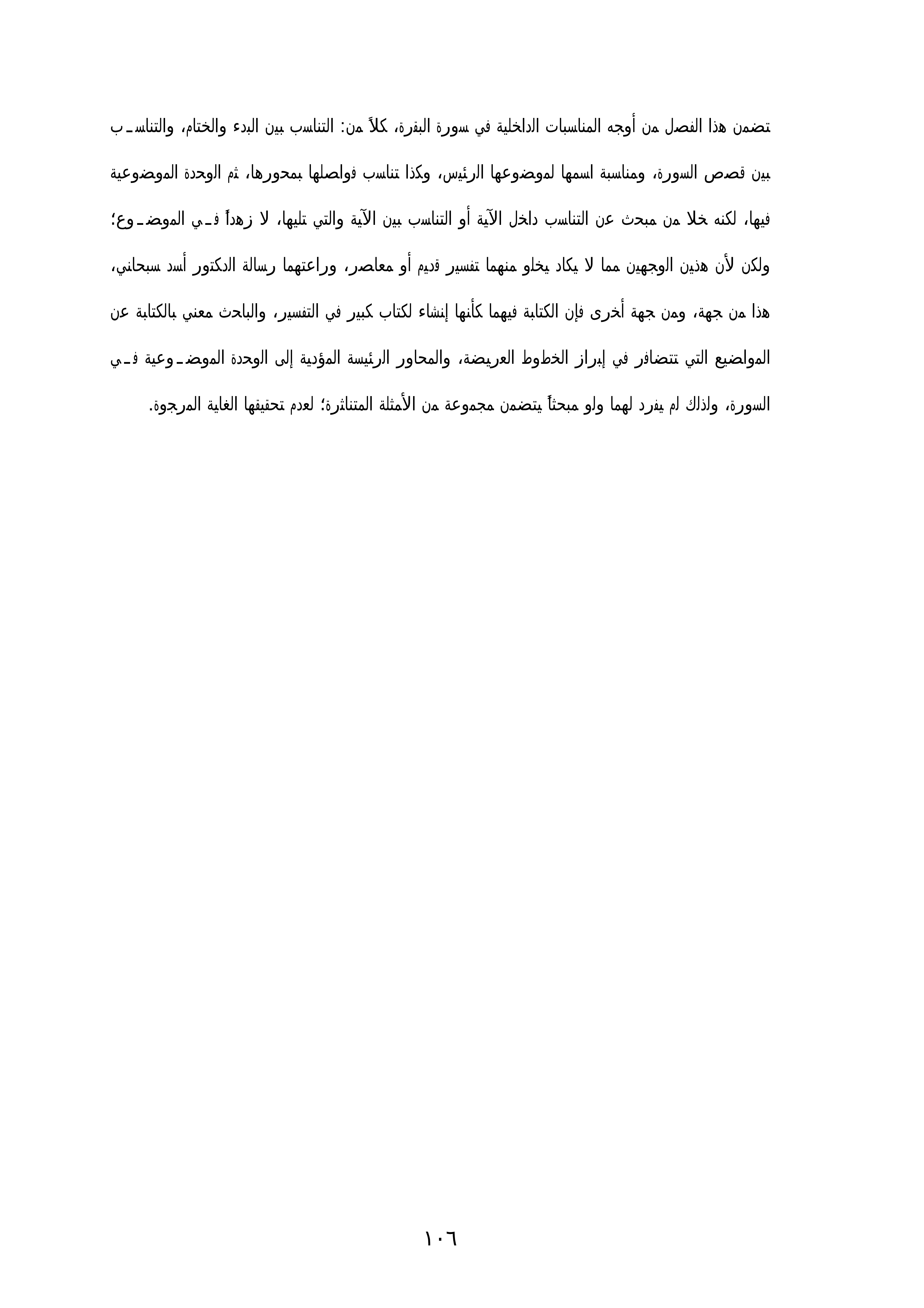
المبحث الأول: التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها

المبحث الثاني: التناسب بين قصص السورة

المبحث الثالث: التناسب بين اسم السورة وموضوعها

المبحث الرابع: التناسب بين فواصل السورة وموضوعها

المبحث الخامس: الوحدة الموضوعية في سورة البقرة



تضمن هذا الفصل من أوجه المناسبات الداخلية في سورة البقرة، كلاً من: التناسب بين البدء والختام، والتناسب بين قصص السورة، ومناسبة اسمها لموضوعها الرئيس، وكذا تناسب فواصلها بمحورها، ثم الوحدة الموضوعية فيها، لكنه خلا من مبحث عن التناسب داخل الآية أو التناسب بين الآية والتي تليها، لا زهداً في الموضوع؛ ولكن لأن هذين الوجهين مما لا يكاد يخلو منهما تفسير قديم أو معاصر، وراعتهما رسالة الدكتور أسد سبحاني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الكتابة فيهما كأنها إنشاء لكتاب كبير في التفسير، والباحث معني بالكتابة عن المواضيع التي تتضافر في إبراز الخطوط العريضة، والمحاور الرئيسة المؤدية إلى الوحدة الموضوعية في السورة، ولذلك لم يفرد لهما ولو مبحثاً يتضمن مجموعة من الأمثلة المتناثرة؛ لعدم تحقيقها الغاية المرجوة.

المبحث الأول

التناسب بين مطلع السورة وختامها

من البلاغة عند أهل البيان حسن الابتداء: وهو أن يتأنق في أول الكلام؛ لأنه أول ما يقرع السمع، وعدوا من الابتداء الحسن براعة الاستهلال؛ بمعنى أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلّم فيه، ويشير إلى ما سيق[1] الكلام لأجله، والعلم الأسن في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن؛ فإنها مشتملة على جميع مقاصده[2].

وقد أكد الزركشي أن خواتم السور مثل فواتحها في الحسن؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد[3].

ومن جهة ثانية فإن الخاتمة لأي نص، تمثل نتيجته ونهايته، وكثيراً ما تعود على بدء النص[4] لتذكر به، وتؤكد على ما جاء فيه، وتحقق التماسك معه[5].

ويلفت الانتباه تركيز عدد من العلماء، على أهمية الفواتح والخواتم للكلام عموماً، وللقرآن على وجه الخصوص، لكونهما أول وآخر ما يقرع السمع؛ وبالتالي الأعمق أثراً من جهة، ثم أهمية الفواتح في الإشارة إلى موضوع الكلام وتتمة الموضوع، والخواتم في إيذانها بانتهاء الموضوع.

إن أية سورة عندما تستهل بأحد الموضوعات فإن ذلك يكشف عن كون الموضوع يحمل أهمية كبيرة يستهدف النص لفت نظرنا إليه؛ لكون الاستهلال يحتل مكانة بارزة من حيث أهميته من ناحية، ومن حيث علاقته ببقية أجزاء النص من ناحية أخرى، وتحكّمه كذلك في هذه الأجزاء؛ ففي الغالب يركز المرسل كل جهوده في الجملة الأولى، إذ يكون ما بعدها غالباً تفسيراً لها، وتمثل كذلك المحور الذي يدور عليه النص فيما بعد، إذ تتعلق الأجزاء الباقية من النص بالجملة الأولى بوسيلة ما. وهذا واضح في النص القرآني بصورة جلية [6].

---

(١) عند السيوطي وابن عقيلة المكي: (سبق)، والسياق يرجح ما أورده الباحث أعلاه.

(٢) السيوطي، **الإتقان**،(٢٣٠/٢)، وابن عقيلة، **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، (٢٨٢/٦-٢٨٣)، رسائل جامعية، بإشراف مركز بحوث جامعة الشارقة، سلسلة النشر العلمي، رقم(٣٨)، الشارقة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، بتصرف.

(٣) الزركشي، **البرهان**، (٢٣٣/١).

(٤) الأسطة، عادل ،**العناوين والنهايات القصصية**، في مجموعة توفيق زياد القصصية"حال الدنيا"-www.najah.edu

(٥) الفقي، صبحي إبراهيم، **علم اللغة النصي**،(١٢٤/٢)، دار قباء، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠م.

(٦) الفقي، **علم اللغة النصي**، (٦٥/١).

ولقد حرص المفسرون والعلماء المهتمون بالتناسب والوحدة الموضوعية، على إبراز الروابط بين مطلع كل سورة وخاتمتها، ونال سورة البقرة حظ وافر من الاهتمام والتنويه.

ومن أبرز وجوه التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها:

١) **المتقون أمة محمد** ﷺ: قال الرازي" بدأ في السورة بمدح المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، وبين في آخر السورة أن الذين مدحهم في أول السورة هم أمة محمد، فقال:﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وهذا هو المراد بقوله في أول السورة: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]. ثم قال ههنا:﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة]، وهو المراد بقوله في أول السورة: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾، ثم قال ههنا:﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾، وهو المراد بقوله في أول السورة: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾، ثم حكى عنهم ههنا كيفية تضرعهم إلى ربهم في قولهم:﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة: ٢٨٦]، إلى آخر السورة، وهو المراد بقوله في أول السورة:﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾، فانظر كيف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها "[١].

وقال البقاعي:" وأما مناسبتها لأول السورة رداً للمقطع على المطلع فهو أنه لما ابتدأ السورة بوصف المؤمنين بالكتاب الذي لا ريب فيه على الوجه الذي تقدم، ختمها بذلك بعد تفصيل الإنفاق الذي وصفهم به أولها على وجه يتصل بما قبله من الأوامر والنواهي، والاتصاف بأوصاف الكمال أشد اتصال، وجعل رأسهم الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام تعظيما للمدح وترغيباً في ذلك الوصف، فأخبر بإيمانهم بما أنزل إليه بخصوصه، وبجميع الكتب وجميع الرسل وبقولهم الدال على كمال الرغبة وغاية الضراعة والخضوع"[٢].

٢) **الإيمان في البدء والختام**: في البدء: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، و﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾، وفي الختام: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ...وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ .. ﴾، قد تكررت لفظة الإيمان مرتين بالمضارع في

(١) الرازي، **التفسير الكبير**، (٧/ ١٠٦).

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**،(٥٥٣/١).

البداية، ومرتين بالماضي في الختام والنهاية؛ فكأن البداية تتكلم عن خطة حاضرة ومستقبلية؛ فعبر بالمضارع، وكأن الختام يشير إلى أن الأهداف قد تحققت، والخطة قد أنجزت؛ فعبر بالماضي[1].

٣) **الإيمان بالآخرة:** وصف المتقون بأنهم يوقنون بالآخرة، وقد جاءت قصص أواخر السورة تعزز هذا اليقين[2]، وخوطب المؤمنون: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾ [البقرة]، ثم جاءت خواتيم السورة عن الحساب والمغفرة والعذاب، وعن المصير إلى الله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ ﴾ [البقرة:٢٨٤]....﴿ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة].

٤) **الإيمان والطاعة سبيل الفلاح:** جاء في أول السورة وصف المتقين المؤمنين، بأنهم يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله تعالى، وعاقبتهم الفلاح، وفي أواخرها تأكيد لذات المعنى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧ ﴾ [البقرة].

٥) **النفقة في البدء والختام:** لئن ورد في وصف المتقين أول السورة ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ ، فقد فصل آخرها موضوع الإنفاق في آيات عديدة، مبيناً عظم الثواب وواعداً بالمغفرة والفضل، ومحذراً من المن والأذى وتيمم الخبيث في النفقة، ومن الاغترار بالشيطان الذي يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء، وداعياً إلى الإنفاق من طيبات الكسب، وحضاً على إخفاء الصدقة، وذلك في غالب الآيات الكريمة[من ٢٦١ ـ ٢٨٠].

٦) **الكتاب ضمن الوسع:** تحدثت بداية السورة عن الكتاب، وكلمة الكتاب تتضمن: معنى النص المخطوط، ومعنى الأمر الواجب المفروض؛ والكتابة بمعنى الخط عامل مهم في الإلزام كما يتضح في الديون والعقود، ولقد تكرر في سورة البقرة التعبير بالكتابة بمعنى الإيجاب في موضوع الصيام والقتال والوصية والقصاص؛ ثم جاءت نهاية السورة لتؤكد أن هذا الذي أوجبه الله تعالى على الناس هو ضمن الوسع؛ إذ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾[البقرة: ٢٨٦].

---

(١) نوفل، أحمد، **عطف البدء على الختام في أحسن الكلام**، (ص٥)، مقال مخطوط، توجد نسخة منه في مركز نون للدراسات القرآنية.

(٢) سيأتي بيان ذلك عند الحديث عن التناسب في قصص السورة، في المبحث التالي.

٧) **دين ا أحق بالقضاء:** جاء في أول السورة وصف الكتاب بأنه لا ريب فيه، ثم جاء التحدي لتأكيد أنـه لا ريب فيـه: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة]، وجاء في ختام السورة آيتا الدين، وفيهما الأمر بكتابته وتوثيقه بالإشهاد عليه حتى لقد تكـررت مشتقات الجذر (كتب) فيهما عشر مرات، ومشتقات الجذر(شهد) ثماني مرات، وفي التعليل لهذه الإجـراءات التوثيقية قال سبحانه:﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾[البقـرة: ٢٨٢]، " فنـرى هـاتين الآيتين كيف تتناولان موضوع العقد والشهادة، وكيف تأخذانهما مأخذ الصرامة والجد، وبذلك تنـسجمان تمـام الانسجام مع الجو العام لهذه السورة؛ وكأنهما توحيان بهذا الانسجام أن الأمة إذا كانت جادة في أمر الديون التي تتداين بها، وكانت جادة في العقود التي تبرمها فيما بينها، وكانت تشعر بمـسئولية الـشهادة فـي معاملاتهـا وتصرفاتها، فسيكون هذا إعداداً وتربية لها للإيفاء بعهد ربها، وللقيام بتلك الشهادة العظمى، التي بعثت لأجلها، ألا وهي الشهادة على الناس:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ومن هنا ندرك خطورة شأن هاتين الآيتين، وندرك السر في كونهما مسك الختام لأحكام هـذه السورة، وندرك السر في كون الآية الأولى منهما أطول آية في أطول سورة في أعظم صحيفة الأمة"[١].

إن هذا الإلحاح الشديد على الكتابة لتوثيق الدين في أطول آية في القرآن العظيم، لبرهان ساطع على أن هذا الكتاب ليس من نسيج محمد ﷺ، وليس ابن البيئة العربية الأمية ذات الثقافة الشفاهية؛ وإلا لكـان انعكاسـاً وامتدادا لها، فضلاً عن أن القرآن قد احتفى بالقلم والكتابة من البدايات الأولى للوحي، في قوله تعالى:﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ [العلق] و:﴿ نٓ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [القلم].

إن دِين ا سبحانه، الذي هو دين ا على عباده، موثق ومؤكد بالمعجزات والشهود لا يعتريه ريب ليكون أدعى للالتزام والأداء، وقد كان حول الرسول ﷺ كُتّاب للوحي لتوثيق الدين الذي هو دين ا تعالى؛ ودين ا أحق بالقضاء.

٨) **إيمان الرسول ينفي الريب:** جاء في أول السورة وصف الكتاب بأنه:﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ﴾ [البقـرة :٢]، وجاء في ختامها:﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾[البقرة: ٢٨٥]، فالرسول عليه السلام يدعو إلى عقيدة هو

---

(١) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص ٤٢٠).

أول المؤمنين بها. وقد جاءته من ربه الذي رباه ورعاه، فليست خيـالات ولا أوهامـاً ولا ادعـاءً، وإذا آمـن الرسول فهل يبقى بعد ذلك من ريب؟ حيث إن مشكلة كثير من المبادئ هي في أن أصحابها أنفسهم غير موقنين بها وإنما تبنوها لأغراض دنيوية.

ولئن وصف المتقين في أول السورة ، بقولـه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [البقـرة]، فإنه ختم الـسورة بـالقول:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة]، مؤكداً أنهم جميعاً قـد آمنـوا إيمانا فرديا ، بمعنى أن كلاً منهم قد اقتنع وأيقن، ولم يدخل في هذا الدين أحد تقليداً أو جريـاً مـع التيـار، أو متابعة لما عليه الأكثرون، وهذا دليل آخر على انتفاء الريب عن الكتاب، الذي أكده في أول السورة.

٩) **المنافقون والمراءون:** عرض أول السورة للمنافقين الذين يزعمون أنهم يؤمنون با وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، وحذر آخرها من إبطال الصدقات كما يفعل المنافقون بالذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يريدون بذلك وجـه ا تعـالى، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقرة].

١٠) **سمعنا وأطعنا:** ذكر أبو جعفر بن الزبير أنه لما بين سبحانه وتعالى أن الكتاب هو الصراط المستقيم، ذكـر افتراق الأمم كما يشاء وأحوال الزائغين والمتنكبين تحذيراً من حالهم، ونهياً عن مرتكبهم، ... وأعقـب بـذكر ملتزمات المتقين، وما ينبغي لهم امتثاله والأخذ به من الأوامر والأحكام والحدود، وأعقب ذلك بأن المرء يجـب أن ينطوي على ذلك ويسلم الأمر لمالكه؛ فقال سبحانه:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ؛ فأعلم أن هـذا إيمـان الرسول ومن كان معه على إيمانه، وأنهم قالوا:﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾[البقرة: ٢٨٥]، لا كقول بني إسرائيل:﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة:٩٣]، وأنه أثابهم على إيمانهم رفع الإصر والمشقة والمؤاخذة بالخطأ والنـسيان فقـال:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ "[1].

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر**،(٥٥٦/١).

١١) **فريقان**: في أول السورة تقسيم الناس بحسب مواقفهم من هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام: المتقين، والكافرين، والمنافقين، وحين يجيء في آخر السورة التقرير بأن المؤمنين كلهم آمنوا؛ فذلك يعني إخراج المنـافقين مـن عدادهم؛ حيث أكد بداية السورة كذب دعواهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ ؛ ما يعني أن الطوائف الثلاث المذكورة أول السورة هي في الحقيقة ثنتان فقط، ولذلك جاءت الآيتان الأخيرتان فـي السورة لتتحدثـا عن جماعتين فحسب هما: جماعة المؤمنين، الذين يخوضون صراعاً مع ﴿ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.

١٢) **سنّة المدافعـة:** بعد حديث بداية السورة عن المتقين ؛ جاء الحديث عن الكفار الذين يـستوي فـي حقهـم الإنذار أو عدمه، حتى لو كان بلسان الرسول الكريم؛ أفصح الناس وأحرصهم وأكثرهم إخلاصاً، وفيـه إشـارة إلى أن الصدام معهم يبدو حتمياً ؛ حيث أن هؤلاء يتخذون موقفاً عدائياً من المتقين، ويتحركون ضـدهم علـى شكل جماعة قائمة؛ وليس على مستوى فردي. وقد جاء في ختام السورة دعاء المتقين أن ينصرهم على **القـوم** الكافرين؛ تأكيداً على وقوع الصراع، وتأييد ا المؤمنين فيه؛ حيث إنه:" في أول السورة ، ضـرب ا المثـل بالكافرين والمنافقين، وفي ختامها يقول الحق دعاءً على لسان المؤمنين: ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة :٢٨٦] ، هذا القول يدل على استدامة المعركة بين الإيمان والكفر، وأن المؤمن يأخذ أحكـام ا دائمـاً لينازل بها الكفر، أيان وجد ذلك الكفر، ويثق المؤمن تمام الثقة أن ا متوليه؛ لأن ا مولى الذين آمنـوا، أمـا الكافرون فلا مولى لهم "[1].

١٣) **النصر فلاح:** انتهت المجموعة الأولى من الآيات، في فاتحة السورة، بـالفلاح ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾. وختمت المجموعة الأخيرة من آيات السورة بالنصر على الكـافرين ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ ، ولا شك أن النصر من أعظم صور الفلاح ، كما يظهر في ختام سورة آل عمران: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[2].

---

(١) الشعراوي، محمد متولي، **تفسيرالشعراوي**، (١٢٤٩/٢)، دار أخبار اليوم، مصر،١٩٩١م، د. ط.

(٢) نوفل، **عطف البدء على الختام**، (ص٦).

١٤)**من الهداية إلى الخلافة**: ويعزز ما ذُكر في النقاط الثلاث السابقة ما جاء في نظم الدرر الذي نورده بطوله لنفاسته، حيث يقول البقاعي:" ولما ضاعف لهم تعالى عفوه ومغفرته ورحمته؛ أنهاهم بذلك إلى محـل الخلافـة العاصمة... فلما صاروا خلفاء تحقق منهم الجهاد لأعداء ا والقيام بأمر ا ومنابذة من تولى غير ا ، فتحقـق أنه لا بد أن يشاققهم أعداء ا وينابذوهم، فعلمهم الذي رحمهم سبحانه، إسناد أمرهم بالولاية إليه قائلا عـنهم: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ثم جعل ختام توجه المؤمنين إلى ربهم الدعاء بثمرة الولاية فقـال﴿فَٱنصُرْنَا ﴾ باللسان والسنان، وأشار إلى قوة المخالفين حثاً على تصحيح الالتجاء والصدق في الرغبة بقوله: ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ﴾ ، وأشار إلى أن الأدلة عليه سبحانه في غاية الظهور لكل عاقل، بقولـه: ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ أي الـساترين للأدلة الدالة لهم على ربهم **المذكورين في أول السورة**، فتضمن ذلك وجوب قتالهم وأنهم أعدى الأعداء... ولما كان الختم بذلك مشيراً إلى أنه تعالى لما ضاعف لهم عفوه عن الذنب فلا يعاقب عليه، ومغفرته بحيث يجعلـه كأن لم يكن فلا يذكره أصلاً ولا يعاقب عليه، ورحمته في إيصال المذنب المعفو عنه المغفور له إلى المنـازل العالية، أنهاهم إلى رتبة الخلافة في القيام بأمره، والجهاد لأعدائه وإن جل أمرهم وأعيى حصرهم، كان منبهـاً على أن بداية هذه السورة[1]هداية وخاتمتها خلافة، فاستوفت تبيين أمر النبوة إلى حد ظهـور الخلافـة فكانـت سناماً للقرآن"[2].

---

(١) في نسخة دار الكتب العلمية من نظم الدرر: (الصورة) وهو خطأ، والصواب ما ورد أعلاه، نقلاً عن" نواهضة، **نظم الـدرر في تناسب الآيات والسور: دراسة وتحقيق للمقدمة وسورتي الفاتحة والبقرة**، (ص ٨٦٣).

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**، (١/٥٦٠- ٥٦١).

المبحث الثاني

التناسب بين قصص سورة البقرة

اشتملت سورة البقرة على عدد من القصص بدءاً من قصة آدم عليه السلام، فأخبار بني إسرائيل، ومنها قـصة البقرة التي بها سميت السورة، وقصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وذلك حتى منتصف السورة الكريمـة، وفي الربع الأخير من السورة تأتي خمس قصص هي: قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر المـوت، فقصة طالوت وجالوت، ثم تأتي متتابعة قصة الذي حاج إبراهيم في ربه، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وأخيراً سؤال إبراهيم عليه السلام ربه تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى.

وسأبين أوجه التناسب بين القصص في سورة البقرة، عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: محور الإحياء والإماتة:

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [البقرة: ٧٣]، فـي ختـام قـصة البقـرة،: "أي فضربوه فحيي، ونبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل، جعل تبارك وتعـالى ذلـك الصنيع حجة لهم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والعناد. وا تعالى قد ذكر في هذه السورة مما خلقه من إحياء الموتى في خمسة مواضع:﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ ﴾ [البقرة :٥٦]، وهذه القصة- يقصد قصة البقرة - ، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، وقصة الذي مر على قريـة وهـي خاوية على عروشها ، وقصة إبراهيم -عليه السلام- والطيور الأربعة، ونبه تعالى بإحياء الأرض بعد موتهـا، على إعادة الأجسام بعد صيرورتها رميماً"(1).

لقد التفت ابن كثير - رحمه ا - إلى أن جواً من الإحياء والإماتة يظلل قصص السورة الكريمة، والحـق أن هذا الجو يظلل سائر القصص في السورة، وإن بصور أخرى أحياناً؛ ففي قصة آدم خلق الإنسان من عدم وهو إحياء بعد موت، وقد سبقت القصة بقوله تعـالى:﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨﴾ [البقرة: ٢٨]. وقصة طالوت بعث لأمة كانت مهزومـة ميتـة، إلـى النـصر والتمكين، بالدين والجهاد. وهذا إبراهيم عليه السلام يواجه الذي حاجه في ربه أن آتاه ا الملك بقولـه: ﴿رَبِّيَ

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (١١٢/١) ، دار المعرفة، لبنان ،١٩٦٩م.

ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وكذلك فإن إنجاء بني إسرائيل من آل فرعون الـذين كـانوا يـذبحون أبناءهم هو إحياء للسابقين، وسبب وجود اللاحقين المعاصرين للنبي ﷺ، وإن في استجابة ا تعـالى لإبـراهيم وإسماعيل عليهما السلام بجعل مكة بلداً آمناً هو إحياء لمكة، وفي بعث محمد في العرب ليحملوا معه الرسـالة إحياء آخر لهم من بعد موات، ونقل لهم من ذيل البشرية إلى صدارتها.

إن محور الإحياء بعد الإماتة هو محور رئيس في السورة الكريمة، يتصل ابتداء بمـا يتـصف بـه المتقـون المذكورون في مطلع السورة من أنهم بالآخرة يوقنون؛ ومن هنا لا بد من تكرار التذكير بالموت، وتاكيد البعث الذي يكون بعده الحساب والجزاء، ثم هو يتصل بغاية الخلق وهي الابتلاء بأمانة الخلافة وما يتبعها من مكافـأة المحسن ومعاقبة المسيء، وقد انتهت قصة آدم عليه السلام بالحديث عـن الآخـرة ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

وكذلك تختتم قصص بني إسرائيل بقولـه تعـالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [البقرة]، وبعد أن يخبر سبحانه بأن الصاعقة أخذتهم لما قالوا إنهم لن يؤمنوا لموسـى حتى يروا ا تعالى جهرة، يمتن عليهم سبحانه أن بعثهم من بعد مـوتهم، ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [البقرة] ، وتأتي قصة البقرة فيها دليل مشاهد لبني إسرائيل على إحياء المـوتى ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡىِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [البقرة]، ويستمر الحديث عن الموت والآخـرة حتى نهاية الحديث عن بني إسرائيل.

ثم تأتي قصص آخر السورة الكريمة تلح على قضية البعث بعد الموت، بدءاً بقصة الذين خرجوا من ديـارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم ا موتوا ثم أحياهم، فقصة طالوت وجالوت وفيها خبر الذين يظنون أنهم ملاقو ا ، ثم قصة الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه ا الملك ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ

﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ ولا يجادله إبراهيم عليه السلام في سفاهته، بل يلقمه الحجة التي تبهته، وإلا فأين إحياء الله وإماتته مما يدعيه ذاك المسمى ملكاً؟.

وتأتي بعدها قصة الذي ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وختام القصص قصة إبراهيم عليه السلام يسأل الله عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى.

وقد علق البقاعي عند هذه القصص الثلاث في الآيات الثلاث قائلاً:" ولما كان الإيمان بالبعث، بل الإيقان، من المقاصد العظمى في هذه السورة، وانتهى إلى هذا السياق الذي هو لتثبيت دعائم القدرة على الإحياء مع تباين المناهج واختلاف الطرق؛ فبين أولاً بالرد على الكافر ما يوجب الإيمان، وبإشهاد المتعجب ما ختم الإيقان، علا عن ذلك البيان في قصة الخليل صلوات الله وسلامه عليه إلى ما يثبت الطمأنينة....فكان كأنه قيل: يا منكري البعث ومظهري العجب منه ومقلدي الآباء بالأخبار التي أكثرها كاذب! اسمعوا قصة أبيكم إبراهيم التي لقاكم بها الاستدلال على البعث، وجمع المتفرق، وإعادة الروح بإخبار من لا يتهم بشهادة القرآن الذي أعجزكم عن الإتيان بمثل شيء منه، فشهادته شهادة الله لتصيروا من ذلك على علم اليقين بل عين اليقين"[(١)].

مما سبق يتضح أن محور الإحياء بعد الإماتة الذي يتكرر في سورة البقرة، يأتي ليعزز من قضيتين في غاية الأهمية:

أولاهما: الوصول بالمؤمنين إلى مرحلة اليقين بالآخرة والتي يمثل البعث فيها نقطة ارتكاز أساسية؛ سيما وأن أغلب المنكرين ينصب إنكارهم على البعث بعد الموت.

والثانية: الإحياء الحضاري للأمم والمجتمعات، كما يبرز في قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ثم إحياء الله تعالى لهم، ثم في قصة طالوت وجالوت والتي تأتي مثالاً على سابقتها، ولا ننسى أن إماتة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ثم بعثه، قد جاءت تأكيداً لقدرة الله تعالى على إحياء القرية الميتة.

وظاهر أن قضية الإحياء الحضاري تتعلق بالعرب خصوصاً، إذ اختيروا لحمل الرسالة، وكأن السورة تقول لهم، كما تقول لبني إسرائيل: إن الله تعالى لا يعجزه أن ينقل العرب الممزقين الذين ليس لهم وزن حضاري إلى صدارة البشرية.

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر**، (١/٥٠٨).

المطلب الثاني: التناسب بين القصة الأولى والقصة الأخيرة في السورة

ثمة وجه آخر للتناسب والتناسق في قصص السورة الكريمة؛ وذلك بين القصة الأولى فيها والقـصة الأخيـرة، حتى لكأنهما حلقتان في قصة واحدة؛ فأولاهما تمثل الحلقة الأولى منها، والأخيرة تمثل الحلقة الخاتمة لها.

فقصة آدم تمثل الحلقة الأولى التي تنتهي بهبوطه إلى الأرض للقيام بمهمة الخلافة، وقد تضمن آخـر القـصة التأكيد على الحساب والجزاء في الآخرة: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة].

وفي ختام السورة تأتي قصة إبراهيم عليه السلام، وهو يدعو ربه أن يريه كيف يحيي الموتى فيأمره تعالى بأخذ أربعة من الطير وصورهن إليه، ثم بأن يجعل على كل جبل منهن جزءاً، ثم يدعوهن فيأتينه سعياً.

وهذه القصة تقرب مفهوم البعث والحشر، حيث يدعو ا تعالى الناس فيستجيبون بحمده، ويجتمعون مـن كـل أطراف الأرض إلى ربهم تعالى، ليوفي كُلاً حسابه، كما اجتمعت الأطيار الأربعة من الجبال في جهات الأرض الأربعة، وهي الختام الحقيقي لمسيرة بني آدم على الأرض .

المطلب الثالث: محور الخلافة والإمامة الدينية

١) **لا ينال عهدي الظالمين:** تبدأ قصة آدم ﷺ بخطاب النبـيﷺ:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ﴾ [البقرة: ٣٠]، وكأنها تقول له، عليه السلام: إن ربك قد أرسلك لتقوم بالوظيفة التي لأجلها أسـكن آدم وبنيه الأرض، بعد تقرير أن ا خلق ما في الأرض جميعاً للإنسان، ثم جاءت قصة استخلاف آدم في الأرض بعهد ا الصريح الدقيق، وتكريمه على الملائكة، والوصية والنسيان، والندم والتوبة، والهداية والمغفرة، وتزويده بالتجربة الأولى في الصراع الطويل في الأرض، بين قوى الشر والفساد والهدم ممثلة في إبليس، وقوى الخيـر والصلاح والبناء ممثلة في الإنسان المعتصم بالإيمان، ثم أعقبه بالحديث عن بني إسرائيل، فذكر عهد ا معهـم ونكثهم له، ونعمته عليهم وجحودهم بها، ورتب على هذا حرمانهم من الخلافة، وكتب علـيهم الذلـة، وحـذر المؤمنين كيدهم كما حذرهم مزالقهم(١).

---

(١) قطب، **في ظلال القرآن** ، (٦٥/١)، بتصرف.

وتأتي من بعد ذلك قصة إبراهيم عليه السلام، وفيها تأكيد على أن إمامة البشرية وقيادتها بالدين، لا يؤتاهـا إلا من يستقيم على أمر ا ، ولا عبرة بكونه من نسل إبراهيم عليه السلام أو غيره: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة]، وهو رد على بني إسرائيل إذ يرون لهم فضلاً على الناس بانتسابهم لإبراهيم ﷺ. وقد تكرر في السورة وصفهم بالظالمين ليؤكد انقطاع الإمامة فيهم وأن عهد ا تعالى لإبراهيم لا ينالهم:﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٥١، ٩٢]، " ومن أظلم ممن يترك عبادة ا ووصية نبيه ليعبد عجلاً جسداً، وقد أنقذه ا ممن كانوا يقدسون العجول؟"[١].

وتمضي آيات السورة الكريمة تؤكد ذات الفكرة: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة]، ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة]، ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [البقرة].

ثم أكد سبحانه أن الظلم فيهم لا ينحصر في زمن موسى عليه السلام، فقص علينا خبرهم بعده ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة].

ولم يتوقف الأمر عند حد وصفه سبحانه لهم بالظلم، وإنما بين أنه لا أظلم منهم، وذلك فـي حـق المعاصـرين للرسول عليـه الـصلاة والـسلام: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة].

وجاء في قصة الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه ا الملـك ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة]، ليضيف معنى آخر؛ وهو أن الظالمين محرومون من مجرد الهداية فضلاً عن أن يكونـوا مـن أئمـة الهدى.

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، (١/ ٧١).

٢) ولولا دفع ا الناس: إذا كانت قصة آدم عليه السلام، قد عرفت محمداً ﷺ وأمته، غاية وجود البشر، وهي الخلافة؛ وختمت بتأكيد العداوة والصراع الأبدي بين آدم ومن بعده من المؤمنين المستخلفين من جهـة، وبـين أتبــاع إبلــيس، ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾ [البقرة]؛ فإن قصة طالوت قد جاءت تبين للرسول ﷺ، طريق التمكين للدين وأهله وإقامة الخلافـة فـي الأرض، وهـو الجهـاد، فـي قولـه تعـالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ [البقرة]، وداود عليه السلام هو الذي خاطبه تعالى فـي سـورة أخـرى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة ص:٢٦].

وقد ورد في التعقيب على قصة طالوت خطاباً للرسـول ﷺ :﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٥٢ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾ [البقرة]، وما دام محمد ﷺ من المرسـلين، فـإن السبيل واحدة وهي قتال الكفار ومدافعتهم استجابة لأمر ا تعالى ومنعاً للفساد أن يستشري فـي الأرض، مـع التأكيد على أن الاقتتال بين أهل الكفر وأهل الإيمان هو حتمية لازمة ما دام هناك مؤمنون مصلحون، وكافرون مفسدون.

ومن اللطيف أن قصة طالوت ذكرت بداية الخلافة في بني إسرائيل، فيما تحدث غالبية القصص عن كفرهم بهذه النعمة ونزع هذه الكرامة عنهم.

وفي قصة طالوت، أيضاً، بيان لما به تحفظ الأرض أن يعمها الفساد؛ حيث ختمت القصة بتقرير سنة ربانيـة عظيمـــة: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ [البقرة]. والفساد هو نقيض الخلافة، وهو الذي تخوفت الملائكة من حدوثه عندما أخبرهم تعـالى بأنـه

جاعل فـي الأرض خليفـة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة :٣٠].

٣) **العلم والبرهان:** وأمر آخر وهو أنه عندما اعترضت الملائكة على خلافة آدم عليه السلام، أظهر ا تعالى تميزه عنهم وجدارته بالخلافة من خلال ما اختصه به من العلم، وفي قصة طالوت بـين النبـي الكـريم لبنـي إسرائيل تميز طالوت وجدارتـه للملـك ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ [البقرة]، وكان للملائكة الكرام حضور بارز في القصتين: مرة وهم يسجدون لآدم، ومرة وهم يأتون بالتابوت؛ ففي قصة طالوت بيان للبرهان الإلهي على اصطفاء طالوت للملـك: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾[البقرة]، وفي قصة آدم بيان لمـا به فضل ا تعالى آدم واصطفاه للخلافة من تعليمه الأسماء وإبراز ذلك أمام الملائكة. ويتكرر مجـيء الآيـات الربانية في قصة الذي مر على قرية فقال أنى يحيي هذه ا بعد موتها. وفي قصة إبراهيم إذ سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، ولا ننسى أن قصة البقرة قد ُسبقت بآيات عديدة ، كما ختمت بآية عظيمـة: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [البقرة]. وهذا كله ينسجم أتم الانـسجام مـع مـا بدئت به السورة؛ من أن الكتاب لا ريب فيه، ثم تحدي القرآن الناس إن كانوا في ريب مـن الكتـاب أن يـأتوا بسورة من مثله، مؤكدا لهم أنهم لن يفعلوا، حيث تتابع الآيات الربانية لهداية البشر وتعزيز إيمانهم والوصول بهم إلى مرحلة اليقين وطمأنينة القلب.

وفي ذلك إكرام من ا تعالى لبني آدم، إذ لم يكلفهم ما لا يطيقون، ودعوة لهم ألا يقبلوا أمراً إلا بـدليل مهمـا كانت منزلة حامله أو آمره. ولعل من اللطيف هنا التذكير بأن هذا الأمر لا يقتصر على القرآن الكـريم، بـل وأيضاً الحديث النبوي الذي يجمع بين السند والمتن ، أي بين الوحي ودليله؛ بل إن السند سابق على المتن ومقدم عليه؛ لا ينظر في الثاني حتى يتثبت من الأول.

المبحث الثالث

التناسب بين اسم السورة وموضوعها الرئيس

العنوان هو: " مجموعة العلامات اللسانية التي تدرج على رأس نص لتحدده، وتدل على محتواه العام، وتغري الجمهور المقصود بقراءته"[1]؛ حيث يتم في العنوان الإشارة إلى المحتوى على اعتبار أنه اعتصار واختصار مكثف للنص القادم[2].

والعنوان أشبه بالباب أو العتبة التي منها يدخل إلى النص، فضلاً عن دوره في التحديد والتمييز بين النصوص، وهنا بين السور، إضافة إلى دورها في الإغراء بالقراءة، من خلال السور المسماة بحروف الهجاء، وكذا الأسماء الغريبة أو المختصرة، حيث الغالبية العظمى من أسماء السور تتكون من كلمة واحدة.

ويتناول هذا المبحث قصة البقرة، التي بها سميت السورة الكريمة، وما يتعلق بعبادة البقر، وتأثير هذه العبادة، وموضوع سورة البقرة، والتناسب بين اسم السورة وموضوعها، وذلك عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: قصة البقرة

بعد سبع وعشرين آية من خطاب بني إسرائيل وتعداد نعم الله تعالى عليهم، ومقابلتهم لها بـالجحود والكفران، جاءت قصة البقرة، تروي للمسلمين ولهم، خبراً جديداً عن أسلافهم، لما قال لهم نبيهم موسى ﷺ إن الله يأمرهم أن يذبحوا بقرة، فاتهموه بأنه يهزأ بهم ونسبوه إلى الجهل، وماطلوا كثيراً بحجة التبين لمواصفات البقرة، " وبعد تردد ومماطلة ونقاش طويل ذبح هؤلاء البقرة، ولكنهم ذبحوها وكأنهم لم يذبحوها ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ٧١﴾ [البقرة:٧١] "[3]؛ فإنهم قد قالوا – بقولهم ﴿ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾[البقرة: ٧١]– "هراءً من القول، وأتوا خطأ وجهلاً من الأمر، وذلك أن نبي الله موسىﷺ كان مبيناً لهم في كل مسألة سألوها إياه، ورد رادوه في أمر البقرة الحق. وإنما يقال: الآن بينت بالحق لمن لم يكن مبيناً قبل ذلك، فأما من كان كل قيله فيما أبان عن الله، تعالى ذكره، حقاً وبياناً، فغير جائز أن يقال له في بعض ما أبان عن الله في أمره ونهيه وأدى عنه إلى عباده من

---

(١) المطوي، محمد الهادي، **شعرية العنوان في كتاب " الساق على الساق في ما هو الفارياق"**، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢٨، العدد(٤٥٦/١)، الكويت، ١٩٩٩م.

(٢) مالكي، فرج عبد الحسيب، **عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية، دراسة في النص الموازي**، (ص ٢٤)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص١٤٢).

فرائضه التي أوجبها عليهم:﴿ٱلۡـَٔـٰنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّ﴾[البقرة:٧١]، كأنه لم يكن جاءهم بالحق قبل ذلك"[١]؛ وعليه فقولهم: ﴿ٱلۡـَٔـٰنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّ﴾ فيه من الكفر أكثر مما هو يدل على الإيمان، ومن ثم فالذي يظهر للباحث أن قوله تعالى ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ٧١﴾، وهو يثبت لهم القيام بالذبح فإنه ينفي عنهم في الوقت ذاته، ليس عدم التزام الأمر الإلهي فحسب، بل حتى أن يكونوا قاربوه؛ أي ما قاربوا الفعل، على معنى أنه لم يقبل ذبحهم ولم يعتبر استجابة لأمر الله تعالى[٢]، فيما تكاد تجمع كتب اللغة والتفسير على أن المعنى هو أنهم كادوا ألا يذبحوها، مع أن ذلك خلاف ترتيب النظم في الآية الكريمة، والذي دفعهم إلى ذلك، أن الآية قد تحدثت عن وقوع الذبح ولا يستقيم القول بأنهم لم يقاربوه بعد إذ فعلوه، ولذلك أولوا الأمر بأنهم قاربوا النفي لغلاء ثمنها أو لخوف الفضيحة[٣]، وليس في النص ما يدل على أحدهما.

ويؤكد ذلك أن هذه القصة التي بها سميت السورة، جاءت تتويجاً لسلسلة من المخالفات والمعاندات، وكان المتوقع منهم أن يتقوا بعد رفع الطور فوقهم والتنكيل بمن اعتدوا في السبت،[الآيات:٦٣-٦٦]، بل بعد رؤية الميت ثم بعثه حياً ثم موته مرة ثانية، لكن الواقع الذي ورد في التعليق على قصة البقرة، أن قد قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وحيث لم تتحصل التقوى لديهم وهي الأساس للاهتداء بكتاب الله تعالى، فقد انتهت الآيات إلى تيئيس المؤمنين من الطمع في إيمانهم.

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (٥٠١/١).

(٢) هناك نقاش بين علماء اللغة حول دلالة (وما كادوا): في أنها لمقاربة النفي، أو لنفي المقاربة، والأكثرون على الأول، انظر: ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، (٥٥٦/١-٥٥٩)، دار سحنون، تونس، د ط، ١٩٩٧م.

(٣) الرازي، **التفسير الكبير**، (٥٠٥/٣).

المطلب الثاني
حكمة الأمر بذبح البقرة

قال الماوردي[1] :" وإنما أمر- وا أعلم – بذبح البقرة دون غيرها؛ لأنها من جنس ما عبدوه من العجـل، ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه، وليعلم بإجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادتـه"[2]، وقـال بمثل قوله أبو حيان:" وإنما اختص البقر من سائر الحيوانات لأنهم كانوا يعظمون البقر ويعبدونها مـن دون ا فاختبروا بذلك؛ إذ هذا من الابتلاء وهو أن يؤمر الإنسان بقتل من يحبه ويعظمه"[3].

وجاء في زهرة التفاسير في تعليل قولهم لموسى﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾[البقرة: ٦٧]:" وذلك لما ألفوه مـن أن البقـرة مقدسة لا تُذبح بل تعبد"[4].

وعند المودودي[5]:" كان بنو إسرائيل في فترة إقامتهم بمصر جيرة قوم يعبدون البقر، ويبذلون لها كل تعظـيم وتقديس، ومن هنا تعدى هذا المرض إليهم واستشرى فيهم فأمروا أن يذبحوا بقرة؛ .. وإذ لم يكن الإيمـان قـد استقر في قلوبهم؛ فقد حاولوا أن يتملصوا من هذا التكليف وراحوا يسألون ويسألون، وكلما ازدادت أسئلتهم ازداد الأمر عليهم ضيقاً وتعقيداً"[6]. وأما كونها صفراء فلأجل إخراج العجل الذهبي الذي أُشربته قلوبهم[7].

وقال ابن القيم:" والظاهر أن هذه القصة كانت بعد قصة العجل؛ ففي الأمر بذبح البقرة تنبيه على أن هذا النـوع من الحيوان، الذي لا يمتنع من الذبح والحرث والسقي، لا يصلح أن يكون إلهاً معبوداً من دون ا تعالى، وأنـه إنما يصلح للذبح والحرث والسقي والعمل"[8].

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب القاضي البصري الشافعي،(ت٤٥٠هـ)، له الأحكام السلطانية، وأدب الدنيا والـدين، الحاوي في الفقه، وقانون الوزارة،[**طبقات السيوطي**، ص٨٣-٨٤، **طبقات الأدنروي**، ص١١٩-١٢٠].

(٢) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، **النكت والعيون**،(١٣٧/١)، دار الكتب العلمية، بيروت،د ت، د ط.

(٣) أبو حيان، **البحر المحيط**، (٤٠٤/١).

(٤) أبو زهرة، محمد، **زهرة التفاسير**، (٢٦٦/١)،.

(٥) أبو الأعلى المودودي، (١٩٠٣- ١٩٧٩م)، مفكر إسلامي، أسس الجماعة الإسلامية في باكستان، لـه: الحجـاب، والخلافـة والملك، والمصطلحات الأربعة في القرآن، [**أبو الأعلى المودودي**، فكره ومنهجه في التغيير، غازي التوبة، ص١٨-٢٧].

(٦) المودودي، أبو الأعلى، **تفهيم القرآن**،(٨٥/١، ٨٦)، تعريب أحمد يونس، دار القلم، الكويت، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(٧) سمعت الفكرة من أستاذي الدكتور أحمد نوفل، المحاضر في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية.

(٨) محمد، يسري السيد، **بدائع التفسير**، (٣٢٠/١).

وقد يشهد لقول ابن القيم ترتيب القصص في سورة البقرة؛ إذ تقدم الحديث عن عبادة العجل على قصة البقـرة، فضلاً عن أن بني إسرائيل في قصة عبادة العجل كانوا قريبين من البحر؛ أي حديثي عهد بالخروج من مـصر، بدلالة قول موسى عليه الـسلام للـسامري: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ٩٧﴾ [طه]، فيما يظهر من قصة البقرة نوع استقرار وسكن بالنسبة لبني إسرائيل، وعندهم أبقار وزروع، ما يعني أنها متأخرة نسبياً عن قصة عبادة العجل.

يتضح مما سبق أن من أبرز حِكم الأمر بذبح البقرة، إبطال عبادة العجل، التي كان عليها بنو إسـرائيل، يعـزز ذلك ويؤكده تحديد لونها بالصفرة الفاقعة التي تسر الناظرين، وذاك لون العجل الذهبي الذي عبدوه. ثم إن البقرة فتية قوية ﴿لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ﴾ [البقرة :٦٨]، وهي (مدللة)، لا (مذللة)!!: ﴿بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾ [البقرة :٧١]، وتلك صفات للبقرة المعبودة، حيث يبحثون عن الصفات العليا، ولا يسخرونها للعمل بل تبقى غالباً في المعبد أو في موضع تكريم.

فالغاية إخراج تقديس البقر من قلوبهم، والذي يعني تسبيح ا تعالى وتنزيهه ورفض عبادة ما سواه، عن طريق إخراج عبادة الطاغوت(1) ليدخل مكانها عبادة ا وحده ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[البقرة :٢٥٦]، وهذه الآية جاءت مباشرة بعد آية الكرسي، وما فيها من الحـديث عـن ا تعالى الواحد الحي القيوم والذي لا يستحق العبادة سواه، بعكس البقرة التي أمروا بذبحها.

ولما اعتبر القرآن ذبحهم للبقرة كأن لم يكن وتحدث عن قسوة قلوبهم التي فاقت الحجارة وقد رأوا القتيل يبعث حياً ويكلمهم، فقد انتهى إلى أن قلوبهم التي أُشربت العجل لا مكان فيها للتوحيد. ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤﴾ [البقرة]، وقد اتجه الخطاب لمعاصري النبي ﷺ لتأكيد أن حـالهم هـي حال أسلافهم، وأن لا أمل يرجى في اهتدائهم ولا انقيادهم للرسول ﷺ.

---

(1) الطاغوت: مشتق من الطغيان وهو الارتفاع والغلو في الكبر، وهو على وزن فَعلوت من أوزان المصادر، ثم أُزيل عنه معنى المصدر، وصار اسماً لطائفة مما فيه هذا المصدر، وجعل علَماً على الكفر والأصنام، وأصله صفة بالمصدر، ويطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، كشأن المصادر. بتصرف، عن: ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**،(٣/ ٢٨-٢٩).

المطلب الثالث
عبادة البقر

إن عبادة بني إسرائيل للعجل، كما لفت عدد من العلماء، لم تبدأ بالعجل الذهبي الذي صاغه لهم السامري؛ وإنما هو صاغ لهم إلهاً مما ألفوا عبادته في مصر من آلهة الفراعنة ، وقد كان العجل والثور والبقرة من أبرز تلك الآلهة .

١) **عبادة قديمة جداً:** ومن المناسب هنا التنويه بأن عبادة البقر من أقدم العبادات على مر التاريخ وامتداد الجغرافيا؛ فالثور المجنح أحد أبرز الآلهة في " حضارة " ما بين النهرين، والثيران، أيضاً، من أبرز الآلهة في حوض البحر المتوسط، والبقرة، كما هو معروف، أحد أهم الآلهة في شبه القارة الهندية.

فقد كان " المصريون يعرفون العجل أبيس إله القوة البدنية والجنسية، والعجل عموماً كان معبود الكثير من الشعوب، ولا يوجد شعب من شعوب الشرق الأوسط إلا وكان من عبدة العجول في يوم من الأيام، وفي الهند يعبدون البقرة رمز الخصب التناسلي والخصوبة التكاثرية، والعطاء الأنثوي المتمثل في اللبن والغذاء الحيوي، كقولنا الغذاء الملكي عند النحل.

" والعبرانيون لما كانوا في أرض جاسان من مصر عبدوا العجل، ليس نقلاً عن المصريين وإنما عن الأشوريين الذين كانوا يحكمون جاسان وحكموا مصر كلها، وقد كانت تنسب مدن من المدن القديمة للعجل الإله مثل مدينة عجلون، وصورة العجل متغلغلة في الأدب العبراني الرسمي والشعبي على حد سواء، والأدب السامي عموما، ويزعم كتبة العهد القديم أن هارون عليه السلام قد صنع لبني إسرائيل عجل الذهب وبنى مذبحاً (خروج:١/٣٢-٥)، وأن يربعام بعد انقسام بني إسرائيل إلى مملكتين بنى تمثالين للعجل أحدهما في بيت إيل، والآخر في دان (ملوك: ٢٦/١٢-٣٣)، وظل شعب اليهود يعبد العجل، وأيد هذه العبادة جميع الملوك الذين تعاقبوا على المملكة الشمالية ما عدا الملك هوشيا، وتحفل أسفار العهدين القديم والجديد بأوصاف العجول، كما في (الأمثال:٤/١٤)، و(عاموس:٤/٦)، و(لوقا:٢٣/١٥)، و(العدد:١/١٩-٢٢)، والرسالة إلى العبرانيين:

١٣/٩-١٤)، و(التكوين: ٩/١٥-١٧)، وقد وصف إرميا مصر بالعِجلة ووصف سكانها بـالعجول الـصغيرة (إرميا:٤٦/٢٠-٢١)"[1].

ولربما يتساءل المرء عن سر تقديس قطاعات من البشر- ولا عذر لهم قطعاً – للبقرة، وهو – كما يبدو- يرجع إلى نقطتين أساسيتين: أهمية البقرة في معيشة الإنسان، وكون الأبقار وبخاصة الذكران، رمزاً للقوة، وقد تجلـى الرمزان في رؤيا الملك في قصة يوسف، ورؤيا النبي محمد عليهما الصلاة والسلام.

ففي رؤيا ملك مصر زمن يوسف عليه السلام، كانت البقرة مع السنبلة، رمزين لأهم مظاهر الحياة في حـالي الرخاء والشدة؛ وذاك تقرير إلهي يؤكد أهميتها لحيـاة الإنـسان:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [يوسف].

وكذا في رؤيا النبي محمد ﷺ عليه السلام ، كانت البقرة رمزاً لخير القرون أصحاب محمد ﷺ ، فقد روى أبـو موسى الأشعري[2] عن الرسول ﷺ (رأيت في رؤياي أني هززت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء به ا من الفتح واجتمـاع المـؤمنين ، ورأيت فيها **بقراً** ـ وا خير ـ فإذا **هم المؤمنون** يوم أحد)[3]، وتفصيل النقطتين:

أ) تكاد البقرة أن تكون أبرز حيوان، له تأثير كبير في معيشة الإنسان خاصة في البيئات الزراعيـة؛ فغـذاؤه لبنها ومشتقاته، وهي تثير له الأرض للزراعة، وتسقيه وتسقي حرثه، وربما حمل عليها بعض أثقاله، حتى لقـد قيل بأن البقر سيد الحيوانات الإنسية[4]، وقد يشعر الإنسان ـ وبخاصة في المجتمعات الزراعية الفقيـرة ـ أن حياته مرتبطة بحياة البقرة، ووجوده رهن بوجودها؛ وقد يتضاعف عنده هذا الإحساس فيشعر وكأنها هي سبب هذا الوجود وتلك الحياة، فيعبدها من دون ا تعالى، ويخاف عليها خوفه على نفسه وولده أو أشد، إلـى الحـد

---

(١) الحفني، عبد المنعم، **موسوعة القرآن العظيم**، (١٠١٢/١-١٠١٣)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

(٢) أبو موسى الأشعري، عبد ا بن قيس، كان حليفا لسعيد بن العاص، وقدم المدينة بعد فتح خيبر، استعمله النبي علـى الـيمن، وعمر على البصرة، وعثمان على الكوفة، فتح الأهواز وأصفهان، مات سنة ٤٢٣، أو ٤٤هـ.[**الإصابة** ٢١١/٤- ٢١٤].

(٣) البخاري، في كتاب المناقب(رقم::٣٦٢٢).وكتاب المغازي، (رقم : ٤٠٨١)، مسلم (رقم: ٢٢٧٢).

(٤) أبو حيان، **البحر المحيط**، (٤٠٤/١).

الذي مر فيه زمان على بعض مناطق فلسطين، مثلاً، إذا ماتت لأحد الأشخاص بقرة، لبس السواد حداداً عليها، وعزاه الناس بمصيبته [1].

وهذا يذكرنا بالحديث الشريف :(إذا تبايعتم بالعينة[2]، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)[3].

والحديث هنا يصور بعض الناس آخذين بأذناب البقر تابعين لها، ولا شك أن العين والقلب والشعور والفكر، قد سبقت الخطو في اتباع أذناب البقر، حين ظن هؤلاء أن رزقهم وحياتهم مرتبطان باتباع البقرة فلم يعودوا ينظرون إلى السماء.

وقد اقترن بهذه النقيصة، ترك الجهاد والرضا بالزرع، والتبايع بالعينة، حيث تؤدي بمجموعها إلى ذل لا ينزعه الله تعالى عن مستحقيه إلا بالعودة إلى الدين. فهو انحراف كبير عن الدين، وركون إلى الدنيا وخمول وكسل، يكون في مجتمع زراعي قد رضي بالزرع فما عاد يفارق تلك البقعة المحدودة من الأرض، لا يتحرك أبعد مما تتحرك البقرة، ولا تكاد عينه ترتفع عن ذيلها، ومن الطبيعي في مجتمع راكد كهذا أن يقترض الناس المال لتسيير أمورهم إلى حين الحصاد، فيقرض غنيهم محتاجهم بالربا، ولكنه يبحث عن " حيلة شرعية " ويظن، لسوء فهمه وقلة دينه، أنه يقدر على خداع الله تعالى، كما يمكنه خداع الناس، ومثل هذا المجتمع الذي يتفلت من الدين؛ لن يرجى منه أن يحمله لغيره، وحيث لم تعد له رسالة يتحرك من أجلها فقد ترك جهاد الطلب، وقعد عن جهاد الدفع.

وحين يحذر الرسول عليه السلام، المسلمين من اتباع أذناب البقر؛ فكأنه يقرر أنهم وإن لم يصلوا إلى درك عبادتها، لكن يمكن أن يصلوا إلى ما يقارب نفسيات وسلوكيات عابديها.

ويتحدث الأستاذ محمد أحمد الراشد عن وجود ظاهرة حيوية رصدها النبي ﷺ والفقهاء من بعده: أن الأمة الزراعية مستضعفة تستأسد عليها أمم الصناعة، وأن في تعاهد الزرع استرخاءً نفسياً معنوياً يضاد متطلبات

---

(1) كما حدثني بذلك أحد الأخوة من الريف الفلسطيني.

(2) العِينة: قرض في صورة بيع، لاستحلال الفضل(الربا).انظر: **الموسوعة الفقهية**، (٩/ ٩٥-٩٧)، وزارة الأوقاف، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(3) رواه أبو داود في كتاب البيوع، رقم(٣٤٦٢)، وأحمد في مسند عبد الله بن عمر، رقم(٤٧٦٥)، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم (١١).

الجهاد، فيترسب ذلك عبر الزمن وتعاقب الأجيال، حتى ينغلق أمر أمة الزراعة على الاستكانة وروح المـسالمة والتنازل عن الحقوق، فتتحرك أمم الصناعة والتجارة، بما عندها من محركات نفسية، تدفع إلى الطموح والغلبة على الأسواق وضمان الغذاء من نتاج الأمم الزراعية، فتكون الحرب القصيرة الأجل، لانعدام التكافؤ، ويكـون استخذاء الضعيف المزارع، كالذي كان من خبر الاستعمار(١).

وقد جاء في سورة البقرة نفسها تحذير للمؤمنين أن يقعوا في مقدمات ذلك؛ حيث إن الأنصار فكروا بالعودة إلى مزارعهم وترك الجهاد؛ فحذرهم ا تعالى أن يلقوا بأيـديهم إلـى التهلكـة: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[البقرة :١٩٥]، كما ورد في سبب نزول هذه الآية؛ فعن أسلم بن يزيد(٢) قال: غزونا من المدينة نريـد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد(٣)، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمـل رجل منا على العدو، فقال الناس: مه مه !! لا إله إلا ا ! يلقي بيده إلى التهلكة! فقال أبو أيوب الأنصاري(٤): (إنما تأولون هذه الآية هكذا أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة، أو يبلي من نفسه؛ إنما نزلت فينا معشر الأنصار ، لما نصر ا نبيه وأظهر الإسلام قلنا بيننا ـ خفيا من رسول ا ﷺ ـ : هلم نقيم في أموالنـا ونـصلحها ، فأنزل ا تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾، فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أن نقيم في أموالنا ونصلحها ونـدع الجهاد) (٥).

ب) ومن أسباب تقديس البقرة وعبادتها ـ أيضاً ـ أنها رمز للقوة، إذ تثير الأرض وتسقي الحرث. والثور ـ ذكر البقرة ـ رمز أوضح للقوة؛ كما هي صورته في الأدب الشعبي والرسمي على حد سواء؛ وثمة أسـطورة قديمة تقول بأن الأرض على قرن ثور، وهل أقوى من مخلوق يقدر على حمل كل هذا الثقل على قرن واحـد،

---

(١) الراشد، محمد أحمد، **منهجية التربية الدعوية**، (ص ٣١٧)، دار المحراب، كندا ، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) أسلم ابن يزيد أبو عمران التجيبـي مصري تابعي ثقة من الثالثة.[العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب،٣٣٥/١ ابن حبان، الثقات ٤٥/٤] .

(٣) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي (ت ٤٦هـ)، كان يؤمر على غزو الروم أيام معاوية، وذُكر أنه شـهد فتوح الشام مع أبيه، وقيل إن له رؤية أو صحبة، مات بحمص،[ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ٣٣/٥-٣٥].

(٤) أبو أيوب الأنصاري، خالد بن زيد الخزرجي من بني النجار،(ت٥٥هـ)، نزل النبي عنده حتى بنيت له حجرة زوجه سودة، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، ودفن قرب سور القسطنطينية.[**أسد الغابة** ٣٨١/٣-٣٨٢، **سير أعلام النـبلاء** ٤/ ٤٠٢-٤١٣].

(٥) رواه الترمذي في كتاب التفسير، رقم(٢٩٧٣)، وأبو داود في كتاب الجهاد، رقم (٢٥١٢)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٣).

عند من يؤمن بهذه الأسطورة ؟ وفي المثل الرمزي (أُكلت يوم أُكل الثور الأبيض)[1]، حيث يصور قوة الثـور قريبة من قوة الأسد، ويقارن قوته بقوته، حتى إنه ليعجز عن منازلة ثورين.

وثمة مثال آخر، وهو مصارعة الثيران في إسبانيا وغيرها؛ حيث إن الإنسان عندما يصارع الثور، لا يـضيره صرع الثور أم صرعه، ثم يفخر بهزيمته له، اعترافاً منه بأن الثور أقوى منه بل هو رمز القوة، ما يهون عليه إن غلبه الثور أو أصابه. ولذلك أيضاً نجد حضوراً بارزاً للثور في آلهة الوثنيين، وقد ذكرنا الثور المجنح، كأحد آلهتهم في العراق القديم.

٢) أثر عبادة البقر

قال الدكتور حسن محمد باجودة:" ويلاحظ أن لفظ بقرة يجيء في الآيات الخمس خمس مرات، أربع منها بلفـظ (بقرة)، ومرة واحدة بلفظ(البقر). ويبدو أن من أهم أسباب تكرار لفظ بقرة على لسان موسى عليه السلام مرات أربعاً، وإعادة لفظ بقرة بصريح اللفظ كل مرة يسألون فيها موسى عليه السلام ويلحفون في السؤال، مـن أهـم أسباب بلادة أذهان السائلين وقصور إدراكهم، وكأن للقوم نصيباً مما اشـتهر بـه جـنس البقـر مـن الـبلادة والبلاهة"[٢].

الصغير يقلد الكبير، والمغلوب يتابع الغالب، والناس على دين ملوكهم، وإذا ما قدس أحد أو عبـد شخـصاً أو شيئاً، فلا بد أن يسعى لتقليده والتشبه به والاقتباس من صفاته.

والبقرة رمز للغباء ومضرب المثل به، وكثيراً ما يُشبه الغبي بالبقرة أو الثور، وكذلك عابدو البقر، فـإنهم مـا انحطوا إلى عبادتها إلا وقد بلغوا من الغباء والجهالة والعمى كل مبلغ، وإذا تتبعنا سلوك بني إسرائيل في قـصة البقرة وأسئلتهم والردود عليها ظهر لنا بجلاء حمقهم وغباؤهم.

في البداية يأمرهم نبيهم ﷺ بذبح بقرة فيردون عليه: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾[البقرة :٦٧]، ويجيبهم ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [البقرة:٦٧]، ثم إذا نظرنا في أسئلتهم نجدهم يكررون مرتين سؤالاً لا ينم عن وعـي:﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾[البقرة :٦٨،٧٠]. وحتى سؤالهم الثالث عن اللون ؛لا يعدو كونه سؤالاً سطحياً لا ينم عـن

(١) الميداني، **مجمع الأمثال**، (٥٦/١)، رقم (٨١).

(٢) باجودة، حسن محمد، **تأملات في سورة البقرة**، (٣٩٨/١)، مكتبة مصر،١٩٩٢، د. ط.

أي ذكاء، فوق أن مماطلتهم في الاستجابة من أكبر علائم الجهالة. ومن الملاحظ أن الرد الإلهي عليهم في كـل مرة كان يبدأ ب ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾ البقرة: [٦٨، ٦٩، ٧١] تبكيتاً لهم وتذكيرا بأن المطلوب من الأساس ذبح بقرة دون تخصيص ولا تحديد صفات، وأن هذه البقرة - وإن تميزت صفاتها - لا تعدو كونها بقرة ، وما سـيكون مـن إحياء القتيل بضربه ببعضها ، ليس لخاصية في البقرة ولا قدرة عندها، ولا يقف الأمر عند هذا الحـد، بـل إن تعيين سن البقرة للقوم يتم من أطول طريق وليس من أقصر طريق؛ وتفسير ذلك أن لفظ" عوان" يصح أن يفهـم منه المخاطبون لو كانوا أذكياء سن البقرة؛ لأن البقرة العوان هي التي ولدت بطناً أو بطنين، وهـي أقـوى مـا تكون من البقر وأحسنه[1].

ومع أن الهدف كان أن" يعقل " بنـو إسـرائيل؛ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة] فقد كانت النتيجة مناقضة لذاك الهدف:﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾[البقرة].

وإذا أمعنّا النظر في أسماء عائلة البقرة (العجل، والبقرة، والثور)، وجدنا صفة العجلة تميـز هـذا الحيـوان صغيراً، وفي حركته رعونة وطيش، ثم إذا كبر ظلت معه هذه الصفة لكنها تصبح أخطر لما يرافقها من القـوة، فالأنثى الكبيرة بقرة؛ لكونها تبقر، والذكر الكبير ثور لثورته وعنفه وقوته العاتية المؤذية[2].

ومن المتوقع أن يكون عابد البقر المقدس لها، مقلداً لها ومتماهياً معها، فهو سفاك للدماء بغير حق ولا حد، وهو في حركته أهوج أرعن، أسوته البقرة في بقرها البطون والثور في ثورانه وبطشه، فالفراعنة الذين كانوا يعبدون البقر كان من أبرز صفاتهم وجرائمهم تقتيل أولاد بني إسرائيل وذبحهم بكل همجية وقسوة قلب. وبنو إسرائيل، الذين ورثوا العقيدة والسلوك عن الفراعنة، وأشربوا في قلوبهم العجل، من أكثر الأمم سفكاً للدماء؛ ولذلك جـاء تحذيرهم وتهديدهم:﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا

(١) باجودة، **تأملات في سورة البقرة**، (٤٠٤/١-٤٠٥).

(٢) انظر مثلاً: أنيس، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، (بقر: ص ٨٥)، (ثور: ص١٣٢)، (عجل: ص ٦١٥)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م.

قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة]، حتى لقد أخذ ا ميثاقهم بعدم القتـل:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾[البقـ ـ رة:٨٤، ٨٥].

وعابد البقر سافك للدماء لسبب آخر، غير اقتدائه بإلهه؛ فإنه لما قدس الحيوان وامتنع عن ذبحه، لم يفرغ الطاقة الغضبية في محلها فاضطر إلى تفريغها في بني جنسه.

فالأمر الإلهي لبني إسرائيل بذبح بقرة، جاء بهدف منع سفك الدماء؛ ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة: ٧٢- ٧٣]؛ حيث يؤدي كشف القاتل إلى معاقبتـه وحده، ووقف التدارؤ والتدافع المؤديين إلى الاقتتال وسفك الدماء؛ فمعنى إحياء الموتى هنا حفظ الـدماء التـي كانت عرضة لأن تُسفك بسبب الخلاف في قتل تلك النفس أي يحييها بمثل تلك الأحكام، على حد قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة][1].

وقد قال في الكشاف:" خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم"[2]؛ فالقتل ليس عملاً فردياً أو معـزولاً عـن البيئـة الاجتماعية، بل إنه حصيلة ونتيجة لازمة للأيديولوجية والنظام الثقافي الاجتماعي، لأن تشابه القلوب يؤدي إلـى تطابق السلوك؛ وبالتالي فمخاطبة المعاصرين للرسول ﷺ لأن الإيمان واحد والنفسية واحـدة، وهـم مهيـأون للتكرار.

لكن هذا الأمر بالذبح، له حكمة أخرى، كما يبدو؛ علاجاً للنفوس الغاضبة الراغبة في الثـأر والانتقـام وسـفك الدماء، حيث إن الذبح لحيوان كبير كالبقرة، ورؤية دمه سائلاً مسفوكاً على الأرض، يؤدي إلى تفريـغ الطاقـة الغضبية، وتنفيس الرغبة في القتل في الحيوان المذبوح .

ولعلنا نتلمس بعض الحكمة في التشريع الإلهي بالذبح والنحر، حيث الذبح في الإسلام عبادة وشعيرة، تتردد بين الندب والوجوب، ولها " مواقيت" مكانية وزمانية، وبها احتفاء واحتفال، يظهر ذلك في الأضحية والهدي والعقيقة

---

(1) رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم**، (٣٥١/١).
(2) الزمخشري، **الكشاف**، (١٥٤/١).

والوليمة، وغيرها. إذ يبدو أن الرغبة في القتل وسفك الدماء، فطرة إنسانية وغريزة بشرية، جعلهـا ا تعـالى لأداء بعض الوظائف؛ فإن لم توجه الوجهة الصحيحة، قتل الإنسان أخاه ظلماً وعدواناً.

ولذلك كان تشريع الجهاد تفريغاً لتلك الطاقة، لإقامة الدين وتثبيت الخلافة، فيه سفك " لبعض" الدماء لأجل حماية دماء كثيرة. وقد جاء التعقيب الإلهي على قصة طالوت، التي انتهت بملك داود عليه الصلاة والسلام وخلافته: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقبل قصة طالوت جاء التأكيد على أن الهرب من الموت يؤدي إليه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وفي السورة حديث عن " كتابة القتال "؛ بمعنى فرضيته على المؤمنين﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ [البقـرة :٢١٦]، وتحريض لهم لمنع الفتنة في الدين:﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٩٣] مع التأكيد علـى أن الفتنة﴿أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[البقرة:١٩١]، وأنها﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[البقرة :٢١٧] .

وفي السورة أيضاً، " كتابة القصاص " والذي هو إزهاق لنفس قتلت بغير حق، وتأكيد على أن للمـؤمنين فـي القصاص حياة، ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩].

ولعل من المناسب، هنا، التنويه على العلاقة القائمة، بين الأمم التي لا تطبق القصاص، بدعاوى وحجج حقـوق الإنسان، وكثرة جرائم القتل فيها؛ وهذه المجتمعات ذاتها تعارض بشدة "الذبح الشرعي الإسلامي" لأنه يتنافى مع الرفق بالحيوان!!، في الوقت الذي تمارس فيه جرائم الإبادة والاستعمار وسفك الدماء أكثر من غيرها.

وإنما أطال الباحث بعض الشيء في هذا المبحث لتعزيز الأفكار الرئيسة فيه، وبالذات الجديدة أو التي قد تبـدو غريبة ، من خلال زيادة الشواهد والأدلة، بالرغم من تفاوتها في القوة.

المطلب الرابع
التناسب بين اسم السورة وموضوعها

لمعرفة الموضوع الرئيس يحسن استحضار عدد من الأمور:

أولها اسم السورة، والقصة التي سميت السورة لأجلها، والسياق الذي وردت فيه، ثم مطلع الـسورة وختامهـا، والآيات المتميزة فيها: أعظم آية في كتاب ا ؛ آية الكرسي، وآية الدين، ولعل ما ورد في المباحث السابقة عـن أوجه التناسب الداخلية في السورة الكريمة، قد أوضح إلى حد كبير المحاور الأساسية في السورة.

أما قصة البقرة فإنها تشير إلى النقاط الآتية:

١) الأمر الإلهي: بداية قصة البقرة، أمر إلهي لبني إسرائيل أوحي به إلى النبي الكريم موسى ﷺ، وهـذا يتناسب مع الكتابة والتكليف المذكورين في أول السورة وآخرها، والمنبثقين من الإيمان بمـا أنـزل ا علـى رسله.

٢) التوحيد: وهو أحد أبرز الغايات من الأمر بذبح البقرة، لإخراج تقديسها من قلوبهم.

٣) البعث: تتضمن القصة مشهد إحياء لقتيل، يليه تعقيب يهدف إلى ترسـيخ إيمـان المعـاينين، بالبعـث والآخرة ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [البقرة: ٧٣]، ومعلوم أن أهم أركان الإيمان هما الإيمان با والإيمان باليوم الآخر.

٤) منع سفك الدماء: الأمر بالذبح جاء لمنع التدارؤ حقناً للدماء، والخلافة نقيضها سفك الدماء، كما جـاء في كلام الملائكة، حين أخبرهم ا تعالى، بـأنه جاعل في الأرض خليفة، فقـالوا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠]. وهذا ما يتناغم وينسجم أتم الانسجام مع قصة البقرة.

٥) عدم صلاحية بني إسرائيل للقيادة ولا للجندية: فقد سبق القول بأن قصة البقرة جاءت في ذروة الحديث عن فساد بني إسرائيل ونكولهم عن الأمانة ونقضهم للعهد مع ا سبحانه، وهي بذلك تؤكد أن هؤلاء القوم لـم يعودوا يصلحون لأي خير؛ حتى ولو أتباعاً لأمة محمد ﷺ ، حيث جاء التعقيب على القصة ميئساً المسلمين من إيمانهم أو طاعتهم لهم، فقد صارت قلوبهم أقسى من الحجـارة :﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ ...﴾ البقـرة: ٧٥﴾ [

البقرة :٧٥]، " أي ينقاد لكم بالطاعة هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود الذين شاهد آباؤهم من البينات ما شـاهدوه ثم قست قلوبهم من بعد ذلك"[1]، وقد قرر أول السورة أن الكتاب هدى للمتقين، ولا تتأتى الهداية لقساة القلوب.

إنها سمات بني إسرائيل " تبدو واضحة في قصة البقرة هذه: انقطاع الصلة بين قلوبهم وذلـك النبـع الـشفيف الرقراق: نبع الإيمان بالغيب والثقة با والاستعداد لتصديق ما يأتيهم به الرسل، ثم التلكؤ في الاستجابة، وتلمس الحجج والمعاذير والسخرية المنبعثة من صفاقة القلب وسلاطة اللسان"[2].

وإذ قد قرر ظلمهم في غير موضع من السورة، حتى بعد زمان موسى ﷺ، كما سبق القول؛ فإنـه يؤكـد عـدم جدارتهم لأن ينالهم عهد ا ببقاء الإمامة فيهم﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة].

ولقد تحدث غير واحد من القدامى والمعاصرين عن المحور الرئيس لسورة البقرة، والذي قالوه - كما سيأتي - يدور في نفس الفلك، ويتجه إلى ذات الوجهة، وإن بدا وكأنه متعدد.

يقول البقاعي في بداية السورة: " مقصودها إقامة الدليل على أن الكتاب﴿هُدًى﴾ [البقرة: ٢]، ليتبع في كـل مـا قال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة؛ فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربـت عنـه قصة البقرة، التي مدارها الإيمان بالغيب؛ فلذلك سميت بها السورة "[3].

وذكر في أواخر تفسيره لها: " أن بداية هذه السورة هداية وخاتمتها خلافة، فاستوفت تبيين أمر النبوة إلى حـد ظهور الخلافة فكانت سناماً للقرآن"[4].

وقال أسد سبحاني إن عمود سورة البقرة هو: " تقرير حقية القرآن والدعوة إلى الإيمان به"[5].

وفي تفسير الشعراوي:" إن اسم سورة البقرة قد أُخذ من قضية أساسية في الدين وهي الإيمان بالبعث، والإيمـان بالبعث هو أساس الدين.....، وسورة البقرة فيها تجربة حدثت مع بني إسرائيل، ورأوا البعث وهم ما زالوا فـي الدنيا؛ حين بعث ا سبحانه وتعالى قتيلاً.."[6].

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (١٥٥/١).
(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، (٧٧/١).
(٣) البقاعي، **نظم الدرر**، (٢٤/١).
(٤) البقاعي، **نظم الدرر**، (٥٦٠/١- ٥٦١).
(٥) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص ٤٣١).
(٦) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، (٩٥/١).

أما صاحب الظلال فيقول:" هذه السورة، تضم عدة موضوعات، ولكن المحور الذي يجمعها كلها، محور واحد مزدوج، يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطاً شديداً؛ فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها ﷺ وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها، وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى.

وهي من الناحية الأخرى، تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها، وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد الله بخصوصها، وتجريدهم شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم ﷺ صاحب الحنيفية الأولى، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم"[(١)].

وقال في تفسير التحرير والتنوير: "وإذ قد كان نزول هذه السورة في أول عهد بإقامة الجامعة الإسلامية، واستقلال أهل الإسلام بمدينتهم؛ كان من أول أغراض هذه السورة تصفية الجامعة الإسلامية من أن تختلط بعناصر مفسدة؛ لما أقام الله لها من الصلاح سعياً لتكوين المدينة الفاضلة النقية من شوائب الدجل والدخل"[(٢)].

ويقول الدكتور فضل عباس:" وسورة البقرة- كما نعلم- هي سورة التكاليف التي كلفت بها الجماعة المؤمنة، وهذه التكاليف لا بد لها من علم، فمن علم بها وعمل، كان جديراً أن يكون خليفة في هذه الأرض؛ ولذلك ذكر فيها ما يتناسب مع شخصية السورة وموضوعها "[(٣)].

وعند الدكتور صلاح الخالدي أنها سورة الخلافة والخلفاء[(٤)].

الاقتباسات السابقة تضمنت عدداً من النقاط، بعضها كرره غير واحد، والبعض الآخر مما تفرد به صاحبه وذلك على النحو الآتي:

١) موضوع الكتاب: من حيث إقامة الدليل على أحقيته وأنه هدى ليؤمن به الناس ويتبعوه، تكرر عند البقاعي وأسد سبحاني، وذاك واضح من فاتحة السورة الكريمة وخاتمتها.

---

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، (٢٨/١).

(٢) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**،(٢٠٢/١).

(٣) عباس، فضل حسن، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، (ص ٥٤)، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٩٨٥م.

(٤) الخالدي، صلاح، **التفسير الموضوعي، بين النظرية والتطبيق**، (ص٧٣).

٢) موضوع الآخرة: وقد لفت إليه البقاعي والشعراوي، وكلاهما استنبطه من قصة البقرة، وقد سار محور البعث مع السورة الكريمة من بدئها حتى الختام.

٣) موضوع الخلافة: وقد صرح به سيد قطب، وابن عاشور الذي تحدث عما أسماه الجامعة الإسلامية والمدينة الفاضلة، وكذلك تحدث البقاعي في الاقتباس الثاني، والدكتور فضل عباس، والدكتور صلاح الخالدي؛ فأما البقاعي فقد جعلها الغاية التي تؤدي إليها الهداية وأخذها من الآية الختامية، وأما الدكتور عباس فقد جعلها نتيجة للقيام بالتكاليف الواردة في السورة، التي وصفها بسورة التكاليف، وهذا الوصف يدل عليه مطلع الآية الأخيرة في السورة ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

والذي قاله العلماء في محاولاتهم للتعريف بمحور سورة البقرة، وإن بدا وكأنه متعدد، فإنه يصير أمراً واحداً؛ فكتاب التكليف هو الهدى وأبرز ما فيه التوحيد، الذي دلت عليه آية الكرسي وهي أعظم آية، وقصة البقرة دعت إلى التوحيد من خلال إخراج عبادة البقرة من القلوب، وقد قام الدليل على الكتاب لما عجز الناس عن الإتيان بمثله، وهذا الكتاب يهدي إلى القيام بتكليف الخلافة، هذه الخلافة التي قصر فيها بنو إسرائيل، وقد أُشربوا في قلوبهم العجل، ومن ثم انتقلت إلى محمد ﷺ وأمته، ويقتضي التكليف المحاسبة والجزاء، وهما المتمثلان في البعث والآخرة، وبذا يظهر جلياً التناسب بين اسم سورة البقرة وموضوعها من أكثر من وجه.

المطلب الخامس

مفردات تميز سورة البقرة

ربما كان حق هذا الموضوع أن يكون مبحثاً مستقلاً في هذا الفصل، ولكن قصر مادته من جهة، وغاية وجـوده في الدراسة، من جهة ثانية، قد رجحا جعله في مطلب تابع لهذا المبحث حول موضوع سورة البقـرة وعلاقتـه باسمها.

وإذا تتبعنا الألفاظ التي تفردت بها السورة الكريمة فسنجدها تصب في المصب ذاته؛ واعتماداً على كتاب معجـم الفرائد القرآنية[1]، الذي جعله مؤلفه في الجذور اللغوية التي لم ترد سوى مرة واحـدة فـي القـرآن جميعـه، ومقتضى وجود أي مفردة منها في سورة البقرة يعني بالضرورة عدم وجودها في أي موضع آخر من القـرآن الكريم.

واللافت للنظر أن غالب المفردات الخاصة بسورة البقرة[2] هي في سياق الحديث عن بني إسـرائيل، وهـي: (بابل، بصلها، بقلها، عدسها، فاقع، فومها، قثائها، ماروت، ميكال، هاروت، شِيَة).

والقسم الثاني ما ورد من المفردات في آية الكرسي والآية التي تليها، وهي:(يؤوده، انفصام، سِنة).

والقسم الثالث يتعلق بالأحكام المطلوبة من المؤمنين، كالصوم والحج والعمرة، وعلى الأخص النفقـة، ويقابلهـا الربا، وهي:(يتخبطه، رمضان، صلداً، فطل، تغمضوا، إلحافاً، المروة).

والقسم الأخير مثل ضرب للكفار، وهو كلمة: (ينعق)، وبيان لخسران تجارة المنافقين(ربحت).

فلقد وردت إحدى عشرة مفردة في بني إسرائيل وحدهم من بين ثلاث وعشرين، ما يعني مركزية موضـوعهم في السورة، وهو ما يتناسب مع قصة البقرة التي سميت السورة بها، بل إن كلمتين من المجموعة قد وردتا فـي قصة البقرة(فاقع، شية).

والمجموعة الثانية، وهي الأكثر عدداً، فقد وردت قصة استبدال بني إسرائيل الذي هو أدنى بالذي خير، ولـذلك دلالته على مستوى هذه الجماعة البشرية وعدم صلاحيتها للخلافة أو لأي من عظائم الأمور(بقلهـا، بـصلها، عدسها، قثائها، فومها) .

(١) البسومي، باسم، **معجم الفرائد القرآنية**، نون للأبحاث والدراسات القرآنية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) البسومي، **السابق**، (ص ١٣٣).

والمجموعة الثالثة من هذا القسم حول علاقتهم بالسحر واتباعهم ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، بـدلاً مـن اتباعهم وحي ا تعالى على أنبيائه، ثم كفرهم بذلك الاتباع، وما فيه من تعلم ما يفرقون به بين المرء وزوجـه، وما في هذا الخبر من تيئيس للمؤمنين من إمكانية صلاحهم، وقد صاروا أولياء الشيطان ووكـلاء الطـاغوت(بابل، هاروت، ماروت)، وفي تمييزهم بين (ميكال) وجبريل عليهما السلام، تأكيد منهم علـى رفـض رسـالة محمدﷺ، بدعاوى سخيفة، وإظهار لعنصريتهم من جهة أخرى .

والقسم الثاني الذي تخصص في آية الكرسي والآية التالية لها، يتناسب مع موضوع التوحيد الذي جاءت تعالجه قصة البقرة، ليظهر الارتباط الوثيق بين أعظم آية في كتاب ا تعالى، والقصة التي سميت بها أطول سورة في القرآن الكريم.

والذي لا يؤوده حفظ السماوات والأرض لن يعجزه حفظ دينه ولا نصرة أوليائه، والذي لاتأخذه سنة ولا نوم، لن يضعف عن الحفظ، وليس بغافل عما يعمل الظالمون، والكفر بالطاغوت الذي قصدت إليه قصة البقرة، يجعـل صاحبه مستمسكاً بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ما يشير إلى واقع أتباع محمـد، وواقـع الـذين لـم يكفـروا بالطاغوت.

والقسم الثالث تحدث عن أركان الدين، وواجبات الخلفاء الجدد وما ينبغي أن يتجنبوه؛ فقد جـاء حـديث عـن رمضان الذي فُرض فيه الصيام، وعن المروة التي هي من شعائر ا تعالى في الحج والعمرة، ثم تركيز طويل على موضوع النفقة، وضرورة الإخلاص فيها، وأسباب قبولها أو ردها، وأهمية استهداف النفقة أهل العفة الذين لا يسألون الناس إلحافاً، وفي نفس الوقت الحذر من الربا الذي يستدعي إعلان الحرب الإلهيـة علـى فاعليـه، ويجعل آكليه ألعوبة بأيدي الشيطان، ولعل التركيز على النفقة لأن الأشخاص الرساليين ينبغي أن يكونوا من أهل العطاء، لا من الذين يؤثرون الدنيا على الآخرة.

المبحث الرابع
التناسب بين فواصل السورة وموضوعها

الفاصلة ظاهرة أسلوبية قرآنية واضحة المعالم، وهي مما انفرد به القرآن عن النثر والشعر معاً، وتعد من أبرز الخصائص التي جعلته نحواً جديداً من أنحاء البيان، وطريقاً فريداً من طرق التعبير[(١)].

ويراد بالفاصلة: حرف الروي الذي تنتهي به الآية، ويشبه روي قافية الشعراء، أو المقطع الذي تنتهي إليه الآية، أو الجزء الأخير الذي تذيل به الآية، ويكون أفضل نهاية مناسبة متمكنة لها[(٢)].

إن لما تُختم به الآية قيمة خاصة؛ لكونه يؤدي وظيفة مزدوجة في نظمها : فهو من ناحية يتصل بالمعنى ويتممه، ومن ناحية أخرى يتصل بنظام الفواصل وينسقها[(٣)]،فالفاصلة تقوم بوظيفة بنائية فضلاً عن دورها الإيقاعي، حيث إنها تندمج في نسج السورة المتشابك، وتتمايز منه، وتعمل على أن تكون ناظماً يمسك حدود الآية[(٤)]. وهذا البحث معني بالكلمة أو العبارة الأخيرة لتعلقهما بالجانب المعنوي، دون حرف الروي أو المقطع الأخير اللذين يتعلقان أكثر بالجانب الصوتي الإيقاعي.

والناظر في كتب التفسير وعلوم القرآن، سيجد اهتماما بارزاً بالفواصل؛ وبالأخص من حيث مناسبة كل فاصلة للآية التي جاءت تختمها، مع تأكيدهم أن مناسبات الفواصل منها ما يكون ظاهراً، ومنها ما يستخرج بالتأمل اللبيب، على حد تعبير الزركشي[(٥)]، ومن الطبيعي أن تكون فواصل أي سورة متناسبة مع محورها الرئيس من حيث تعزيزه أو الدلالة عليه، علماً بأنه ليس من غرض هذه الدراسة الغرق في مناسبة كل فاصلة لسياقها، بل ستركز على بعض العموميات والخطوط العريضة في هذا الموضوع، بعد أن تعرض لعدد من الفواصل ذات المناسبات الظاهرة مع آياتها، وعدد آخر من الفواصل التي تحتاج شيئاً من التأمل والتدبر لاكتشاف أوجه تناسبها مع الآيات.

---

(١) أبو زيد، أحمد، التناسب البياني في القرآن، (ص ٣٥١)، رسالة ماجستير،١٩٩٠م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم ١٩، المملكة المغربية.

(٢) اليافي، نعيم، **قواعد تشكل النغَم في موسيقى القرآن،** مجلة التراث العربي، ع ١٥-١٦/ ١٩٨٤، اتحاد الكتاب العرب دمشق، بتصرف.http://www.awu-dam.org/trath/ind-turath١٠٢.htm .

(٣) أبو زيد، **التناسب البياني،** (ص ٣٥٢).

(٤) اليافي، **قواعد تشكل النغم القرآني،** بتصرف.

(٥) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن،** (١٠٦/١).

المطلب الأول: من الفواصل الظاهرة والخفية

سبقت الإشارة إلى قول الزركشي بأن المناسبة بين الفواصل والآيات، منها ما يكون ظاهراً ومنها ما يـستخرج بالتأمل اللبيب، وغالب الفواصل من النوع الجلي الظاهر، والأقل منها هو الذي يحتاج شيئاً من التدبر والتفكـر، سواء في ذلك سورة البقرة، موضوع دراستنا، أو سائر آيات القرآن الكريم.

فمن النوع الظاهر الآيات الكريمة: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة].

والناظر في هذه الآيات لن يجد كبير مشقة في الربط بين كل آية وفاصلتها؛ كتأكيد أن نصر ا قريـب بعـدما مست البأساء والضراء المؤمنين وزلزلوا، حتى يقول الرسول والمؤمنون معه: متى نصر ا ؟

وفي الآية التالية، طمأنة المؤمنين أن أي خير يعملونه لن يضيع لأن ا به عليم، وعندما يذكر الحق سبحانه أن في كتابة القتال على المؤمنين خيراً لهم، وأنه ربما يكون الخير فيما يكرهون والشر فيما قد يحبون، لا جرم يأتي التأكيد بأن ا تعالى يعلم، والمؤمنون المخاطبون في الآية، لا يعلمون، كأحسن ما يكون الختم.

وإذا جاءت فاصلة تهدد بالخلود في النار الذي يرتد عن دينه ويموت كافراً، أو تأتي فاصلة تذكر بأن ا غفـور رحيم لمن يرجون رحمة ا من الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل ا ، فإن الأمر في غاية التناسب والتلاحم.

والقسم الآخر من الفواصل هو الذي يحتاج لمعرفة مناسبته للآيات إلى النظر والتأمل اللبيب، وهذه مجموعة من الآيات الكريمة ليست جميع فواصلها على نفس الدرجة من الوضوح والجلاء، أو الخفاء والغموض: ﴿ نِسَآؤُكُمْ

حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [البقرة].

فالآية الكريمة الأولى في المجموعة، تقرر أن النساء بالنسبة إلى الرجال، هن حرثهم وموضع زرعهم، وتـرك لهم الخيار في طريقة الغرس والبذار، ما دام في محل الزرع، ثم أمرهم أن يقدموا لأجل منفعة أنفـسهم، علـى معنى أن يبتغوا بهذا الفعل ما يدخرونه يوم لقاء ا ، ويشمل إعفاف النفس والزوج وطلب الذرية الصالحة التـي تحمل الدين، وكذا الامتناع عن وطء غير موضع الحرث، وأتبعه بالأمر بتقوى ا سبحانه، وأن يعلمـوا بـأنهم ملاقوه تعالى أو ملاقو ما قدموا، والحاصل واحد، ثم ختم الآية بقوله :﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ إشـارة إلـى أن امتثال الأحكام المتقدمة من الإيمان[1]، وفي مخاطبة الرسول ﷺ أن يبشر المؤمنين عود على ما بدأت به الآيـة السابقة لهذه من مخاطبته عليه السلام بـالقول:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾[البقرة: ٢٢٢].

والآية التالية بعد إذ نهت المؤمنين أن يجعلوا ا عرضة لأيمانهم، أن يبروا ويتقوا ويصلحوا بين الناس، خُتمت بصفتي السمع والعلم﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ ﴾؛ لأنه تقدم ما يتعلق بهاتين الصفتين، فالحلف يتعلق بالسمع لأنه من المسموعات، بينما إرادة البر والتقوى والإصلاح بين الناس محلها القلب، من المعلومات المتعلقة بصفة العلم[2].

ثم قررت الآية التالية أنه تعالى لا يؤاخذ باللغو في الأيمان، وهي التي لا عقد معها ولا قصد[3]، وإنمـا يؤاخـذ على ما كسبت القلوب، ثم جاء التعقيب بصفتي المغفرة والحلم﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ فهو غفور حيث لم يؤاخذكم

---

(١) انظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، (٢/ ٤٣٠-٤٣٢) ، و أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، (٢٦٩/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٣٧٣/٢-٣٧٥).

(٢) أبو حيان، **البحر المحيط**، (٤٤٢/٢).

(٣) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (٢٧٠/١).

باللغو مع كونه ناشئاً من عدم التثبت وقلة المبالاة، وهو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة في ذنب هو مـن قبيـل التقصير في الأدب مع الله تعالى[1]، ويرى الباحث أن الفاصلة متصلة أيضاً بما يؤاخَذ عليه مما كسبت قلـوب الناس ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، ومجيء صفة المغفرة لإطماعهم في طلبها بالاسـتغفار عما استجلبوا به المؤاخذة، والإقلاع عنه، ومجيء صفة الحلم كيلا يغرهم حلمه سبحانه بعدم معاجلتهم بالعقوبة، فيتوبوا من قريب.

وقد خُتمت آية الإيلاء بقوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾ حيث يغفر للمؤلي بفيئته التي هي كالتوبة إثر حنثه، أو ما قصد بالإيلاء من ضرار المرأة[2]، والرحمة عطاء فوق المغفرة، وهي لمن فاء، وازوجه بفيئه.

ومتابعة لموضوع الإيلاء جاء قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾، فهو سميع باعتبـار إيقـاع الطلاق الذي هو من باب المسموعات؛ لأنه لا يقع إلا باللفظ، وعليم باعتبار العزم على الطلاق؛ لأنه من بـاب النيات، ولا تدرك إلا بالعلم[3].

وقد خُتمت الآية الأخيرة في المجموعة، بقوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ من بـاب التـذييل[4] وإقنـاع المخاطبين؛ وذلك أن الله تعالى لما شرع حقوق النساء، كان هذا التشريع مظنة المتلقـى بقَـرط التحـرج مـن الرجال، الذين ما اعتادوا أن يسمعوا أن للنساء معهم حظوظاً غير حظوظ الرضا، والفضل والسخاء، فأصـبحت لهن حقوق يأخذنها من الرجال كرهاً، إن أبوا، فكان الرجال بحيث يرون في هذا ثلماً لعزتهم، فبين الله تعالى أن الله عزيز، أي قوي لا يعجزه أحد، ولا يتقي أحداً، وأنه حكيم يعلم صلاح الناس، وأن عزته تؤيد حكمته فينفذ ما اقتضته الحكمة بالتشريع والأمر الواجب امتثاله، ويحمل الناس على ذلك وإن كرهوا[5].

المطلب الثاني: فواصل البدء والختام في السورة

---

(١) أبو السعود، **السابق**، (٢٧٠/١)، وابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، (٣٨٤/٢)

(٢) أبو السعود، **السابق**، (٢٧٠/١).

(٣) أبو حيان، **البحر المحيط**، (٤٥٠/٢).

(٤) التذييل، أو الإطناب بالتذييل: تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد. انظر: مطلوب، أحمـد، **معجـم المـصطلحات البلاغية وتطورها**، (ص ١٣٩)، مكتبة لبنان ناشرون، ط٢، ١٩٩٦م.

(5) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، (٤٠٣/٢).

١) **المتقون والكافرون:** تتعلق فاصلة آخر السورة بمضمونها أو بغرضها العام، كما تتعلق بفواتحها[(١)]، حيث يلاحظ أن الفاصلة الأولى بعد ﴿ الم﴾ تحدثت عن المتقين الذين كان الكتاب لهم هدى، وذلك في سياق تقسيم الناس بحسب مواقفهم من الكتاب الكريم، ثم يجيء الحديث عن الذين كفروا، وإذ قد بينت الآيات أنه يستوي في حق هؤلاء الإنذار وعدمه، فكأنها تقول إن الصراع بين المتقين والكافرين يبدو حتمياً، ومن هنا تأتي الفاصلة الأخيرة دعاءً من المتقين إلى ا تعالى أن ينصرهم ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢) **الإنفاق:** الفاصلة التالية لفاصلة﴿ المتقين ﴾ في مطلع السورة، تصفهم بأنهم مما رزقهم ا ﴿ ينفقون﴾، وفي أواخر السورة فإن غالب الآيات [من٢٦١–٢٨٠]، تتحدث عن موضوع الإنفاق، وكانت فواصل أغلبها في سياق الحض على النفقة، وإخلاصها.

فقد جاءت فاصلة﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١]، لتعزز ما سبقها في الآية من مضاعفة الثواب للنفقة التي مثلها مثل الحبة التي أنبتت سبع سنابل؛ فا سبحانه واسع لا يحد في صفة من صفاته التي تنشأ عنها أفعاله، وعلمه قد شمل كل معلوم فلا يخشى أن يترك عملاً[(٢)]، وهو سبحانه واسع العطاء، واسع القدرة على المجازاة، عليم بالنية وعليم بمقادير المنفقات وما يرتب عليها من الجزاء[(٣)]. كما جاءت ذات الفاصلة في الرد على إيعاد الشيطان المنفقين بالفقر، وتأكيداً على وعد ا تعالى بالمغفرة والفضل.

وقد تكرر تطمين المنفقين أنه لا خوف عليهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧] وخوطبوا بوعد ا سبحانه:﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وجاء التأكيد على أن الإنفاق في سبيل ا هو مقتضى الحكمة والتفكير الصائب، ولذلك يبين ا تعالى الآيات ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ ، كما أنه لا ﴿يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾.

وقد جاءت أكثر من فاصلة تتحدث عن علم ا تعالى المطلق بأي نفقة، وأنه بما يعمل الناس بصير وخبير تطميناً لهم أنه لن يضيع شيئاً من أعمالهم، وتحذيراً أن يقصدوا غيره بنفقاتهم، أو يتبعوها بالمن والأذى، وقد تكرر وصفه تعالى بأنه غني مرة مع وصف الحليم وثانية مع وصف الحميد، لتأكيد غناه عن الصدقة، وأنه لو

(١) الحسناوي، محمد، **الفاصلة في القرآن**، (ص٢٩٣)، دار عمار، عمان، ط٢، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
(٢) البقاعي، **نظم الدرر**، (١/ ٥١٦).
(٣) أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، (٦٥٨/٢).

أراد قادر على العطاء دون وساطة المنفقين، وأنه قادر على إجزال العطاء والمثوبة على المنفقين، ثم هو تعالى حليم عن معاجلة العقوبة لأهل المن والأذى، وهو حميد شديد الحمد؛ لأنه يثني على فاعل الخيرات[1].

المطلب الثالث: الفواصل والآخرة

الفاصلة الرابعة من سورة البقرة تصف المتقين أنهم بالآخرة ﴿ هم يوقنون﴾، وتأتي الفاصلة قبل الأخيرة في السورة الكريمة على لسان الرسولﷺ والمؤمنين معه لتؤكد حصول اليقين بالآخرة عندهم﴿ غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾، ولقد سبق الحديث عن امتداد موضوع البعث في قصص السورة، ما يعزز كون الآخرة والبعث من أظهر المحاور في هذه السورة الكريمة، وألصقها بموضوعها الرئيس، وهو ما يلاحظ أيضاً في الكثير من الفواصل فيها.

فقد جاءت أربع فواصل من مشتقات الجذر (رجع)، تؤكد حتمية الرجوع إلى ا تعالى يوم القيامة، واللافت في جميعها تقدم الجار والمجرور على جملة (الرجوع)، اسمية كانت أو فعلية، ليفيد الاختصاص؛ على معنى أن الرجوع يكون إلى ا تعالى وحده [2] لا إلى غيره، وقد جاء مرة في سياق استنكار كفر الناس با تعالى مع أنهم راجعون إليه، وفي سياق بيان أثر هذا الاعتقاد في الخشوع المؤدي إلى الاستعانة بالصبر والصلاة، وفي بيان تأثيره في تحقيق الصبر عند المصيبة، وللحث من خلاله على إقراض ا سبحانه قرضاً حسناً.

- ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) ﴾ .
- ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦) ﴾ .
- ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) ﴾ .
- ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥) ﴾.

كما توجه الخطاب إلى المؤمنين: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣) ﴾ .

وكل الفواصل التي تنتهي بكلمة (خالدون)، جاءت في سياق الخلود الأخروي في الجنة مرتين [الآيـات: ٢٥، ٨٢]، وفي النار خمس مرات[الآيات: ٣٩، ٨١، ٢١٧، ٢٥٧، ٢٧٥].

---

(١) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، (٥٨/٣).

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**، (١/ ١٢٧).

- ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة].
- ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ .[البقرة]
- ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة].
- ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة].
- ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة].
- ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة].
- ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة].

وجميع فواصل الجذر (حزن)، وردت في سياق تطمين المؤمنين الطائعين ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ووردت فاصلة (عظيم)، متعلقة بالآخرة مرتين في سياق وصف العذاب الأخروي، في قوله سبحانه: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ ، وقوله:﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ .

كما ختمت ثلاث آيات مهددة بالعذاب الأليم [الآيات: ١٠٤، ١٧٤، ١٧٨]، وهددت آية أخرى بالعذاب المهـين[الآية: ٩٠].

وتحدثت الآية [١٦٥] عن أن ا تعالى (شديد العذاب)، وحذرت الآيتان [١٩٦، ٢١١] من أن ا تعالى(شديد العقاب).

وقد انتهت ثلاث فواصل بكلمة النار؛ في إحداها تهديد للذين اتخذوا من دون ا أنداداً أنهم غير خـارجين مـن النار[الآية: ١٧٥]، وفي الثانية تعجيب من الذين يكتمون ما أنزل ا ويشترون بآياته ثمناً قلـيلاً ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾ ، والثالثة على لسان المؤمنين وهم يسألون ا سبحانه أن يقيهم (عذاب النار) [الآية: ٢٠١].

وكذلك ختمت آيتان بكلمة المصير، إحداهما عن الكافر الذي سيرد إلى عذاب النار (وبئس المـصير) [١٢٦]، والثانية تحصر المصير بأنه إلى ا وحده ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ ، وختمت الآيـة [٢٠٦] مهـددة المفسدين بجهنم (وبئس المهاد).

كما جاءت غالب فواصل الجذر (عمل)، لتأكيد أن ا سبحانه ليس بغافل عما يعمل الناس وهـو بـصير بمـا يعملون، وجميعها إلا واحدة كانت في بني إسرائيل، وكان بعضها بصيغة المخاطب وبعـضها الآخـر بـصيغة الغيبة، مع ما يترتب على ذلك من تهديد لبني إسرائيل من جهة، وطمأنة المؤمنين من جهة أخـرى، والتهديـد يشمل العقاب الدنيوي والأخروي على حد سواء.

وكثير من الآيات التي تتحدث عن (علم) ا تعالى، تلوح بشكل أو آخر بالجزاء الأخروي.

وثمة فواصل عديدة غير ما ذُكر جاءت في سياق الحديث عن الآخرة، تعزز أهمية الآخرة ترغيبـاً وترهيبـاً، لتحقيق الاستقامة وأداء التكليف، وتأكيداً على أن الإنسان لم يخلق سدى وأنه لا محالة مبعوث من بعـد المـوت ومحاسب على ما قدم ومجزي به ثواباً أو عقاباً.

المطلب الرابع: فواصل التقوى

الفاصلة الأولى بعد (الم) هي كلمة (للمتقين)، وفي تقديم ذكرهم أول السورة مزيد عناية بهم، في سياق التأكيـد على أن الكتاب هدى خاص بهم دون سواهم، ما يعني أن حصول التقوى شرط للاهتداء بالكتـاب، ثـم تـأتي الفاصلة التالية في المجموعة تدعو الناس إلى عبادة ا (لعلكم تتقون)، أي رجاء أن تتحصل لـديكم التقـوى، المؤدية للاهتداء بالكتاب، ويؤمر بنو إسرائيل في آية ثانية بتقوى ا وحده، وتتكرر فاصلة (لعلكـم / لعلهـم، تتقون/ يتقون) بصيغة الغائب والمخاطب أولاً مع بني إسرائيل، وقد اختيروا لحمل الكتاب بقوة، فـلا بـد مـن التقوى للاهتداء به، ثم توجه الخطاب للمؤمنين من أمة محمد ﷺ، حيث كتب عليهم القصاص والصيام وبين لهم الحدود وكل ذلك لأجل أن تتحصل لديهم التقوى(لعلكم تتقون)، وإذا كانت التقوى شرطاً للهداية فإنها كذلك شرط لحصول الموعظة، وحيث إن التقوى أمر بين العبد وربه وهو سبحانه أعلم بمن اتقى؛ فقد جاءت آية البر تبـين

الأعمال والصفات التي يصبح المؤمنون فيها من المتقين (وأولئك هم المتقون)، وجاءت آيتان فـي موضـوع الأسرة تهيبان بالمتقين أن يقوموا بأداء بعض الواجبات، وقد ورد التعقيب عليهما بقوله سبحانه (حقـاً علـى المتقين) لتحريض المؤمنين أن مقتضى كونهم متقين أن يفعلوا ذلك، وفي سياق الرد على العدوان وعدم البدء به في الشهر الحرام، جاء التعقيب يطالب المؤمنين أن يعلموا بأن(ا مع المتقين)، في معركتهم ضـد الكـافرين، ليؤكد وقوع الاستجابة لدعائهم أن ينصرهم ا على القوم الكافرين ما دام ا معهم.

- ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة].
- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.
- ﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾.
- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .
- ﴿ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .
- ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ .
- ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾.
- ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ .
- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ .
- ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ

ﭐلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧ ﴾.

- ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ ﴾.
- ﴿ وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٤١ ﴾.

المطلب الخامس: الفواصل المشتقة من الجذر (كفر)

الكفر لغة الستر ومنه وصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزراع لستره البذر في الأرض، وكفـر النعمـة سترها بترك أداء شكرها، وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة[1].

لقد سبق الحديث عن أن فاصلة الكافرين هي الفاصلة الأخيرة في سورة البقرة، حيث جاءت فـي ختـام دعـاء المتقين أن ينصرهم ا على القوم الكافرين، وكون هذا الدعاء ختاماً السورة يؤكد أن السورة متجهة من أولهـا إلى هذا الهدف.

واستئناسا بالفواصل المنتهية بكلمة (الكافرين)، من بداية السورة الكريمة؛ فإن الفاصلة الأولى تطمئن المؤمنين أن ا محيط بالكافرين، أي محيط بهم قدرة وعلماً[2]، ما يعني أن دعاء المؤمنين الآتي بطلب النصر على الكافرين في ختام السورة هو في حكم المؤكد، سيما وقد ورد ذات الدعاء قبيل النهاية في قصة طالوت مقترناً بالاستجابة التي تضمنت هزيمة الكفار ومقتل قائدهم جالوت على يد داود عليه السلام﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠ - ٢٥١].

وحين يأتي في سياق السورة أن ﴿ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨ ﴾ ، وأن الكافرين عليهم لعنة ا ، يتأكد أنه لن ينتـصر من كان ا عدواً له وطرده من رحمته؟.

---

(١) الأصفهاني، **المفردات**،(ص ٤٨٤، ٤٨٥)، بتصرف.

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**، (٣١/١).

وزيادة في الحرب النفسية ضد الكافرين تتوعدهم القرآن بالنار التي وقودها الناس والحجارة ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ، ثم تحدثت آية تالية عن إبليس الذي﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾، تقبيحاً للجماعة التي ينتمي إليها رمز الشر والعداوة لبني آدم، وتحريضاً على قتالهم، ويأتي الأمر بالقتال صريحاً رداً على قتال الكافرين، وقبل الختام يأتي التأكيد على أن ا ﴿ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾، كأنها تعود على بداية السورة من أنه يستوي في حق الذين كفروا الإنذار وعدمه، وبالتالي فليس بينهم وبين المؤمنين سوى الصراع، الذي تؤكده آخر فاصلة من فواصل الجذر كفر، وهي كذلك الفاصلة الأخيرة في السورة من خلال دعائهم ربهم أن ينصرهم على القوم الكافرين.

- ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾
- ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾
- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾
- ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾
- ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾
- ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾ .
- ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾ .
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ .

- ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ .

المطلب السادس: فواصل العلم

وردت الفواصل المشتقة من الجذر(علم) في سورة البقرة (٤٠ مرة)، وهي الأكثر وروداً في السورة، وذلك على النحو الآتي: (عليم، العليم: ١٧ مرة)، (يعلمون:٧ مرات)، (تعلمون:١٢ مرة)، (العالمين: ٤ مرات)، ولا غرابة في ذلك؛ فإن موضوع الخلافة الذي أُسند لآدم ﷺ وبنيه سببه ما اختصهم ا تعالى به من العلم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [الآية:٣١]، والفاصلة الأولى في قصة آدم - قصة الخلافة، تأتي خطاباً من ا تعالى للملائكة: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠]، أنه أعلم بجدارة آدم وذريته للقيام بالخلافة حتى من الملائكة أنفسهم، ويؤكد الملائكة ذات المعنى عندما ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾، وفي الآية التالية يخاطبهم رب العزة مرة ثانية: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ . ومن الطبيعي وقد تكرر في قصة آدم الحديث عن علم ا المطلق واختصاصه بالعلم، وأنه لا علم لأحد إلا ما علمه تعالى، وأنه يعلم غيب السماوات والأرض وما يكتمون أهلهما، أن يصطفي الأنسب وأن يقضي بالأحسن، ويشرع الأصلح.

وقد جاء وصفه تعالى بأنه سبحانه ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩]، تمهيداً لقصة آدم ﷺ القائمة على أساس علم ا تعالى وتعليمه آدم والملائكة، وتكررت الصفة بنفس الصيغة أو مقترنة باسمه سبحانه السميع أو الواسع أو مع صفة الشكر، لتأكيد علم ا تعالى المقتضي إثابة المحسنين، ومعاقبة المسيئين، والاستجابة للداعين، وحفظ الرسول والمؤمنين، وما يؤكد حكمة الاختيار المرتبطة بطلاقة المشيئة.

- ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ .
- ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .
- ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ .

- ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ .

- ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١﴾ .

- ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥﴾.

- ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٤﴾ .

- ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٣١﴾ .

- ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤﴾ .

- ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٤٧﴾ .

- ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ .

- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ .

- ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ .

- ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢٧٣﴾ .

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾.
- ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣﴾ .

وجاءت فاصلة (يعلمون)، لبيان أن الكفار جاهلون حتى بأنفسهم وواقع أحوالهم حين يتصورون المؤمنين سفهاء، بينما هم السفهاء في الواقع، ولبيان أن جرائمهم التي يقومون بها، ومنها التحريف ونبذ الكتاب وكتمان الحق، تتم عن علم منهم وقصد وإن تظاهروا بغير ذلك، ثم عاد فنفى عنهم العلم لما تنكبوا الطريق، علماً بأن جميع آيات هذه الفاصلة قد جاءت في بني إسرائيل، سوى الأخيرة والتي جاءت عن حدود الله التي﴿يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾، أي "يفهمون ويعملون بمقتضى العلم"[1]، وذلك في سياق أحكام الطلاق للمؤمنين.

- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣﴾ .
- ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ .
- ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾ .

---

(١) البيضاوي، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (١٢٣/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾ .
- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)﴾ .
- ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾.
- ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠)﴾ .

تكرر في فاصلة (تعلمون) عدد من المعاني التي وردت في فاصلة (يعلمون)، وبعضها لنفس الجهة لكن بصيغة المخاطب لا بصيغة الغيبة، وقد افتتحت بخطاب الناس ألا يجعلوا أندادا حال علمهم، إذ مقتضى العلم التوحيد، ومثل ذلك خطاب بني إسرائيل يحذرهم من لبس الحق بالباطل، وفي الآيات خطاب للملائكة أنه سبحانه يعلم ما لا يعلمون، ثم نقل قولهم أنه لا علم لهم إلا ما علمهم ا تعالى، لما قد يظن من أن الملائكة أنداد وأنهم يعلمـون الغيب، وقد جاءت آيات تالية تؤكد ذات الأمر في حق البشر أيضاً، من باب أولى، وتنعى على البعض وتحـذر آخرين أن يقولوا على ا ما لا يعلمون، وتؤكد للمؤمنين أن كل علم يأتيهم هو منه سبحانه، وأنه يعلـم مـا لا يعلمون كي يلتزموا أوامره دون تباطؤ أو تلكؤ.

- ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ .
- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)﴾.
- ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢)﴾ .

- ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ .

- ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ .

- ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ .

- ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ .

- ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ .

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ .

- ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ .

- ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ .

- ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ .

ومن الجدير ذكره أن هناك العديد من الفواصل الأخرى، تتضمن موضوع العلم لكن لم تـأت مـشتقات (علـم) الكلمة الأخيرة، كتلك التي تتحدث عن أن ا تعالى خبير أو بصير وأنه ليس بغافل عما يعمل الظالمون.

المطلب السابع: فواصل الرحمة

لعل من المناسب التذكير بأن الآية الأولى في القرآن جميعه تنتهي باسمه سبحانه الـرحيم، لأن إرسـال النبـي وإنزال الكتاب كليهما من مظاهر رحمته سبحانه:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]،﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمن].

وقد وردت التعقيبات المنتهية باسمه تعالى الرحيم اثنتي عشرة مرة في سورة البقرة، منها أربع مرات مسبوقاً باسم التواب، في قصة آدم وبعد اتخاذ بني إسرائيل العجل وفي دعاء إبراهيم وإسماعيل وفي التوبة والتبيين بعد كتمان ما أنزل ا ، فهي متصلة بإطلاق القيادات الدينية من عقلها – على مستوى الأفراد أو الجماعات- لتنهض بدورها في حمل الرسالة ، كما هو واضح في قصة آدم وبني إسرائيل ودعاء إبراهيم وإسماعيل وكذا عند الحديث عن الذين تابوا وبينوا.

وسبقت واحدة باسم الرؤوف مع الحديث عن القبلة، وأخرى سبقت باسم الرحمن في جو التوحيد، والست الباقيات سبقت باسمه سبحانه الغفور في سياق الأحكام الشرعية.

- ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾.
- ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ .
- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾.
- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾.
- ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾.
- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ .
- ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾.
- ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾.
- ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾.

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾.
- ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٢٦﴾ ﴾.

المطلب الثامن: فواصل الحكمة

جاء التعقيب بوصفه تعالى أنه (حكيم) في سبعة مواضع، سبقت الأولى بوصف (العليم)، وسبقت الست الباقيات بوصف (العزيز).

جاءت الأولى في سياق جواب الملائكة على الطلب الإلهي ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾، في دعواكم عدم صلاحية الخليفة أو أنكم أصلح، حيث أكدوا أن لا علم لهم إلا ما علمهم الله وأن الله وحده هو العليم، ووحده هو الحكيم لا يضع شيئاً إلا في مكانه.

والمرة الثانية جاءت تذييلاً لدعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يبعث رسولاً في أهل مكة، وهو محمد ﷺ، لتقريب الإجابة[1]، والصفتان- العزة والحكمة- مناسبتان[2] لما قبلهما؛ لأن إرسال رسول متصف بالأوصاف التي سألها إبراهيم لا يصدر إلا عمن اتصف بالعزة، وهي القوة أو الغلبة أو عدم النظير، وبالحكمة التي هي إصابة مواقع الفعل فيضع الرسالة في أشرف خلقه وأكرمهم عليه[3].

وإذا كان التعقيب بالحكمة في الأولى اعترافاً من الملائكة بحكمة الله تعالى في اختيار آدم وذريته للخلافة، فإن الثانية جاءت في سياق الرد على بني إسرائيل بل والعرب أيضاً على اصطفاء محمد ﷺ، للرسالة واستئناف الخلافة.

والآيات الأربع التالية تتحدث عن الزلل بعد مجيء البينات، ورعاية الأيتام وبعض أحكام المطلقات والأرامل التي تستدعي التذكير والتأكيد على عزة الله وقهره وغلبته من جهة، وعلى الحكمة في تشريعاته وأحكامه وجزائه من جهة أخرى، والآية الخامسة طلب إبراهيم عليه السلام من الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى وجاء التعقيب لبيان أنه تعالى قاهر قادر" عزيز لا يمتنع عليه ما يريد من إحياء الموتى حكيم فيما يريد ويمثل،(أو) عزيز منتقم ممن ينكر بعث الأموات، حكيم في نشر العظام والرفات[4].

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٧٢٤/١).
(٢) في الكتاب: (متناسبتان)، والأرجح ما ورد أعلاه.
(٣) أبو حيان، **البحر المحيط**، (٦٢٦/١)، بتصرف.
(٤) أبو حيان، **البحر المحيط**، (٢/ ٦٤٩). في الكتاب(الرفاة)، وهو خطأ.

وفي ملاك التأويل أنه حيث يرد وصفه تعالى بالعزة والحكمة، يراد معنى الاقتدار والاستيلاء والقهـر وإحاطـة العلم، وإفراده سبحانه بالخلق والأمر والربوبية والتعالي، وما يرجع إلى هذا[1].

ومن اللطيف أن أول تعقيب بالحكمة في سورة البقرة جاء مرتبطاً بالخلافة، والتعقيب الأخير ارتبط بالبعث الذي فيه حساب المستخلفين وجزاؤهم.

- ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ .
- ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ .
- ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ .
- ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ .
- ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ .
- ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ ﴾ .
- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ .

المطلب التاسع: فواصل القدرة المطلقة

وقع التعقيب بوصف ا تعالى بالقدرة المطلقة ست مرات في سورة البقرة، وجميعها بنفس الصيغة تقريباً: (إن / أن/ ا على كل شيء قدير).

فالآية الأولى جاءت في سياق وصف المنافقين وتخويفهم، والمناسبة بين التخويف وطلاقة قدرة ا ، هو أن مـن كانت له القدرة المطلقة قادر على إنفاذ وعيده، ويشبه ذلك الآية (١٠٩) التي طالبت المـؤمنين أن يقـابلوا مـا

---

(١) ابن الزبير، أبو جعفر، **ملاك التأويل**، (١/ ٢٧٧)، تحقيق محمود كامـل أحمـد، دار النهـضة العربيـة، بيـروت، د.ط، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

يلقونه من أهل الكتاب من الحسد والعمل الدؤوب لردهم عن دينهم، بالعفو والصفح حتى يأتي ا بأمره، حيث يتضمن ذلك الأمر وعداً ووعيداً بنصر المؤمنين وخذلان الكافرين، ومن ثم كان التذكير بقدرة ا المطلقة لتحقيق الوعد والوعيد، وكذلك فقد تضمنت الآية (٢٨٤) وعداً ووعيداً، بعدما ذكرت أن ملك السماوات والأرض وحده، وأنه سبحانه يحاسب عباده على ما يبدون أو يخفون، ومن ثم يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، وهذا يستدعي التأكيد على قدرة ا المطلقة.

أما في الآيتين (١٤٨، ٢٥٩) فقد جاء تأكيد قدرته سبحانه على البعث والحساب، مرة بعد الدعوة إلى استباق الخيرات والإخبار بأنه سبحانه القادر على الإتيان بالناس أينما كانوا، والآية الثانية على لسان الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، إقراراً منه، بعدما أراه ا سبحانه، كيف يحيي الأرض بعد موتها.

وبالنسبة للآية (١٠٦) فقد جاء الحديث عن القدرة المطلقة على وجه الاستفهام المتضمن للإنكار والتقرير المشار فيه للتوعد والتهديد[1]، أنه سبحانه يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير، وأنه تعالى لما لم يأت بالثاني ابتداء لم يكن ذلك عن عجز؛ فإن من علم قدرته على كل شيء لا يظن ذلك[2].

ومن الواضح أن فواصل القدرة المطلقة، وثيقة الصلة بموضوع السورة الكريمة، خاصة ما يتعلق بالآخرة بعثاً وحساباً وجزاءً، وكذلك ما يتعلق بما يقدره ا تعالى نسخاً أو ابتداء؛ فهو، فضلاً عن الحكمة فيه، فإنه لا يعني العجز عن المتروك أو المؤجل.

- ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾.
- ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾.
- ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾.
- ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ .

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر**، (٢١٧/١).

(٢) القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، (٣٧١/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾ ﴾.
- ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾.

المطلب العاشر: فواصل الظلم

الظالم: هو السائر في الظلام[1]، وهو لا محالة واضع قدمه في غير محلها، فإما تعثر أو سقط، وربما داس على شخص فآذاه، أو شيء فأتلفه؛ ولن ينفك والحالة هذه عن إيذاء نفسه أو الاعتداء على غيره، ولذلك ارتبط الظلم بالعدوان. وكل من تنكب هدى الله فهو يتخبط في الظلام ومن ثم ظلم نفسه بإشقائها في الدنيا قبل الآخرة، وظلم غيره كذلك. وقد جاءت أولى فواصل الجذر (ظلم) في السورة تحذيراً لآدم وزوجه أن يقربا الشجرة المحرمة فيكونا (من الظالمين)، والظلم نقيض لمهمة الخلافة التي تقتضي وضع كل شيء في محله وفق أمر الله تعالى.

ثم جاءت عدة فواصل تتحدث عن ظلم بني إسرائيل، يتبعها استثناء الله تعالى الظالمين من عهده سبحانه لإبراهيم بوراثة الإمامة الدينية.

ثم تحذير للنبي ﷺ أن لا يتبع أهواء الذين أوتوا الكتاب فيكون من الظالمين، وتأتي بعض الفواصل في موضوع مقاتلة الكافرين ورد عدوانهم، وفي سياق الطلاق للتحذير من تعدي حدود الله، وفي سياق الدعوة للإنفاق في سبيل الله قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة حيث الكافرون هم الظالمون، وفي التأكيد على أن أحداً لن يظلم أو يهضم حقه وستوفى كل نفس ما أنفقت، ثم يأتي موضوع الربا والدعوة إلى التوبة منه وأن يكتفي المؤمنون برؤوس أموالهم لا يظلمون ولا يظلمون، والفاصلة الأخيرة في المجموعة تأتي قبيل نهاية السورة تأمر المؤمنين أن يتقوا يوما يرجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، فإن التقوى المذكورة

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر**، (١٠٥/١).

أول السورة هي سبيل النجاة والفلاح، ولن يظلم أحد من الطائعين أو العصاة، وفي ذلك تطمين للجميـع؛ لأن ا تعالى هو مالك يوم الدين.

- ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾.
- ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.
- ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.
- ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.
- ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾.
- ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾.
- ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾.
- ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ .
- ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ .
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾ .
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ .

- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾.
- ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾.
- ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾.
- ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾.

والملاحظ بعد استعراض هذه المجموعات من الفواصل أنها تتصل بالمحاور الرئيسة للسورة، والتي سبق ذكرها في المباحث الفائتة.

فكثرة فواصل التقوى وسياقاتها تؤكد أهمية التقوى لتحصيل الهدى الذي يتضمنه هذا الكتاب، ثم ما يتعلق بوسائل تحصيل التقوى، وحتمية انتصار المتقين لتأييد ا تعالى إياهم في صراعهم مع القوم الكافرين.

وفواصل العلم تؤكد استئثار ا سبحانه بالعلم ما يشاهده المخلوقون وما يغيب عنهم، ولذلك فإن كل كا يقدره أو يشرع أو يحكم به هو الحق وإن خفيت حكمته عن الخلق، كما أنه عز وجل أكرم آدم عليه السلام وبنيه بالخلافة لما اختصهم به من العلم، وأن العلم أيضاً هو أيضاً طريق الإمامة.

وفواصل الظلم تفيد أن عصيان الرب تعالى ظلم للنفس، وأن أعظم الظلم الشرك باتخاذ العجل أو غيره إلهاً من دون ا تعالى، وأن الظالمين محرومون من الهداية، وحيث إن بني إسرائيل انتهى أمرهم إلى الظلم فقد حرموا من عهد ا تعالى لإبراهيم عليه السلام، بأن تظل فيهم الإمامة الدينية.

وكذلك فإن فواصل الآخرة، التي كان لها حضور بارز في السورة، مهمة في دفع الناس إلى الاستقامة على الأمر والقيام بحق الخلافة، كما أن الآخرة هي النهاية الطبيعية للحياة الدنيا.

المبحث الخامس
الوحدة الموضوعية في سورة البقرة
(التناسب بين مقاطع السورة)

على الرغم من كون سورة البقرة أطول سورة في القرآن الكريم؛ فإن الوحدة الموضوعية فيها والترابط بين مقاطعها، يتجلى غاية التجلي، وهو الأمر الذي عززته المباحث السابقة من هذا الفصل، وحيث تتأكد فيها وحدة البناء على طولها وتعدد قضاياها، وما قد يظهر من النظرة العجلى من عدم الترابط بين أجزائها؛ فإن ذلك يغدو أيسر فيما دونها من السور الأقصر.

يحتل الاستهلال مكانة بارزة من حيث أهميته من ناحية، ومن حيث علاقته ببقية أجزاء النص من ناحية أخرى، وتحكمه كذلك في هذه الأجزاء، وأي سورة عندما تستهل بأحد الموضوعات فإن ذلك يكشف عن كون الموضوع يحمل أهمية كبيرة يستهدف النص لفت نظرنا إليه، والجملة الأولى في أي نص تمثل معلماً عليه.

فقد بدئت السورة الكريمة بثلاثة أحرف مقطعة ﴿ ألم ﴾ ، لا عهد للعرب بتصدير مثلها في الإنشاء والإنشاد، كما يقول الدكتور دراز رحمه ا ، بما يوقظ الأسماع ويوجه القلوب، وفيه معنى التحدي والإعجاز بهذا القرآن المكون من مثل هذه الحروف، المبعد لأي ريب عن هذا الكتاب، ولذلك تبع هذه الأحرف قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ ؛ فالإشارة إلى الكتاب باسم الإشارة الدال على البعيد لبيان كماله وعلو مكانته، إعلاناً أنه ليس في الوجود ما يصلح أن يسمى كتاباً بالقياس إليه، لأنه الحق الذي لا شبهة فيه، ولأنه الهدى المبين الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور، وإذ تتشوف النفس لمعرفة مواقف الناس من ذلك الكتاب الذي ذاك شأنه، تأتي الآيات التالية لتتحدث عن ثلاثة أصناف من الناس: المتقين الذين كان هذا الكتاب لهم هدى حتى لكأنه إليهم أنزل[1]، ثم الذين كفروا ممن استوى في شأنهم الإنذار وعدمه، ثم المنافقين الذين هم في حقيقتهم كافرون وإن تظاهروا بالإيمان، ولأجل أن هذا الفريق يحاول يدعي الإيمان وليس بمؤمن فقد جاء الحديث عنه في اثنتي عشرة آية، بينما تحدثت أربع آيات عن المتقين، واثنتان عن الكافرين؛ لظهورهما وخفائه.

---

(1) دراز، **النبأ العظيم**،(ص ١٦٤، ١٦٥) بتصرف واختصار.

و"هنا تمت المقدمة بعد أن وصفت القرآن بما هو أهله، ووصفت متبعيه ومخالفيه كلاً بما يستحقه، ولا ريب أن وصف هذه الطوائف جميعها راجع في المآل إلى الثناء على القرآن؛ فإن الشيء الذي يكون متبعوه هم أهل الهدى والفلاح، ومخالفوه هم أهل الضلالة والخسر، لا يكون إلا حقاً واضحاً لا ريب فيه"[(1)].

وبعد الحديث عن الكتاب ومواقف الناس من هذا الكتاب، وعلى رأسهم المهتدون به، فإن الآيات تنتقل للحديث عن مراد الله تعالى من الكتاب وهو توحيده بالعبادة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

وهذا أول نداء في المصحف الشريف يتجه إلى الناس جميعهم، لأن القرآن في الأصل للناس كافة ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وإن كان لا يهتدي به إلا المتقون، يدعو الناس أن يعبدوا الله وحده وأن لا يجعلوا له أنداداً، ويؤكد أن الذي نُزل عليه الكتاب – على علو شأنه – فإنه ليس إلا عبداً له سبحانه. وفيما سبق لفت إلى قافلة البشرية، وتعليل للأمر بالعبادة أنه لأجل أن تتحصل التقوى التي يكرم الله أهلها فيهديهم بهذا الكتاب، ثم يعود للكتاب الذي نزله على عبده يتحداهم إن كانوا لا يزالون في ريب منه أن يأتوا بسورة من مثله فإن عجزوا وهم لا محالة عاجزون- وذاك دليل على أنه لا ريب في هذا الكتاب-، فليتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين، وذاك إنذار آخر للكافرين – من الله تعالى- لا من رسوله والنتيجة هي النتيجة؛ أنه يستوي في حقهم الإنذار وعدمه، كيلا يستغرب الرسول والمتقون من عدم إيمانهم فيظنوا المشكلة في كتابهم أو في أنفسهم وأسلوبهم، ويعود الخطاب إلى النبي- ﷺ - كي يبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ومرة أخرى تعود الآيات لبيان مواقف الناس من آيات كتابه وما فيها من أمثال: فالمؤمنون يعلمون أنه الحق من ربهم، وأما الذين كفروا فيسألون مستنكرين: ماذا أراد الله بهذا مثلاً ؟!، فيأتيهم الجواب أنه يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين، الخارجين عن طاعته تعالى، بتكرار نقضهم عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعهم ما أمر الله به أن يوصل، وإفسادهم في الأرض، وإذ يحسبون أنهم رابحون يأتي التأكيد أنهم هم الخاسرون.

---

(١) دراز، **النبأ العظيم**، (ص ١٧٣).

قال في (المنار):" ذكر الكتاب أنه لا ريب فيه، ثم ذكر اختلاف الناس فيه فابتـدأ بالمـستعدين للإيمـان بـه، المنتظرين للهدى الذي يضيء نوره منه، وثنّى بالمؤمنين، وثلّث بالكافرين وقفّى عليهم بالمنافقين، ثـم ضـرب الأمثال لفرق الصنف الرابع، ثم طالب الناس كلهم بعبادته، ثم أقام البرهان على كون الكتاب منزلاً من ا على عبده محمد ، وتحدى المرتابين بما أعجزهم، ثم حذر وأنذر وبشر ووعد، ثم ذكر المثل والقدوة وهو الرسـول، وذكر اختلاف الناس فيه كما ذكر اختلاف الناس في الكتاب ثم حاج الكافرين، وجاءهم بأنصع البراهين، وهـو إحياؤهم مرتين وإماتتهم مرتين، وخلق السماوات والأرض لمنافعهم، ثم ذكر خلق الإنسان وبين أطواره، والكلام لم يخرج بهذا التنويع عن انتظامه في سلكه، فهو دائر على قطب واحد في فلكه، وهو الكتـاب والمرسـل بـه، وحاله مع المرسل إليهم"[1].

وإذ قد طال الحديث عن الكفار وسوء فعالهم ورفضهم للبراهين الساطعة والحجـج الدامغـة، وعـدم تـأثرهم بالإنذارات، إلى الحد الذي يدعو إلى الاستنكار تأتي هذه الآية معجبة من كفرهم با الذي أحياهم بعـدما كـانوا أمواتاً ثم يميتهم ثم يحييهم ثم إليـه يرجعـون :﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة]، وهنا يأتي الإحياء بعد الموت موضوعاً متكرراً ومحوراً رئيساً على امتداد آيـات السورة الكريمة[2] لتعزيز الإيمان بالآخرة وتحقيق التقوى، والآية التالية تستمر في تعريفهم بربهم الذي خلق لهم ما في الأرض جميعا، ليعبدوه وحده، وفي ذلك توطئة لقصة آدم عليه السلام من جهة التـذكير بقـصة الخـلق الأول، ومن جهة كرامتهم عند ا تعالى، ومكانتهم في الأرض التي كل ما فيها مخلوق لهم.

وتأتي الفاصلة﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة]، لتكون حلقة الوصل الأبرز مع قصة آدم - ﷺ -، حيـث إن ظاهرة (العلم) هي التي شكلت عصب القصة بما تتضمنه من مواقف وأحداث وأبطال، تستمد حركتها جميعاً من (العلم) الذي يقف وراء ذاك، حيث إنها تأخذ مساحة خاصة من النص، بل وتشكل البطانة الفكرية التـي يقـوم عليها هيكل قصة المولد البشري، حتى لتتكرر مشتقات (علم) في قصة آدم ثماني مرات، فالعلم المطلق صفة ا

(١) رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم/المنار**،(٢٩٨/١).
(٢) كما يتضح في المبحث الأول والثاني والثالث والرابع، من هذا الفصل.

تعالى، وهو علّم آدم، وحجب ذاك العلم عن الملائكة فلا علم لهم ولا لغيرهم إلا بما يعلمهـم سـبحانه، ولـذلك اصطفاه للخلافة دونهم وأسجدهم له[1].

وبعد قصة استخلاف آدم وبنيه، يأتي الحديث عن بني إسرائيل، الذين كانت فيهم الخلافة والإمامة الدينية زماناً، لينتهي إلى التيئيس من إيمانهم، وفضح دخيلاتهم، والرد عليهم في موضوع القبلة، وبيان علاقـة القبلـة ونبـي الإسلام بإبراهيم عليه السلام الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل، مع التأكيد على أن هذا الانتساب لا يفيد ما لم يكـن انتساب إيمان واستقامة، فلا ينال عهد ا الظالمين، وبالتالي فقد انتزعت الخلافة والإمامة الدينية منهم.

قال أبو حيان عند قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [البقرة]:" ثـم ختم هذه الآيات بأمر بني إسرائيل بذكر نعمه السابقة، وتفضيلهم على عالمي زمانهم، وكان ثالث نداء نودي بـه بنو إسرائيل، بالإضافة إلى أبيهم الأعلى، وتشريفهم بولادتهم منه، ثم أعرض في معظم القرآن عن ندائهم بهـذا الاسم، وطمس ما كان لهم من نور بهذا الوسم، والثلاث هي مبدأ الكثرة، وقد اهتم بك من نبهك ونـاداك مـرة ومرة ومرة[2]".

وبعد النداءات الثلاثة الموجهة إلى بني إسرائيل لا يعود يتوجه الخطاب إليهم، وإنما تتحول الآيات الكريمة إلـى المؤمنين الجدد تفصل لهم أركان دينهم، وشرائع إسلامهم، وتجيب على أسئلتهم، وتحرضهم على القتـال لـرد العدوان ولئلا تكون فتنة ويكون الدين ؛ فإن الفتنة أكبر من القتل وأشد، وتتضمن التفصيلات التشريعية كـذلك آيات عديدة حول أحكام الأسرة وبالذات أحكام الطلاق، ثم تأتي قصة الجهاد والخلافة، (قصة طالوت) مـسبوقة بقصة الهاربين من الموت لتؤكدا أن من يطلبون الموت هم الذين توهب لهم الحياة بعكس الذين يهربـون منـه، ومن ثم تأتي ثلاث قصص تركز على قضية البعث والحساب، فإنه لا تكون استقامة على أمـر ا ، ولا جهـاد، ولا أداء لأمانة الخلافة، ما لم يكن يقين بالبعث والحساب.

وغالب الآيات الباقية عن الإنفاق في سبيل ا تعالى، وضرورة الإخلاص فيه، وعدم إبطالـه بـالمن والأذى، وصلة النفقة بالجهاد في غاية الظهور، وفي أواخرها آيتا الدين وقد سبق الحديث عن دلالاتهما، وتأتي الآيـات الخاتمة تؤكد أن كل ما في السماوات والأرض ملك وحده، وأنه سبحانه محاسب الكل على ما يبـدون ومـا

(١) البستاني، محمود، التفسير البنائي للقرآن، موقع الحوزة www.u-of-islam.net .

(٢) أبو حيان، **البحر المحيط**، (٥٩٥/١).

يخفون وهو على كل شيء قدير، ثم حديث عن إيمان الرسول والمـؤمنين، وإعلانهـم الـسمع والطاعـة مـع الاستغفار والإقرار بالرجعة إلى الله تعالى، والآية الأخيرة كأنها من ضمن دعاء المؤمنين تنـزيه الله تعـالى أن يكلف نفساً أكثر من وسعها، حيث يستمر دعاؤهم طالبين عدم المؤاخذة ورفع الإصر وألا يحملهم فوق طـاقتهم، مع طلب العفو والمغفرة والرحمة، والتوجه إلى الله تعالى مولاهم أن ينصرهم على القوم الكافرين.

والآيتان الأخيرتان تتحدثان عن إيمان الرسول والمـؤمنين بمـا ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ [البقـرة: ٢٨٥]، في إشارة واضحة للكتاب الذي تحدثت عنه أول السورة، ثم إعلان السمع والطاعة مع طلب المغفرة من الله تعالى الذي إليه وحده المصير، يرافق ذلك الإيمان بأن الله تعالى لا يكلف في كتابه، نفساً إلا وسعها.

وأرى في الختام أن أورد اقتباساً من نظم الدرر، حاول فيه البقاعي تلخيص السورة في ختام تفسيره لهـا، وقـد آثرت إيراده بطوله لنفاسته.

قال البقاعي:" وسر ترتيب سورة السنام على هذا النظام؛ أنه لما افتتحها سبحانه وتعالى بتصنيف الناس، الـذين هم للدين كالقوائم الحاملة لذي السنام، فاستوى وقام ابتداء المقصود بذكر أقرب السنام إلى أفهام أهل القيام؛ فقال مخاطباً لجميع الأصناف التـي قـدمها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة] واستمر إلى أن بان الأمر غاية البيان فأخذ يذكر مننه سبحانه على الناس المأمورين بالعبادة بمـا أنعـم عليهم من خلق جميع ما في الوجود لهم بما أكرم أباهم آدم عليه الصلاة والسلام، ثم خص العرب ومـن تـبعهم ببيان المنة عليهم في مجادلة بني إسرائيل وتبكيتهم، وهو سبحانه وتعالى يؤكد كل قليل أمر الربوبية والتوحيـد بالعبادة من غير ذكر شيء من الأحكام، إلا ما انسلخ منه بنو إسرائيل، فذكره على وجه الامتنان به على العرب وتبكيت بني إسرائيل بتركه لا على أنه مقصود بالذات، فلما تزكّوا فتروّوا فتأهلوا لأنواع المعارف، قال معلياً لهم من مصاعد الربوبية إلى معارج الإلهية﴿ وَإِلَـٰهُكُمۡ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة:١٦٣]، فلما تسنموا هذا الشرف لقنهم العبادات المزكية ونقاهم أرواحها المصفية، فذكر أمهات الأعمال أصـولاً وفروعـاً: الدعائم الخمس والحظيرة، وما تبع ذلك من الحدود في المآكل والمشارب والمناكح، وغير ذلك مـن المـصالح فتهيأوا بها وأنها المواردات الغر من ذي الجلال؛ فقال مرقياً لهم إلى غيب حضرته الشماء، ذاكراً مسمى جميـع الأسماء: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥]، ولما كان الواصل إلى أعلى مقام الحرية لا بـد عنـد القوم من رجوعه إلى ربقة العبودية؛ ذكر لهم بعض الأعمال اللائقة بهم؛ فحث على أشياء أكثرهـا مـن وادي

الإحسان الذي هو مقام أولي العرفان، فذكر مـثـل النفقة، التي هي أحد مباني السورة، عقب مـا ذكـر مقـام الطمأنينة؛ إيذاناً بأن ذلك شأن المطمئن، ورغب فيه إشارة إلى أنه لا مطمع في الوصول إلا بالانسلاخ من الدنيا كلها، وأكثر من الحث على طيب المطعم الذي لا بقاء بحال من الأحوال بدونه، ونهى عن الربا أشد نهي؛ إشارة إلى التقنع بأقل الكفاف، ونهياً عن مطلق الزيادة للخواص وعن كل حرام للعوام، وأرشد إلى آداب الدين الموجب للثقة بما عند ا ، المقتضي بصدق التوكل، المثمر للعون من ا سبحانه وتعالى والإرشاد إلـى ذلـك، تـوفي النبيﷺ وهو متلبس به، وبنى سبحانه وتعالى كل ثلث من الأثلاث على مقدمة في تثبيت أمره، وتوجه بخاتمـة في التحذير من التهاون به، وزاد الثالث لكونه الختام وبه بركة التمام، أن أكد عليهم بعد خاتمتـه فـي الإيمـان بجميع ما في السورة، وختم بالإشارة إلى أن عمدة ذلك الجهاد الذي لذوي الغي والعناد، والاعتماد فيه على مالك الملك وملك العباد، وذلك هو طريق أهل الرشاد، والهداية والسداد، وا سبحانه هو الموفق للصواب"[1].

(١) البقاعي، **نظم الدرر**، (٥٦٣/١-٥٦٤).

الفصل الرابع
أوجه التناسب الخارجية لسورة البقرة

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : التناسب بين سورتي البقرة والفاتحة

المبحث الثاني: التناسب بين سورتي البقرة وآل عمران

المبحث الثالث: التناسب بين سورتي البقرة والفلق

المبحث الرابع: مناسبة السورة لواقع الدعوة الإسلامية

المبحث الخامس: التناسب بين سورة البقرة وترتيبها في المصحف

المبحث السادس: التناسب بين سورة البقرة وبقية السور المفتتحة بـ (ألم)

في هذا الفصل، سيجري الحديث عن أوجه التناسب الخارجية لسورة البقرة، بدءاً من تناسبها مع سورة الفاتحة التي تسبقها، فآل عمران التي تليها؛ ثم مع الفلق نظيرتها في آخر المصحف؛ حيث إن البقرة هي السورة الثانية من الأول، بينما الفلق هي السورة الثانية من الآخر، يليه وجه التناسب بين البقرة وواقع الدعوة الإسلامية عند نزولها، ومن ثم مناسبتها لترتيبها في المصحف، وفي الختام التناسب بين البقرة ومجموعة (ألم).

المبحث الأول

التناسب بين سورتي البقرة والفاتحة

سورة الفاتحة هي أم القرآن الكريم جميعه، ومن البدهي أن تكون أماً لسورة البقرة على وجه الخصوص؛ كونها التالية لها مباشرة، سيما وقد ذكر السيوطي أن القاعدة التي استقر بها القرآن: أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه. وقد استقر ذلك في غالب سور القرآن، طويلها وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة [1].

وأما أبرز أوجه التناسب بين السورتين الكريمتين فهي:

المطلب الأول: الإجمال و التفصيل

١) **دعاء واستجابة:** فإنه لما أخبر سبحانه وتعالى أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم، الذي هو غير طريق الهالكين، أرشدهم في أول التي تليها إلى أن الهدى المسئول إنما هو في هذا الكتاب، وبين لهم صفات الفريقين: الممنوحين بالهداية حثاً على التخلق بها، والممنوعين عنها زجراً عن قربها[2] .

وقال البقاعي في نظم الدرر: " فحصل من هذه السورة بأسرها - يقصد سورة البقرة - بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء والكمال أخذاً وتركاً، وبيان شرف من أخذ به وسوء حال من تنكب عنه، وكان العباد لما علّموا: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ إلى آخر السورة، قيل لهم: عليكم بالكتاب، إجابة لسؤالهم، ثم بين لهم حال من سلك ما طلبوا، فكأن قيل لهم: أهل الصراط المستقيم وسالكوه هم الذين بين شأنهم وأمرهم، والمغضوب عليهم من المتنكبين هم اليهود الذين بين أمرهم وشأنهم، والضالون هم النصارى الذين بين أمرهم وشأنهم، فيجب على من رغب في سلوك الصراط المستقيم أن يحذر مما أصاب هؤلاء مما نبه عليه، وأن يأخذ نفسه بكذا وكذا، وأن ينسحب إيمانه على كل ذلك، وأن يسلم الأمر الذي تطلب منه الهداية، ويتضرع إليه بأن لا يؤاخذه بما يثمره الخطأ والنسيان، وأن لا يحمله ما ليس في وسعه، وأن يعفو عنه- إلى آخر السورة"[3]

---

(١) السيوطي، جلال الدين، **تناسق الدرر في تناسب السور**، (ص٦٥).

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**، (٣٢/١).

(٣) البقاعي، **نظم الدرر**، (٥٥٦/١).

ولقد جاء التنويه النبوي بشأن الفاتحة وخواتيم سورة البقرة معاً، وفي وقت واحد، وبأسلوب واحد[1]، حيث جرى وصفهما بالنورين، وبشّر قارئهما بأن يستجاب له كل حرف يقرؤه، وذلك فيما روى ابن عباس،رضي ا عنهما، أنه قال:(بينما جبريل قاعد عند النبي صلى ا عليه وسلم، سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك :فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)[2].

٢) **تفصيل العبادة والاستعانة:** لئن ورد في الفاتحة:﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾؛ فقد دعا الناس في سورة البقرة إلى عبادته وحده:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [٢١]، ونفى الريب عما أنزل على عبده في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ ﴾، ليحثهم على اتباع الوحي عبادة ، خلاف عبده المكرم، لأنه أول العابدين. فما كان، عليه الصلاة والسلام، وحاشاه، ليأمرهم بأمر ثم يخالفهم إلى غيره. ثم أكد هذا المعنى في آخر البقرة، بقوله: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، قبل الحديث عن إيمان المؤمنين، ثم هو وهم، جميعاً، يقولون: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وكذلك فقد تضمنت سورة البقرة تفصيل العبادات سواء منها ما تعلق بأركان الإسلام والعمرة وأحكام الطهارة والمعاملات المالية والجهاد والطلاق وغيرها.

وقد ورد في السورة عدد من الأدعية على ألسنة الذين أنعم ا عليهم، والدعاء هو العبادة، وهو طلب للعون، فضلاً عن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾ .

٣) **تفصيل الحديث عن الذين أنعم ا عليهم:** سورة الفاتحة تحدثت عن الذين أنعم ا عليهم وصراطهم المستقيم، وسورة البقرة فصلت ذلك فتحدثت عن أوصافهم وأسمائهم وصالح فعالهم، بدءاً من آدم عليه السلام،

(١) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص٨١).

(٢) **صحيح مسلم** : كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٨٠٦).

فموسى، ثم إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب، وكذلك طالوت وداود والنبي الذي لم يذكر اسمه في القصة ومن معهم من المجاهدين، ثم العزير، و يتخلل ذلك حديث طويل عن محمد وصحبه أو لهم تربية وإعداداً.

ويظهر في سورة الفاتحة شوق وحنين، من المؤمنين إلى الانتظام في سلك من أنعم ا عليهم، وسورة البقرة تحمل إليهم البشرى بإتمام النعمة عليهم[1]: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [البقرة].

٤) **تفصيل الحديث عن المغضوب عليهم:** ذكر السيوطي أن الحديث والإجماع على تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى. وقد ذكروا في الفاتحة على حسب ترتيبهم في الزمان؛ فعقب بسورة البقرة، وجميع ما فيها من خطاب أهل الكتاب لليهود خاصة، وما وقع من ذكر النصارى لم يقع بذكر الخطاب، ثم بسورة آل عمران، وأكثر ما فيها من خطاب أهل الكتاب للنصارى[2]. ويعد الحديث عن بني إسرائيل أحد أبرز محاور سورة البقرة.

٥) وكما ختمت سورة الفاتحة بالدعاء للمؤمنين بألا يسلك بهم طريق المغضوب عليهم و الضالين إجمالاً- ختمت سورة البقرة بالدعاء بألا يسلك بهم طريقهم في المؤاخذة بالخطأ والنسيان، وحمل الإصر، وما لا طاقة لهم به تفصيلاً. وقد تضمن آخرها أيضاً الإشارة إلى طريق المغضوب عليهم والضالين بقوله ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴿٢٨٥﴾﴾ ، فتآخت السورتان في المقطع، وذلك من وجوه المناسبة في التتالي والتناسق[3].

٦) **الرحمة في الرسول والرسالة:** في الفاتحة قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ ، حيث جاءت فاصلة(الرحيم) أول فاصلة في الفاتحة وفي القرآن جميعه، وعادت في الآية الثالثة من الفاتحة، أما في سورة البقرة فقد جاءت فاصلة (الرحيم) اثنتي عشرة مرة.

وقد اقترن اسم الرحمن بتعليم القرآن وخلق الإنسان وتعليمه البيان، وفي مطلع سورة البقرة حديث عن الكتاب، وخطاب للرسول عن المتقين الذين يؤمنون بما أنزل إليه، وهو الرحمة للعالمين، وكذلك قصة خلق الإنسان

---

(١) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص٨٢).

(٢) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص٦٨).

(٣) السيوطي، **السابق**، (ص٧٠).

وتعليمه الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة، واختصاصه بالخلافة، ثم عن شهر رمضان الذي أنـزل فيـه القرآن.

٧) الآخرة: جاء في سورة الفاتحة أن ا تعالى هو﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ ، وفي سورة البقرة تركيز كبير على موضوع البعث والآخرة بأكثر من طريقة، بدءاً من وصف المتقين في مطلعهـا ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾ ،وتهديـد الذين كفروا بعذاب عظيم، والنار التي وقودها الناس والحجارة، ثم تبشير المؤمنين بالجنات، مراراً في السورة. ويتصل بكون ا تعالى مالك يوم الدين وملكه أن لا ظلم في ذلك اليوم، وأن رحمة ا تعالى تسبق عذابه، حيث جاءت آية ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ ، عقب آية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ ، وفي سورة البقرة آيات عديدة أنه لا ظلم يوم القيامة، وكذا عن عظم ثواب ا سبحانه في مثل قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١ ﴾ ، وغيره.

المطلب الثاني: الصلاة

١) العهد مع ا : لا تقبل الصلاة بغير الفاتحة، بل الفاتحة هي الصلاة، كما في الحـديث القدسـي:(قـسمت الصلاة بين وبين عبدي ولعبدي ما سأل)[1]، وهي بذلك عهد بين العبد وبين ربه، إذ يتعهد المـؤمن بـأن يوحد ا سبحانه بالعبادة ويخصه بالاستعانة؛ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ ، وما دامت سـورة الفاتحـة سورة عهد وميثاق، فإن سورة البقرة تذكير بذلكم العهد والميثاق، وتقريع لمن ينقضونه، ولعل هذا هو السر في تكرار ذكر العهد والميثاق في السورة[2]، في مثل الآيات الكريمة:

- ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٢٧ ﴾.
- ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ ﴾.
- ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨٠ ﴾.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، رقم (٣٩٥).

(٢) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص٨٠-٨١)، بتصرف.

- ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ٨٣ ﴾.
- ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٨٤ ﴾.
- ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٠ ﴾.

٢) **الفاتحة هي الصلاة وفي البقرة إقامتها**: فأول عبادة وردت في سورة البقرة هي الصلاة: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ ، والصلاة عمود الدين أو كأنها هي الدين؛ بدلالة قوله: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧ ﴾ [هود:٨٧]، ومعنى إقامة الصلاة: جعلها كأنها قائمة بفعلها[1]، بمعنى الموجهة الآمرة الناهية، وقد سبقت الآية التي تبين أن الصلاة (تأمر)، وفي آية أخرى أن الصلاة القائمة (تنهى): ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وسورة البقرة تحدثت عن الصلاة في غير موضع، وفيها أركان الإيمان والإسلام، وهي أكثر السور في الأحكام الشرعية، وأمهات الأخلاق.

٣) عند سدرة المنتهى: روى ابن مسعود رضي الله عنه: (لما أُسري برسول الله ﷺ انْتُهي به إلى سدرة الْمنْتَهى، وهي في السماء السادسة إِلَيها ينْتَهي ما يعرج به من الأَرض فَيقْبض منْها وإِلَيها ينْتَهي ما يهبطُ به من فَوقها فَيقْبض منْها، قَالَ إِذْ يغْشَى السدرةَ ما يغْشَى، قَالَ فَراشٌ من ذَهبٍ، قَالَ فَأُعطي رسولُ الله ﷺ ثَلاثًا أُعطي الصلَوات الْخَمس وأُعطي خَواتيم سورة الْبقَرة وغُفر لمن لم يشْرِك بِالله من أُمته شَيئًا الْمقْحماتُ)[2].

لا شك أن كونها تتنزل ليلة الإسراء عند سدرة المنتهى، مقترنة بالصلوات الخمس، يجعل لها أهمية مقاربة لأهمية الصلوات الخمس، ما يعزز الذي ورد سابقاً، وكذلك فإن هذه الأمور الثلاثة التي أُعطيها الرسول ﷺ هي من جهة منحة عظيمة، لكونها عطاء، ولكونها عند سدرة المنتهى، ولكونها ليلة الإسراء.

(١) البقاعي، **نظم الدرر**، (٥/٦).
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، رقم(١٧٣).

إن خاتمة السورة عادة تمثل ملخصها والهدف المراد منها، وحيث إن خواتيم البقرة تتـضمن إيمـان الرسـول والمؤمنين، واستجابتهم لأمر ا ، وكون التكليف الإلهي ضمن الوسع وأدعية المؤمنين ربهم أن ينصرهم علـى القوم الكافرين، وكأن نزولها ليلة الإسراء تهيئة نفسية للتكليف القادم، والصلاة له خير زاد، وهذا التكليف بمثابة إقام الصلاة إي إقامة الدين، وما دام المقصود بهذه التكاليف هم البشر أبناء آدم فمن الطبيعي أن يخطئوا، لكـن رحمة ا تتداركهم بالمغفرة كيلا ييأسوا من صلاح أنفسهم وقدرتهم على الإصلاح، ولا شك أن خطيئة آدم التي في أول البقرة نموذج في ذلك إذ بعدها كانت سكنى الأرض للخلافة فيها، وفي السورة أيضاً خطايا بني إسرائيل ودعوتهم إلى التوبة وسؤال ا تعالى أن يحط عنهم خطاياهم، حيث كانت مصيبتهم الكبرى في عبادتهم العجـل وإشراكهم با ، وقد جاء في السورة خطاب الناس أن يعبدوا ا وحده ولا يتخذوا من دونه أنداداً، الأمر الـذي ينسجم مع مغفرة الذنوب لمن لا يشرك با شيئاً.

المطلب الثالث: الخلافة بين سورة الحمد والتسبيح بالحمد: جاء في رد الملائكة حين أخبرهم ا تعـالى أنـه جاعل في الأرض خليفـة :﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]، ومعنى كلامهم، أن الخلافة تقتضي التقديس تعالى والتسبيح بحمده، والملائكـة يفعلون ذلك فهم أولى بالخلافة.

والرد الإلهي عليهم لم ينف معنى الخلافة الذي فهموه، بل أظهر لهم تفوق آدم عليهم وتميز خصائصه عـنهم؛ وهذا يستدعي التمعن في معاني التسبيح والتقديس.

الذي يظهر أن التسبيح أقرب ما يكون إلى الإيمان والاعتقاد، بينما التقديس يـشير إلـى الإسـلام والطاعـة؛ فالتسبيح: هو تنزيه ا تعالى عن كل نقص؛ وحين يخصص الملائكة التسبيح بأنه تسبيح بالحمد؛ فـذلك يعنـي "أننا نبرئك عن صفات النقص حال إثباتنا لك صفات الكمال"[1]، وهذا هو الجانب الاعتقادي الإيماني في الدين. وأما التقديس فمعناه: التطهير؛ تطهير النفس وتطهير الواقع الخارجي، ومعنى نقدس لك:" أي نطهر كـل شـيء نقدر عليه من نفوسنا وغيرها"[2]، وهل يصلح السلوك إلا بصلاح التصور؟ وهل يكون العمل الصالح إلا تاليـاً للإيمان ومقترناً به؟، لقد ورد في القرآن وصف الأمكنة بالتقديس، (بالواد المقدس)، (الأرض المقدسة)، وجاء

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر**، (٨٨/١).

(٢) البقاعي، **نظم الدرر**، (٨٨/١).

في السنة الحديث عن تقديس الناس، (كيف يقدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها)[1]، والمعنى واحـد لأن تقديس المكان يحصل بتطهيره من غلبة الأشرار، وتقديس الناس بتزكيتهم أو بإظهار خيارهم. وقد ورد اسم الله تعالى "القدوس" مرتين تالياً لاسمه سبحانه الملك، (الملك القدوس)، ما يشير إلى علاقة التقـديس بالملـك، فـي سورتي الحشر والجمعة، وأولاهما تتحدث عن جلاء بني النضير، ومعنى التقديس هنا واضـح، وأمـا سـورة الجمعة فتتحدث عن بعث محمد ﷺ، في الأميين، ليتلو عليهم آياته، ويعلمهم الكتاب والحكمة، و"يزكيهم"، فـضلاً عن اتصال يوم الجمعة بخلق آدم وإسكانه الأرض واستخلافه فيها، لما رواه مسلم عن أبي هريـرة قـال: قـال رسول الله ﷺ: (خير يوم طلعت فيه الشمس: يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة) [٢].

وعودة إلى التناسب بين البقرة والفاتحة في هذا الجانب ؛ حيث نستنتج أن الركن الأول في الخلافة هو التـسبيح بالحمد: أي التسبيح المتلبس به. وكتاب الخلافة ـ كما نعلم ـ هو القرآن، وسورة الحمد هي فاتحة القرآن، وأم الكتاب، وأوله؛ والكتاب يقرأ من عنوانه ـ كما يقال ـ فكأن موضوع الخلافة، وأساسها، وركنها الركين: هـو الحمد.

الفاتحة اسمها الحمد، وحامل الرسالة هو محمد ﷺ، وهو حامل لواء الحمد يوم القيامة، على ما روى أبو سعيد الخدري أن الرسولﷺ قال(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد) [٣]، وهو الذي بشر بـه عيسى عليه الـسلام:﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[الصف:٦]؛ و"أحمد" على وزن صيغة التفضيل، أي أكثر حمداً. ولعل هذا هو السبب في توقـف الخلافة في بني إسرائيل وانتقالها إلى محمد ﷺ، وأمته. حيث توقف فيهم تنزيه الله تعالى وحمده، إذ لا بد لتحمل ثقل الخلافة، من أمة مميزة في تسبيحها، وحمدها لله تعالى.

(١) الألباني، **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، رقم: (٤٥٩).

(٢) صحيح مسلم، رقم: (٨٥٤).

(٣) رواه **الترمذي** في كتاب التفسير رقم(٤٧٦٥)، **وأحمد** في مسند ابن عباس رقم (٢٤٢٥)، **والدارمي**، (٢٧/١)، الألباني، **صحيح الجامع**، رقم (١٤٦٨).

المبحث الثاني
التناسب بين البقرة وآل عمران

سورة آل عمران هي الثالثة في المصحف بعد سورتي الفاتحة والبقرة، حيث تشترك معها في فاتحتها، وكونهما من الطوال، وقد وصفهما الرسول ﷺ بالزهراوين، وينطبق عليهما القاعدة القرآنية من تفصيل كل سورة لإجمال ما في السورة قبلها، من جهة، وإشارة اللاحقة لما ورد تفصيله في سابقتها من جهة أخرى، قال البقاعي: وكما وقعت إلاحة في سورة البقرة لما وقع الإفصاح به في سورة آل عمران؛ كذلك وقع في آل عمران من نحو ما وقع تفصيله في سورة البقرة، ليصير منزلاً واحداً بما أفصح مضمون كل سورة بإلاحة الأخرى، فلذلك هما غمامتان وغيايتان على قارئهما يوم القيامة لا تفترقان[1].

والنظرة الفاحصة المتأملة في السورتين الكريمتين، تشعر بأنهما شقيقتان أو توأمان؛ وذلك لما يوجد بينهما من تشابه وتقارب عجيبين، وقد نبهنا القرآن ذاته إلى هذه الظاهرة بنظم آياته، حيث تكرر في السورتين عدد من الآيات المتشابهة إلى حد كبير[2].

ومن أبرز وجوه المناسبة بين السورتين الكريمتين:

المطلب الأول: التناسب بين فاتحتي السورتين:

١) السورتان متشابهتان في غرتيهما، كما ذكر أسعد سبحاني حيث افتتحت كلتاهما بقوله تعالى:﴿ الٓمٓ ①﴾ ، كما بدأت كل واحدة منهما بالتنويه بشأن القرآن والإشادة بذكره، ثم ما أنزل إلى الرسول وما أنزل من قبله، حيث قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ②﴾ [البقرة]، وقال:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ④﴾ [البقرة]، وقال في آل عمران: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ③ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ ④﴾.

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر**،(٥/٢).

(٢) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص٦٣٩).

وهذا التشابه في المطلع والعنوان لا يدل إلا على التشابه فيما وراءه من المعنى والموضوع؛ والأمر في الواقـع هكذا، فإن الموضوع في كلتا السورتين جد متقارب حيث إن الأولى دعوة إلى الإيمان بالقرآن والتمسك به، كما أن الثانية دعوة إلى اتباع الرسول والمسارعة إلى أوامره وما جاء به من عند ربه.

على هذا، فهاتان السورتان جاءتا على نمـط قولـه تعـالى:﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران]؛ حيث إن الأولى تشبه قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ ﴾ لكونها دعوة إلى الإيمان بما أنزل ا تبارك وتعالى، والثانية تشبه قوله: ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ ﴾، لكونها دعوة إلى اتباع رسـول ا صلوات ا عليه وسلامه.

ثم إن هذين الأمرين يلتقيان في واجب الأمر بالإيفاء بالعهد، حيث إن بني إسرائيل قد أُخذ منهم العهد على لسان رسلهم أن يؤمنوا بهذا القرآن، كما أُخذ منهم العهد أن يؤمنوا بهذا الرسول، عليه الصلاة والسلام.

وقد ذكر هذان العهدان في هاتين السورتين عدة مرات؛ فالسورة الأولى دعوة إلى أن يوفوا بعهدهم الأول، كمـا أن الثانية دعوة إلى أن يوفوا بعهدهم الثاني"[(١)] .

٢) إن " كلا منهما بدئ بذكر الكتاب وشأن الناس في الاهتداء به؛ ففي السورة الأولى ذكر أصناف الناس مـن يؤمن به ومن لا يؤمن؛ والمناسب في ذلك التقديم لأنه كلام في أصل الدعوة، وفي الثانية ذكر الزائغين الـذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، والراسخين في العلم الذين يؤمنون بمحكمه ومتشابهه ويقولون كل من عند ربنا، والمناسب فيه التأخير لأنه فيما وقع بعد انتشار الدعوة"[(٢)].

٣) وصف الكتاب في أول البقرة بأنه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[الآية:٢]، وقال فـي آل عمـران:﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الآية:٣]، وذلك بسط وإطناب لنفي الريب عنه.

وجاء في البقرة إنزال الكتاب مجملاً، وقسمه في آل عمران إلى آيات محكمات، ومتشابهات.

---

(١) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص ٦٤١، ٦٤٢).

(٢) رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم/المنار**، (١٥٣/٣).

وقد ذكر في البقرة:﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ۝٤﴾، وقال فـي آل عمـران:﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ [الآيتان:٣، ٤]، مفصلاً. وصرح بذكر الإنجيل في آل عمران؛ لأن السورة خطاب للنصارى، ولم يقع التصريح به في سورة البقرة بطولها، وإنما صرح فيها بذكر التوراة خاصة؛ لأنها خطاب لليهود[1].

المطلب الثاني: التناسب بين فاتحة آل عمران وخاتمة البقرة:

١) قال في البحر المحيط:" ومناسبة هذه السورة لما قبلها واضحة لأنه لما ذكـر آخـر البقـرة ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٨٦﴾ [البقرة]، ناسب أن يذكر نصره تعالى على الكافرين، حيث ناظرهم رسول ا ﷺ، ورد عليهم بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة، فقص تعالى أحوالهم ورد عليهم في اعتقـادهم، وذكـر تنزيهه تعالى عما يقولون، وبداءة خلق مريم وابنها المسيح إلى آخر ما ورد عليهم، ولما كان مفتتح آيـة آخـر البقرة﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، فكان في ذلك الإيمان با وبالكتـب، ناسـب ذكـر أوصاف ا تعالى، وذكر ما أنزل على رسوله، وذكر المنزل على غيره ﷺ" [2] .

٢) إن سورة البقرة ختمت بدعاء النصر على الكـافرين: ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٨٦﴾ [البقرة]؛ فجاءت سورة آل عمران تتوعد الكافرين من أول أمرها وجاءت تبشرهم بالهزيمة وسوء العاقبـة﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝١٢﴾[3].

٣) ولئن ختمت البقرة بدعاء المؤمنين أن ينصرهم على القوم الكافرين ، فقد بدئت آل عمران ب:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ ، تطميناً للمؤمنين أن ا تعالى مولاهم وناصرهم، وهو نعم المولى ونعم النصير.

المطلب الثالث: التناسب بين خاتمتي السورتين: إن هاتين السورتين متشابهتان في خاتمتيهما أيضاً كما أنهمـا متشابهتان في فاتحتيهما، حيث إن الخاتمتين كلتيهما مدح وثناء لصحابة رسول ا ﷺ، وتشتملان علـى أدعيـة حارة ضارعة من المؤمنين واستجابة عجيبة سريعة من ا [4].

---

(١) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص٧٠-٧١)، بتصرف.

(٢) أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**،(٩/٣).

(٣) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص٦٤٢).

(٤) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص٦٤٢).

فالدعاء في الأولى يناسب بدء الدين لأن معظمه فيما يتعلق بالتكليف وطلب النـصر علـى جاحـدي الـدعوة ومحاربي أهلها، وفي الثانية يناسب ما بعد ذلك لأنه يتضمن الكلام في قبول الدعوة وطلب الجزاء عليـه فـي الآخرة[1].

وكذلك فإن خاتمة البقرة فيها سؤال الله تعالى النصر على الكافرين، فجاءت خاتمة آل عمران تبين سبيل النصر والفلاح بالصبر والمصابرة والمرابطة وتقوى الله تعالى.

المطلب الرابع:تناسب الاتحاد والتلاحم بين السورتين(التوأمة): قرن النبي ﷺ بين سورتي البقرة وآل عمـران في بعض أحاديثه الشريفة؛ حيث وصفهما بالزهراوين، وأنه يؤتى بالقرآن، وأهله الذين كانوا يعملون بـه فـي الدنيا؛ تقدمهم سورة البقرة وسورة آل عمران كأنهما غمامتان أو غيابتان أو كأنهما ظلتان سوداوان أو كأنهمـا فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما. ومثل هذا الحديث، ينوه بأهمية السورتين الكريمتين، ويجمعهمـا في سياق واحد، ويصورهما كأنهما توأمان إذ تؤديان، في تكامل، ذات المهمة.

وقد ذكر السيوطي في تناسق الدرر أن بين سورة آل عمران وسورة البقرة اتحاداً وتلاحماً متأكدا؛ لأن البقـرة بمنزلة إزالة الشبهة، ولهذا تكرر في آل عمران ما يتعلق بالمقصود الذي هو بيان حقيقة الكتاب: مـن إنـزال الكتاب، وتصديقه للكتب قبله، والهدى إلى الصراط المستقيم[2].

١) ولذلك أيضاً، كما يتابع السيوطي، ذكر في آل عمران ما هو تال لما ذكر في البقرة، أو لازم له؛ فذكر في البقرة خلق الناس، وذكر في آل عمران تصويرهم في الأرحام، وذكر هناك مبدأ خلق آدم، وذكر هنا مبدأ خلق أولاده؛ وألطف من ذلك: أنه افتتح البقرة بقصة آدم حيث خلقه من غير أب ولا أم، وذكر في هذه نظيـره فـي الخلق من غير أب؛ ولذلك ضرب له المثل بآدم[3].

٢) واختصت البقرة بآدم؛ لأنها أول السور، وآدم أول في الوجود وسابق، ولأنها الأصل، وهذه كالفرع والتتمة لها؛ فمختصة بالإعراب والبيان.

ولأنها خطاب لليهود الذين قالوا في مريم ما قالوا، وأنكروا وجود ولد بلا أب؛ ففوتحوا بقصة آدم لتثبـت فـي أذهانهم، فلا تأتي قصة عيسى إلا وقد ذُكر عندهم ما يشبهها من جنسها.

---

(١) رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم/المنار**، (١٥٣/٣).

(٢) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص٧٣).

(٣) السيوطي، **السابق**، (ص٧٣).

ولأن قصة عيسى قيست على قصة آدم، في قوله: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾[آل عمران:٥٩]، والمقيس عليـه لا بـد أن يكون معلوماً؛ لتتم الحجة بالقياس ، فكانت قصة آدم والسورة التي هي فيها جديرة بالتقدم[1].

٣) ويتابع السيوطي: " وأمر آخر استقرأته هو: أنه إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد ، فـإن الـسورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لفاتحة الأولى للدلالة على الاتحاد ،وآخر آل عمران مناسب لأول البقـرة؛ فإنهـا افتتحت بذكر المتقين، وأنهم المفلحون، وختمـت آل عمـران بقولـه: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران].

وافتتحت البقرة بقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الآية:٤]، وختمت آل عمران بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾[2][الآية:١٩٩].

٤) ومن وجوه تلازم السورتين: أنه قال في البقرة في صفة النار:﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝٢٤﴾ ، ولم يقل في الجنة : أعدت للمتقين ، مع افتتاحها بذكر المتقين والكافرين معاً ، وقال ذلك في آخر آل عمران: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ ؛ فكأن السورتين بمنزلة سورة واحدة "[3].

٥) ومن وجوه التلازم بين السورتين أنه قد ورد في سورة البقرة دعاء إبراهيم وإسـماعيل عليهمـا الـصلاة والـ ـ ـسلام ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾، وفي سورة آل عمران استجابة دعائهما، حيث يمن ا تعالى على المؤمنين ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾[4].

٦) ويذكر أسد سبحاني، أن سورة البقرة تذكر تاريخ بني إسرائيل إلى عهد سيدنا موسى، - قلت: وطرفاً مـن تاريخهم زمن داود - ثم تجيء سورة آل عمران لتكمل هذه السلسلة وتقص علينا أنباء آل عمران[5]،

---

(١) السيوطي، **السابق**، (ص ٧٣ -٧٤).
(٢) السيوطي، **السابق**، (ص٧٤).
(٣) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص٧٤).
(٤) السيوطي، **السابق**، (ص٧٥).
(٥) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص٦٤٢).

٧) وكذلك فإن كلاً من سورتي البقرة وآل عمران، قد حاج أهل الكتاب؛ ولكن الأولى قد أفاضت في محاجة اليهود، واختصرت في محاجة النصارى، والثانية بالعكس، والنصارى متأخرون عن اليهود، في الوجود وفي الخطاب بالدعوة إلى الإسلام[(١)]. وهذه النقطة تذكر بما لفت إليه البقاعي من أن العديد من الموضوعات في السورتين يأتي مفصلاً في إحداهما، ومجملاً في الثانية، أو العكس.

٨) لقد وردت صفات المتقين في البقرة وآل عمران، لكن" كل سورة من السورتين الكريمتين ذكر فيها من صفات المتقين ما يتناسب مع السياق ويلائم الموضوع؛ ففي سورة البقرة كان التركيز على قضايا العقيدة: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾، كما كان التركيز على إقامة الصلاة كذلك، أما في سورة آل عمران فقد ذُكرت الآيات في سياق غزوة أحد التي كانت فيها دروس كثيرة للمسلمين فذكر فيها الإنفاق في السراء والضراء، وذلك لحاجة المجاهدين إليه، وذكر فيها كظم الغيظ والعفو عن الناس، ذلك لأن المسلمين أصيبوا في أحد"[(٢)].

٩) إن سورة البقرة كانت مرحلة إعداد وتربية للجهاد، وكانت مرحلة حث وتحريض عليه في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠ ﴾، وقوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٢١٦ ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٤٤ ﴾.

ثم جاءت آل عمران لتنتقل بهؤلاء المؤمنين من مرحلة الإعداد والتربية إلى مرحلة التطبيق والتنفيذ، فدخلت بهم في معركة فاصلة بين الإسلام والكفر ثم تناولت أحداث تلك المعركة بالتفصيل ليكون ذلك إعداداً لما سيتبعها من المعارك[(٣)].

لقد جاءت سورة البقرة والمسلمون يعانون من ضعف ويتهيأون لبدر، بينما سورة آل عمران جاءت بعد الذي أصاب المسلمين في أحد، وكلتا السورتين تضمنت دعاء المؤمنين أن ينصرهم على القوم الكافرين، أحدهما في استقبال معركة تودع الاستضعاف وتستقبل التمكين: قصة طالوت الشبيهة ببدر، والثانية قول الأنبياء والربيين

---

(١) رضا محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم/المنار**، (١٥٣/٣).

(٢) عباس، فضل حسن، **خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة**،(ص٤٣)، دار الفرقان، عمان، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) سبحاني، **البرهان في نظم القرآن**، (ص٦٤٣).

الذين معهم عقب الذي أصابهم في سبيل ا فما وهنوا لما أصابهم في سبيل ا وما ضعفوا وما استكانوا، كحال الصحابة في أحد خاطبهم القرآن ألا يهنوا ولا يحزنوا، وأشاد بهم أنهم استجابوا   والرسول من بعد ما أصابهم القرح.

١٠) قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾، وقال في سـورة آل عمـران: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

الملاحظة الأولى أن الموضوع جاء في سورة البقرة مجملاً وفي آل عمران مفصلاً، وذاك يتناسب مع الواقـع الذي تعالجه كل سورة؛ فإن البقرة التي كانت تعد للجهاد، أشارت إلى إمكانية وقوع قتلى لتهيئهم للمصيبة قبـل وقوعها، وعلمتهم الاسترجاع في نفس السياق، وعبرت عن ذلك بالفعل المضارع الذي يفيد هنا الاسـتقبال وإن أفاد التكرار أيضاً، وقد تُليت الآية بقوله سبحانه: (ولنبلونكم بشيء من الجوع والخـوف...) [البقـرة: ١٥٥]، لكن سورة آل عمران تحدثت عن القتل بصيغة الماضي الذي حدث؛ لأنها جاءت عقب أحد، وقد جاء التفـصيل الذي في آل عمران منسجما مع واقع المصيبة الذي يحتاج إلى تسلية وتسرية، بينما كان يكفـي عنـد التهيئـة والإعداد مجرد الإشارة، وفي التفصيل ترسيخ حقيقة حياة الشهداء، من خلال تصوير مشاهد حية لتناول الرزق والفرح بفضل ا ، وما دام الشهداء على هذه الحال من الفرح فما بال الذين من ورائهم يحزنون عليهم وما لهـم لا يسعون للحاق بهم بدلاً من الحزن والوهن والاستكانة؟ والحديث عن الاستبشار بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم لشحذ هممهم. والملاحظة الثانية أن الخطاب في آل عمران للرسول عليه الصلاة والسلام، بينما كان الخطـاب في البقرة موجهاً لجماعة المؤمنين بمن فيهم الرسول لأن شدة المصيبة تؤثر حتى في القيادة مهما علت منزلتها، فضلاً عن أن ذلك يتناسب مع جو كل من السورتين الكريمتين؛ حيث تقدم في البقرة الحديث عن المتقـين قبـل مخاطبة الرسول: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾، وفي آل عمران تقدم خطاب الرسـول على ذكر جميع الناس: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾.

١١) ومن الأوجه أن البقرة ضرورية للجانب المادي في الخلافة، بينما تكمن أهمية آل عمران، ونظرائهم من حملة الوحي الإلهي، في الجانب الديني لهذه الخلافة، وقد عبد اليهود العجل من جنس البقر، فيما عبد النصارى من آل عمران المسيح وأمه عليهما السلام.

ولئن رأى العابدون إحياء الميت على يد عيسى عليه السلام ؛ فقد أكد أن ذلك وغيره كان بإذن ا وليس بقدرة عيسى. وكذلك إحياء قتيل بني إسرائيل، مع أنه كان بضربه ببعض البقرة؛ فإن ذلك لم يكن بقدرتها، بل بقدرة ا تعالى؛ ولذلك عقب بقوله: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [البقرة]، وقد أبطل في البقرة عبادة العجل إذ أمكن من أمه بالذبح، وأبطل في آل عمران تأليه عيسى وأمه، إذ عرض ولادة كل منهما، والمولود لا يكون إلهاً.

المطلب الخامس: تناسب الإجمال والتفصيل بين السورتين:

يطرد في السورة المتجاورة، أن يأتي في الأولى موضوع مجملاً، فتفصله التالية، أو يأتي مفصلاً فتشير إلى التالية مجرد إشارة، ومن ذلك:

١) موضوع آل عمران، كما يظهر من بدايتها، هو:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ ، وهو تفصيل آية الكرسي [البقرة:٢٥٥]، التي هي أعظم آية في سورة البقرة، وفي القرآن الكريم جميعه، ومقتضى كونه تعالى الحي القيوم أنه لا يستحق العبادة سواه، ولأجل تحصين المسلمين أن يقعوا فيما وقع فيه قوم عيسى عليه السلام، فقد جاء قوله تعالى﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران]، علماً بأن قوم عيسى قد انقلبوا على أعقابهم بعد وفاته، وكان هذا الانقلاب بنسيان كونه بشرا رسولا وادعاء ألوهيته، ولذلك جاءت الآية تؤكد في صيغة الحصر أن محمداً ليس سوى رسول مثل إخوانه الذين خلوا بالوفاة ومن الطبيعي أن يلحق بهم، وكانت لفتة حكيمة من أبي بكر يوم وفاة الرسول أن يتلو هذه الآية الكريمة، مذكراً المؤمنين أن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد ا فإن ا حي لا يموت[1].

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، رقم(١٤٥٤)، وكتاب الجنائز، رقم(١٢٤٢).

٢) ومما أجمل في سورة البقرة وفصل في سورة آل عمران، بحسب السيوطي: أنه قال في البقرة :﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾ [الآية :٢٤٧]، وقال في آل عمـران : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران :٢٦]، فـزاد إطنابـاً وتفصيلاً[1].

٣) وأنه حذر من الربا في البقرة، ولم يزد على لفظ الربا إيجازاً، وزاد في آل عمران ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾، وأنه قال في البقـرة : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ ﴾[٩٦]؛ وذلـك إنما يدل على الوجوب إجمالاً ، وفصله في آل عمران بقولـه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ [٩٧]، وزاد بيـان شرط الوجوب بقوله :﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ [آل عمران:٩٧] ، ثم زاد تكفير من جحد وجوبه بقولـه: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾، والحقيقة أننا إذا اعتبرنا أن بين موضوعي الحج والربا في البقرة وآل عمران، إجمالاً وتفصيلاً، فالأصوب اعتبار ما في البقرة هو التفصيل، والذي في آل عمران إجمالاً له وإشارةً إليـه، لا كما ذكر السيوطي؛ لطولهما في البقرة، وقصرهما في آل عمران[2].

٤) أنه قال فـي البقـرة : ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [البقرة]. فدل بها على تفضيل هذه الأمة على اليهود تعريضاً لا تصريحاً. وكذلك قولـه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾[البقرة:١٤٣]، في تفضيل هذه الأمة على سائر الأمم، بلفظ فيه يسير إبهام؛ وأتـى فـي آل عمـران بصريح البيان فقال: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾، فقوله: ﴿ كنتم ﴾ أصرح في قدم ذلك من ﴿جعلناكم ﴾، ثـم زاد وجه الخيرية بقوله:﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ١١٠][3].

٥) أنه قال في البقرة: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ ﴾ [الآية:١٨٨]، وبسط الوعيـد في آل عمران بقولـه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [الآيـة:٧٧]،

---

(١) السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص٧١).
(٢) السيوطي، **السابق**، (ص٧١).
(٣) السيوطي، **السابق**، (ص٧٢).

وصدره بقولـه: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ ﴾ ﴿ آل عمران :75] [1].

٦) إن سورة البقرة تفصل سمات المنافقين وملامحهم وتفصل مواقفهم وتصرفاتهم، من غير أن تصمهم بالنفاق أو من غير أن تطلق عليهم لفظ (النفاق)، بخلاف سورة آل عمران فإنها تكشف عنهم القناع وتعريهم وتـصمهم بهـذه الرذيلـة :﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾[آل عمـران: ١٦٦-١٦٧] [2].

٧) إن الصراع العقائدي الذي شهدناه في سورة البقرة قد احتد واشتد في هذه السورة، ولذلك نرى هذه السورة يغلبها جو الحجاج واللجاج، كما مر معنا آنفا.

ولعل هذا هو السر في أن هذه السورة تحث المؤمنين حثا على أن يأمروا بالمعروف وينهوا عـن المنكر،وتعـد ذلك من صميم مهمتهم:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الضمان الوحيد لانتصارهم على العدو، وهو الطريق الوحيـد لسلامته من شر ذلك الصراع العقائدي الذي يهدد كيانهم، ويكاد يمزق شملهم![3].

٨) ذكر الدكتور أسد سبحاني أن سورة البقرة تخاطب جماهير اليهود والنصارى، وتتحدث عنهم، بينما سـورة آل عمران تخاطب علماءهم وأحبارهم وتتحدث عنهم.

ولعل هذا السر في أن هذه السورة يغلبها جو الحجاج واللجاج، كما نرى ذلك واضحا صريحاً في مثـل قولـه تعـالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [آل عمـ ـران]، وقولـ ـه: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا

---

(١) السيوطي، **السابق**، (ص٧٢).

(٢) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص٦٤٣).

(٣) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص٦٤٤- ٦٤٥).

لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ [آل عمران]، وهذا الجـو يخـص هـذه السورة دون سورة البقرة. ولعل السر في ذلك ما سبقت الأشارة إليه[1].

(1) سبحاني، **البرهان في نظام القرآن**، (ص٦٤٤).

المبحث الثالث

التناسب بين سورتي البقرة والفلق

ذكر البقاعي أنه كما التقى آخر كل سورة مع أولها؛ فكذلك التقى آخر القرآن العظيم بأوله، بالنسبة إلى تسع سور من آخر المصحف إلى سورة قريش، مع السور التسع المناظرة لها من أول المصحف حتى سورة براءة، بحيث تتناظر سورة الناس مع الفاتحة، والفلق مع البقرة، والإخلاص مع آل عمران، والمسد مع النساء، والنصر مع المائدة، والكافرون مع الأنعام، والكوثر مع الأعراف، والماعون مع الأنفال، وقريش مع التوبة.

١) **قريش والتوبة**: وكان قد بدأ التنويه بهذه النظرية أو ذاك الاكتشاف، من سورة قريش والتي حاصلها – كما ذكر- المن على قريش بالإعانة على المتجر إيلافاً لهم بالرحلة فيه، والضرب في الأرض بسببه، واختصاصهم بالأمر بعبادة الذي من عليهم بالبيت الحرام وجاب لهم به الأرزاق والأمان، ومن أعظم مقاصد التوبة – المناظرة لهذه بكونها التاسعة من الأول – البراءة من كل مارق، وأن فعل ذلك يكون سبباً للألفة بعدما ظُن أنه سبب الفرقة، وذكر مناقب البيت ومن يصلح لخدمته، والفوز بأمانه ونعمته، والبشارة بالغنى على وجه أعظم من تحصيله بالمتجر، وأبهى وأبهر، وأوفى وأوفر، وأزهى وأزهر، وأجل وأفخر، بقوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ ﴾ [التوبة: ١٧]، وقوله تعالى:﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٢٨]، فعلم بهذا علماً جلياً أنه شرع سبحانه في رد المقطع على المطلع من سورة قريش الذين أكرمهم ا بإنزال القرآن بلسانهم، وأرسل به الرسل إليهم، كما أكرمهم ببناء البيت في شأنهم، وتعظيمه لغناهم وأمانهم[(١)].

وقد تضمن كلامه السابق أن التناسب هو فقط بين السور التسع الأولى والسور التسع الأخيرة من المصحف، وليس بين كل سورة في شطر المصحف الأول مع ما يناظرها من شطره الثاني، وفي السور مما قاله البقاعي أو لم يقله، العديد من أوجه المناسبة ما يشهد لصحة فهمه، وربما كان ثمة مناسبة في كل السور المتناظرة شطري المصحف، أو في عدد إضافي سوى ما ذكره البقاعي، لكن من الواضح أن ثمة شبكات من العلاقات

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر**،(٨/٥٣٧-٥٣٨)، بتصرف.

بين السور كالتي بين أجهزة الإنسان المختلفة بل أوثق، وليس صعباً على من ينظر في نظم الدرر أو الأساس في التفسير، على سبيل المثال، أن يطلع على أوجه متعددة من الترابط والتناسب بين السور لأكثر من اعتبار.

٢) **الإخلاص وآل عمران**: فالإخلاص وهي الثالثة من آخر المصحف، تناظر آل عمران، وهي الثالثة من أوله، والتي سماها البقاعي سورة التوحيد، إذ في كلتيهما الحديث عن التوحيد، والمحاججة لمن ادعى أن تعالى صاحبة وولداً[١]، فقد بدئت سورة الإخلاص بأنه سبحانه الأحد الصمد، كما افتتحت آل عمران ب ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ ،ثم أكدت الإخلاص أنه سبحانه لم يلد ولم يولد، والذي هو من أبرز محاور سورة آل عمران وبالذات قصتها الرئيسة عن ولادة عيسى عليه السلام، واسم القيوم يشترك مع اسم الصمد في استغنائه تعالى عن خلقه وقيامه بذاته، وفي الصمد كذلك معنى أن المخلوقات محتاجة إليه، ومما يناظره في آل عمران قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

٣) **المسد والنساء**: وبالنسبة لسورة النساء- وهي الرابعة من الأول- تأمر الناس أن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾، فيما تكشف نظيرتها المسد - وهي الرابعة من الآخر- عن رجل وامرأة لم يتقيا ا تعالى، ولم يرعيا حق الأرحام، مع أن رحمهما خير رحم؛ وذلك شأن أبي لهب وزوجه، في حربهما ضد النبي ﷺ. ولئن أمرت سورة النساء بالتقوى ورعاية الرحم، فإن المسد قد بينت جزاء المخالف.

وحاصل سورة المسد عند البقاعي، أن أبا لهب قطع رحمه وجار عن قصد السبيل واجتهد بعد ضلاله في إضلال غيره، وظلم الناصح له الرؤوف به، وهو ما يتناسب مع سورة النساء التي يرى أن من أعظم مقاصدها التواصل والتقارب والإحسان لا سيما لذوي الأرحام[٢].

٤) **الكافرون والأنعام**: وحاصل سورة الكافرون عند البقاعي: قطع رجاء أهل الكفران من أن يقاربهم النبي ﷺ في أن يعدل بربه أحداً في زمن من الأزمان، وذلك من أعظم مقاصد سورة الأنعام[٣]، ففي الأنعام الثناء على

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر**، (٥٩٤/٨).

(٢) البقاعي، **السابق**، (٥٧٤/٨).

(٣) البقاعي، **نظم الدرر**، (٨/ ٥٥٧).

ا تعالى خالق السماوات والأرض جاعل الظلمات والنور ومع ذلك فالذين كفروا بـربهم يعـدلون، وسـورة الكافرون موضوعها أولئك الكافرون الذين لم يكتفوا بجريمتهم تلك بل إنهم يحرصون على أن يتابعهم الرسـول الكريم في ذلك، ومن ثم يأتي التأكيد النبوي أنه لن يعبد ما يعبدون، ومما يناظر ذلك في الأنعـام :﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ ، ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾، وإذ قد ختمت سورة الكافرون ب﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ فقد جاء فـي أواخـر الأنعـام﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾، حيث تضمنت الخاتمة وصف دين الإسلام بمـا لا يـصح معه العدول عنه إلى سواه، مع التركيز على الجزاء الذي ينتظر كل طرف، واللافت افتتاح سـورة الكـافرون بكلمة (قل) وتكرر ذلك كثيراً في سورة الأنعام في ذات الموضوع وما يتصل به.

٥) **النصر والمائدة**: والمائدة- الخامسة من الأول - تتحدث عن اكتمال الدين وتمام النعمة، ومثلها النـصر - وهي الخامسة من الآخر - نعت إلى الرسول الكريم نفسه، إذ أخبرته بأن انتصار الدين ودخـول النـاس فيـه أفواجا؛ فذلك علامة اكتمال الدين، وانتهاء مهمة الرسول عليه السلام.

وفي نظم الدرر أن حاصل سورة النصر الإيذان بكمال الدين، ودنو الوفاة لخاتم النبيين، والنصر علـى جميـع الظالمين الطاغين الباغين، وذلك من أعظم مقاصد المائدة، كما يشير إليه قوله تعـالى﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة٣]، وقوله سبحانه ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة: ٥٦] [١].

٦) **الناس والفاتحة**: فسورة الناس وهي الأولى من آخر المصحف، تناظر الفاتحة وهي الأولى من أوله؛ حيث بدئت كلتاهما بالثناء على ا تعالى، ففي الناس الثناء على ا تعالى بأنه رب الناس إله الناس ملك الناس، وفي الفاتحة البدء بالحمد وهو غاية الثناء، لتضمنه بأنه تعالى رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، ولـئن

---

(١) البقاعي، **نظم الدرر**، (٨/ ٥٦٤).

جاء الثناء على الله تعالى تقريراً منه سبحانه، فقد جاء الثناء في سورة الناس مسبوقاً بكلمة قل ليس فقط على أساس الترداد الذاتي ولكن أيضاً باعتبار حمل الرسالة وتبليغ الفكرة.

وحيث تضمنت الفاتحة سؤال الله تعالى الهداية والسلامة من سبيل المغضوب عليهم والضالين فقد جاء في الناس طلب العوذ به سبحانه من الوسواس الخناس، من الجنة كان أم من الناس.

وقد كان حق ما سبق أن يفرد في مطلب مستقل من الفصل الثاني، لكن قصر المادة الموجودة عن التناسب بين الفلق والبقرة، عن أن تشكل مبحثاً مستقلاً في هذا الفصل، والرغبة في تعزيز ما ذهب إليه البقاعي في رد المقطع على المطلع بالنسبة لسور القرآن الكريم، ثم الخلوص منها إلى ما أورده عن التناسب بين سورتي البقرة والفلق، انطلاقاً من أن الأمر مطرد وليس مجرد تعداد لصلات متوهمة بين سورة طويلة وأخرى من القصار، مما دفع الباحث إلى الاستطراد في ذكر النقولات السابقة، ومن ثم جعلها في هذا المبحث عن المناسبة بين سورتي الفلق والبقرة.

٧) **الفلق والبقرة**: وأما التناسب بين سورتي البقرة والفلق- الثانية من الأول ونظيرتها من آخر المصحف، فيقول البقاعي في ختام تفسير سورة الفلق :" وحاصل هذه السورة العظمى، في معناها الأبدع الأسمى - الاستعاذة بالله بذكر اسمه (الرب) المقتضي للإحسان والتربية، بجلب النعم ودفع النقم، من شر ما خلق، ومن شر السحر والحسد؛ كما كان أكثر البقرة، المناظرة لها في رد المقطع على المطلع؛ لكونها ثانية من الأول كما أن هذه ثانية من الآخر، في ذكر أعداء النبي ﷺ الحاسدين له على ما أوتي من النعم، وفي تذكيرهم بما منحهم من النعم التي كفروها. وأكثر ذلك في بني إسرائيل الذين كانوا أشد الناس حسداً له ﷺ، وكان من أعظم ما ضلوا به السحر المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ ﴾ [البقرة:١٠٢]، حتى قال: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ ﴾، إلى أن قال: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة:١٠٩]، وكان السحر من أعظم ما أثر في النبيﷺ، من كيدهم، حتى أُنزل فيه المعوذتان، وكان الساحر له منهم "[1].

ويؤكد صاحب الظلال حسد بني إسرائيل بقوله:" ثم إنهم حسدوا النبي ﷺ حسداً شديداً، حسدوه مرتين: مرة لأن الله اختاره وأنزل عليه الكتاب- وهم لم يكونوا يشكون في صحته- وحسدوه لما لقيه من نجاح سريع شامل في

(١) البقاعي، **نظم الدرر**، (٨/ ٦٠٩، ٦١٠).

محيط المدينة"[1]، وفي السياق ذاته لا ننسى حسد إبليس لآدم وذريته، لما أكرم ا تعالى به آدم مـن المنزلـة، وشرفه بالخلافة.

واستكمالاً لما لفت إليه البقاعي من الربط بين النفاثات في العقد، في سورة الفلق، والسحرة الذين يتعلمـون مـا يفرقون به بين المرء وزوجه ، في سورة البقرة ؛ فإن من الملاحظ التنويه بأهمية العلاقة الزوجية في البقـرة، بدءاً من الخطاب الإلهي لآدم ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، ولم يذكر لزوجه اسـم، مـا يـشي بـأن الزوجين شيء واحد، لا قيام لأحدهما بدون الآخر. ومن جهة ثانية تضمنت سورة البقرة آيات عديـدة لمعالجـة مشكلة الطلاق، بسبب من آثارها الخطيرة على المجتمع، ولأجل تقليص هذه المخاطر إلى الحد الأدنى.

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، (٣٢/١).

المبحث الرابع
مناسبة البقرة لواقع الدعوة

سبق القول بأن سورة البقرة، قد ابتدأ نزولها بعيد هجرة النبي ﷺ، حيث تغير حال المسلمين من جماعة ودعـوة مطاردة مضطهدة ، إلى مجتمع ودولة ذات هيبة ومنعة.

أو بمعنى آخر؛ فإن الله تعالى قد مكن للمؤمنين دينهم الذي ارتضى لهم، وأصبح الرسول ﷺ خليفة الله تعالى في الأرض، ولذلك فقد جاء في بداية السورة، الخطـاب للرسـول ﷺ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة :٣٠]، كأنما ليقول له: إن ربك الذي أنعم عليك ومكنك فجعلك خليفة، قـد خلـق أبـاكم آدم، أصلاً، لهذه المهمة، فأنت ومن معك ومن تبعك، ورثة أبيكم في هذا الاستخلاف؛ وبالتالي فما تقومون به لـيس غريباً ولا مناقضاً لما وجد الإنسان لأجله ابتداء.

إن سورة البقرة هي الموضع الوحيد في القرآن كله الذي تُذكر فيه الخلافة في الأرض، مرتبطة بخلـق آدم " كما يقول الأستاذ محمد قطب ، في سفره القيم :" دراسات قرآنية" ، والذي يتابع قائلاً :" لقد كان ذكر القـصة - يقصد قصة آدم - من قبل يأتي في العهد المكي، والمسلمون مشردون في الأرض، لم يمكّنوا بعـد. والآن تـرد القصة في العهد المدني؛ بعد أن قامت الدولة المسلمة وبدأت تتمكن فـي الأرض. فهـل لـذلك علاقـة بـذكر الاستخلاف في هذا الموضع ؟!(...) فهنا بعد أن استقر المسلمون في الأرض؛ أصبح من المناسب أن يذكر لهم أن أباهم آدم خلق ليكون خليفة في الأرض. وهم - اليوم - هم ورثة الاستخلاف، المطلوب مـنهم: أن يقيمـوا الخلافة الراشدة في الأرض.

" كذلك يذكر هنا - لأول مرة على كثرة ما ذكر من قبل قصة آدم في السور المكية - قصة تعليم آدم الأسـماء كلها: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة:٣١ ـ ٣٣].

" فهل هناك توجيه معين هنا من ذكر هذه القصة في مفتتح سورة المدنية الأولى التي جـاءت لتحـدد سـمات المجتمع الإسلامي ؟

"مرة أخرى نقول : ربما ـ والله أعلم ـ إن هذه الأمة التي بدأ استخلافها في الأرض مقدر لها في علم الله أن تكون هي المهيمنة على حياة البشرية ، فترة مديدة من الزمن . ومقدر لها ـ كذلك ـ أن تكون هي الأمة "العالمة " في الأرض في تلك الفترة من الزمن ، وأن تنشئ الحركة العلمية التي تعيش عليها البشرية قروناً أخرى فيما بعد، فهل لذلك علاقة بذكر تعلم آدم الأسماء كلها ؟! "[1] .

قلت: نعم؛ فقد جاء في دعاء إبراهيم وإسماعيل، عليهما الصلاة والسلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وفي قصة طالوت، قرنت الآية الخاتمة لها، بين إيتاء داود عليه السلام، الملك/ الخلافة ـ والحكمة ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ويقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى عن سورة البقرة :" هذه السورة ، تضم عدة موضوعات ، ولكن المحور الذي يجمعها ،كلها ، محور واحد مزدوج ، يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطاً شديداً ؛ فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها ﷺ وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها، وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى.

وهي من الناحية الأخرى، تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها، وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض. بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها ، ونقضهم لعهد الله بخصوصها ، وتجريدهم شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم ﷺ صاحب الحنيفية الأولى ، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم "[2].

ويؤكد الأستاذ محمد قطب، كلام صاحب الظلال، عن قسمي السورة، فيقول:" القسم الأول من السورة يستغرقه الحديث عن بني إسرائيل، ومن أهم دواعي ذلك سببان رئيسيان؛ أولهما: أن بني إسرائيل هم الأمة التي قامت حياتها على كتاب منزل من عند الله ، ثم ظلوا يبتعدون عن كتابهم تدريجياً، حتى خرجوا منه خروجاً كاملاً في

---

(1) قطب، محمد ، **دراسات قرآنية**، (ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨)، دار الشروق، القاهرة ط ٧، ١٩٩٣م.

(2) قطب، **في ظلال القرآن**، (١ / ٢٨).

النهاية. والمسلمون في بدء إقامة دولتهم ومجتمعهم على أساس من الكتاب المنزل، يوجهون ألا يفعلوا[1]ما فعله بنو إسرائيل من قبل، بل يتمسكوا بكتابهم ويحافظوا[2]عليه لكيلا يحل عليهم غضب ا الذي حل ببني إسرائيل .

" أما السبب الآخر فهو الكيد المستمر من اليهود للدولة الإسلامية الناشئة، ومحاولة تقويضها قبل أن تتمكن فـي الأرض ، بدافع حسدهم لهذه الأمة المهتدية والتواء طبيعتهم عن الاهتداء، كما في قوله سبحانه: ﴿ ما يود الـذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ﴾ البقرة : ١٠٥، وقولـه: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

فكان القرآن يعرف المسلمين بتاريخ بني إسرائيل الماضي كله ليعرفوا عدوهم على حقيقته ليتوقعوا منه الـشر الدائم فيحذروه، ولكيلا يقوم بينهم وبينه أي لون من ألوان الولاء ، إذ كان المنافقون وعلى رأسهم عبـد ا بـن أبي يتخذون من اليهود أنصاراً وأولياء يلقون إليهم بالمودة .

" أما القسم الثاني من السورة فهو موجه إلى المؤمنين : ينظم حياتهم الجديدة بالتنظيمات والتشريعات اللازمة ، ويرد على تساؤلاتهم في حياتهم الجديدة ، ويحدد موقفهم من العدو الثاني؛ وهو المشركون الذين كانوا قد أخـذوا في مناوأة الدولة الجديدة ، ويضع بصفة عامة قواعد الدولة الجديدة، والمجتمع الجديد"[3].

ولئن بالغ بنو إسرائيل في دعوى الانتساب إلى إبراهيم ﷺ، فقد جاءت السورة تبين أن لإبراهيم ولداً نبياً آخـر؛ هو إسماعيل عليه السلام، وقد رفعا معاً قواعد البيت الحرام، وكان من دعائهما المـستجاب: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾، وهذا هو الرسول الـذي طلبه أبوكم إبراهيم ﷺ ، فهل ترضون بما رضي ؟ أم تراكم تفعلون ما فعلتم بأنبيائكم الذين جاءوكم من ذريـة إسحق ويعقوب؟

ثم يذكرهم بالقانون الإلهي الذي لا يحابي أحدا ولا جماعة، كما يظهر في الآيـة الكريمـة ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[البقرة]، وقد عرضت آيات البقرة

---

(١) في المطبوع :" يوجهون ألا يفعلون".

(٢) في المطبوع " يتمسكون .. ويحافظون".

(٣) قطب، محمد، **دراسات قرآنية**، (ص ٢٨٧، ٢٨٨).

مواطن كثيرة لظلم بني إسرائيل، وبالتالي؛ حرمانهم من أن ينالهم عهد ا بإمامة الناس، وتسليم الراية للمتقـين المستقيمين على أمر ا ، محمد ﷺ وصحبه، وأمته.

وما دام الرسولﷺ والمسلمون قد تسلموا الخلافة، فما أحراهم أن يتعرفوا على الواقع الجديـد، وأقـسام النـاس ليكون السير على نور وهداية؛ ولذلك فقد صدرت السورة بالحديث عن أقسام الناس ، حيال هذا الكتاب وحملته. وأكد في البداية على أنه هدى للمتقين، ثم خوطب الرسول الكريم ﷺ بأن الكفار لن يجدي معهـم الإنـذار﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة]، فإن في ذلك تهيئة للمـسلمين أن يـستعدوا للمعركة الحتمية القادمة.

ولا ننسى ختام سورة البقرة حيث يعلّم ا تعالى المؤمنين أن يدعوه قـائلين: ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ ، وهو نفس الدعاء الذي ورد على لسان المؤمنين من جنود طالوت عندما بـرزوا لجـالوت وجنـوده : ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة].

وهذا يعيدنا إلى ما يرويه البخاري في كتاب المغازي عن البراء : قال : كنـا أصـحاب محمـد نتحـدث أن أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت ، الذين جاوزوا معه النهر - ولم يجاوز معه إلا مؤمن - بضعة عشر وثلاثمائة[1].

إن عدة الفئتين لم تكن وجه الشبه الوحيد ، إذ يبدو أن إيراد القصة في أول سورة مدنية، كان تهيئة لأصـحاب محمد ﷺ، كي يستعدوا للمعركة القادمة، متسلحين بالإيمان واثقين بنصر ا تعالى، غير آبهين بفـارق العـدد والعدة؛ و﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقـرة]، وفيهـا توجيـه لاستهداف أئمة الكفر، كما قتل داود جالوت، وهو ما طبقه أصحاب محمد ﷺ؛ إذ تسابق - حتى الفتيان - للنيل من أئمة الكفر وأكابر المجرمين ، وما خبر أبي جهل بخاف ، حيث يروي عبد الرحمن بن عوف (إنـي لفـي الصف يوم بدر إذ التفتّ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن ، فكأني لم آمن بمكانهمـا إذ قـال لـي أحدهما سراً من صاحبه : أتعرف أبا جهل ؟ فقلت : يا ابن أخي وما تصنع به ؟ قال: عاهدت ا إن رأيتـه أن

(١) البخاري، كتاب المغازي، رقم(٣٩٥٨، ٣٩٥٩).

أقتله أو أموت دونه. فقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله . قال : فما سرني أني بين رجلين مكانهما ، فأشـرت لهما إليه ، فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء)[1]. ومن اللطيف أن أول ما نزل بعد البقـرة، سورة الأنفال [2].

(١) البخاري ، كتاب المغازي، رقم(٣٩٨٨)، وكتاب فرض الخمس رقم(٣١٤١)، ومسلم، رقم(١٧٥٢).

(٢) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن،** (١/ ١٩).

المبحث الخامس

التناسب بين سورة البقرة وموقعها في المصحف

مضى القول – في الفصل الأول- بتوقيفية ترتيب آي القرآن وسوره، وحيث تقدمت سورتا الفاتحة والبقرة هذا الموكب الكريم من سور القرآن الحكيم، فلا بد من حكم عظيمة لهذا الموقع المتقدم لسورة البقرة، تسعى المطالب الآتية إلى تجليتها.

ولعل من حكمة الله تعالى، أن ترتيب القرآن الكريم لم يكن على وفق النزول؛ فهو ليس كتاباً في التاريخ يهدف إلى رواية تاريخ الدعوة الإسلامية. وإنما غايته أن يهتدي به الناس- والمؤمنون على وجه الخصوص - إلى يوم القيامة، فيقيموا الدين ويعمروا الأرض. ومن المحال أن تتطابق حركة الدعوة الإسلامية في أي عصر مع حركتها في عصر البعثة؛ فالتاريخ لا يكرر نفسه، بل هي بشارة وضمانة ربانية: أن الدين لن يرجع - مهما بلغت سوء الأحوال - إلى ما كان عليه الوضع قبل البعثة، ليبتدئ من مرحلة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق].

المطلب الأول: من حكم مجيء البقرة أول المصحف:

١) لا تكاد تمر صفحات قليلة في سورة البقرة، حتى تأتي قصة بدء الخليقة، في بدايات المصحف، لتجيب على السؤال الفطري: من أنا ؟ ولماذا جئت ؟ ومن جاء بي ؟ وإلى أين أنا ذاهب ؟ وما علاقتي بما حولي ومن حولي ؟

فيعرف الإنسان ربه، وذاته، وغاية خلقه وأنها الخلافة عبادة لله تعالى، ويعرف كرامته على من سواه فيربأ بنفسه أن يعبد سوى ربه، أو أن يرعى مع الهمل وقد رشّح لهذه المهمة العظيمة .

ويدرك، فيما يدرك، من قصة آدم؛ جبهة الأصدقاء والأعداء، وعون ربه والملائكة، وأساليب الشيطان وجنوده.

٢) وأمر آخر؛ فالبقرة هي أول الطوال، وأطول السور على الإطلاق. والبدء بها يتناسب وعزائم الناس التي تبدأ عادة، قوية، ثم لا تلبث أن تفتر، وبهذا تظهر الحكمة في أن الأجزاء الأخيرة، تتناقص طولاً حتى نرى قصار السور في آخر المصحف.

ومن الطبعي أن كل من أراد أن يقرأ ختمة كاملة للقرآن الكريم فإنه لا بد أن يبدأ بعد الفاتحة بالبقرة، حتى لو فترت همته بعد ذلك عن إتمام المصحف؛ فإذا عاوده الحنين إلى التلاوة فلا بد أن يبدأ من جديد بالبقرة، ما

يعني أن يقرأها المسلم أكثر من غيرها. ولا ننسى أن فيها غاية خلق الإنسان، وحشداً من الأحكام الشرعية، وحديثاً عن أقسام الناس، وهي التي لا يستغني عنها سائر إلى ربه.

٣) وقال في تفسير (المنار):" من نظر في ترتيب السور كلها في المصحف يرى أنه قد روعي في ترتيبها الطول والتوسط والقصر في الجملة، ومن حكمته أن في ذلك عوناً على تلاوته وحفظه؛ فالناس يبدأون بقراءته من أوله فيكون الانتقال من السبع الطوال[١] إلى المئين[٢] فالمثاني[٣] فالمفصل[٤]، أنفى للملل وأدعى إلى النشاط، ويبدأون بحفظه من آخره لأن ذلك سهل على الأطفال، ولكن في كل قسم من الطوال والمئين والمفصل تقديماً لسورة قصيرة على سورة أطول منها، ومن حكمة ذلك أنه قد روعي التناسب في معاني السور مع التناسب في الصور؛ أي مقدار الطول والقصر"[٥].

المطلب الثاني: البقرة أم ثانية للقرآن الكريم

بنى الأستاذ سعيد حوى تفسيره (الأساس في التفسير)، على قاعدة الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم جميعه، وليس فقط الوحدة الموضوعية لكل سورة على حدة، انطلاقا من أن سور القرآن جميعها تُفصل سورة البقرة، كما سيأتي بعد أسطر قليلة.

وللحقيقة فإن فكرة الوحدة الموضوعية للقرآن، وفكرة مركزية سورة البقرة بالنسبة لباقي المصحف قد أشار إليهما غير واحد من العلماء، وإن كان يحسب لصاحب (الأساس) أنه أثبت الفكرة وفصلها، وأطال الحديث وكرره عنها خلال تفسيره.

فقد أكد السيوطي أن:"القاعدة التي استقر بها القرآن: أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له وإطناب لإيجازه. وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة"[٦].

---

(١) الطوال: وهي سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، [الجرمي، إبراهيم، معجم علوم القرآن، ص٢٤٣، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م].

(٢) المئون: السور السور التي تلي السبع الطوال، وهي من أول الأنفال إلى نهاية السجدة، ما عدا سورة يونس لأنها من السبع الطوال، [الجرمي، ص ٢٣٨].

(٣) المثاني: السور التي تلي المئين، من أول الأحزاب إلى أول سورة ق، [الجرمي، ص٢٤٣].

(٤) المفصل: السور التي تلي المثاني، وهي من أول سورة ق إلى سورة الناس، [الجرمي، ص ٢٧٢].

(٥) رضا، **تفسير القرآن الحكيم/ المنار**، (٧/ ٢٨٧-٢٨٩).

(٦) السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**، (ص٦٥).

والذي يهمنا من قول السيوطي هذا أنه إذا كانت سورة البقرة مفصلة لسورة الفاتحة، التي هي أم القـرآن، فـإن البقرة بهذا المعنى هي أم ثانية للقرآن، مع فارق أن الفاتحة مجملة وأن البقرة مفصلة.

وفي تناسق الدرر يتحدث السيوطي عن أربع سور بدءاً من آل عمران[1] تفصل في سورة البقرة، فالنساء، ثـم المائدة والأنعام[2]؛ ما يعزز فكرة تفصيل ما بعد سورة البقرة لها.

و قال البقاعي في ختام تفسيره لسورة البقرة " إن بداية هذه السورة هداية وخاتمتها خلافة، فاستوفت تبيين أمر النبوة إلى حد ظهور الخلافة فكانت سناماً للقرآن، وكان جماع ما في القرآن منضماً إلى معانيها إما لما صرحت به أو لما ألاحته وأفهمه إفصاح من إفصاحها، كما تنضم هي مع سائر القرآن إلى سورة الفاتحة فتكون أماً للجميع"[3].

فكلامه واضح في أن جماع ما في القرآن منضم إلى معاني سورة البقرة، وأنها تنضم مع سائر القرآن للفاتحـة فتكون أماً للجميع، والضمير هنا عائد - كما أفهمه- للبقرة لا للفاتحة؛ لما سبق من قوله في انضمام جماع مـا في القرآن إلى البقرة، ولأن كون الفاتحة أماً للقرآن ليس بحاجة إلى تدليل، وليس هذا مكان ذكره.

وقد لخص الأستاذ سعيد حوى نظريته في الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، بعد فراغه من تفسير سورة الناس، تحت عنوان: (كلمة أخيرة في السياق القرآني العام) بقوله:" رأينا أن سورة الفاتحة ذكرت كل المعاني القرآنيـة بإجمال، وجاءت سورة البقرة لتفصل في الطريقين: طريق المنعم عليهم، وطريق المغضوب عليهم والـضالين، وجاءت الآيات التسعة والثلاثون من سورة البقرة للتحدث عن المعاني الرئيسية في الهدى والضلال.

ثم جاءت بقية السورة لتخدم معنى من المعاني الآتية في هذه التسعة والثلاثين آية، ثم جاءت بعـد ذلـك أربـع وعشرون مجموعة قرآنية، كل مجموعة فصلت في معاني سورة البقرة على ترتيب ورود هذه المعاني في سورة البقرة بشكل رأينا حكمه وتفصيلاته فيما مر معنا، ورأينا أن في كل تفصيل جديداً وفي كل سورة جديدا.

لقد رأينا ابتداء أن القرآن ينقسم إلى أربعة أقسام: قسم الطوال وقسم المئين وقسم المثاني وقسم المفصل، ورأينـا أن كل قسم من هذه الأقسام يتكامل مع بعضه، وأن هذه الأقسام كلها تتكامل مع بعضها.

---

(١) سبق الحديث عنه في مبحث التناسب بين البقرة وآل عمران.
(٢) السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**، (ص٧٥، ٨٠، ٨٥).
(٣) البقاعي، **نظم الدرر**، (١/٥٦٠- ٥٦١).

وقد رأينا أن القسم الأول يتألف من سورة البقرة ومجموعة واحدة - يقصد الطوال- تفصل في سورة البقرة من أولها إلى آخرها، ورأينا أن قسم المئين يتألف من ثلاث مجموعات، كل مجموعة تفصل في سورة البقرة من ابتدائها إلى مكان فيها، ثم جاء قسم المثاني وفيه خمس مجموعات، كل مجموعة تفصل في سورة البقرة من ابتدائها حتى آية منها على اختلاف في المدى الذي يبلغه التفصيل، ثم جاء قسم المفصل وفيه خمس عشرة مجموعة كل مجموعة تفصل في سورة البقرة من ابتدائها إلى مكان ما فيها، وهكذا نجد أن سورة البقرة قد فصلت أربعاً[1] وعشرين مرة تفصيلاً بعد تفصيل".[2]

ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ سعيد حوى قد اعتمد في نظريته على حديث: (أُعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المثاني، وفُضلتُ بالمفصل)[3]، وللعلماء أقوال في تحديد بدايات بعض المجموعات ونهاياتها[4]، مما لا تحتمله هذه الرسالة؛ كونه ليس من أغراضها.

ولقد أطال الباحث فيما نقله هنا، وفيما سينقله تالياً عن تفسير (الأساس)؛ متابعاً الأستاذ سعيد حوى الذي كان يطيل الكلام، ويكرره في أكثر من موضع، وهو يبرهن على نظريته في الوحدة الموضوعية، لما في ذلك من تعزيز للفكرة.

والباحث معني هنا فقط بمجرد الإشارة السريعة لنظرية الأستاذ سعيد حوى، وليس بصدد الشهادة لها أو عليها، ولا مناقشتها أو نقدها ببيان أوجه القوة والضعف فيها، وقد عرض البحث لعدد من أقوال العلماء السابقين، فضلاً عن الأمثلة التفصيلية الكثيرة المبثوثة في تفسيره الأساس، ما يجعل النظرية في عمومها في دائرة القبول.

ومن الدراسات التي تخصصت في " الأساس في التفسير"، أطروحة ماجستير للدكتور أحمد الشرقاوي في جامعة الأزهر، وكان قد تفضل بإرسالها للباحث بواسطة البريد الإلكتروني، ثم نشرها في موقعي: صيد الفوائد، وشبكة التفسير[5].

---

(١) في المطبوع: (أربعة).

(٢) حوى، **الأساس في التفسير**، (١١/٦٧٧٠- ٦٧٧١).

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن باب فضائل السبع الطوال(ص١١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم(٢٤١٥)، والطبراني في المعجم الكبير رقم(١٨٧) .

(٤) انظر، على سبيل المثال، الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**،(١/٣٠٧-٣١١).

(٥) www.tafsir.net, www.saaid.net

المبحث السادس
التناسب بين سورة البقرة وبقية السور المفتتحة ب(ألم)

ستّ سور في القرآن الكريم بدئت ب(ألم)، وهي البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمـان، والـسجدة. وحيث إن لها جميعاً ذات الفاتحة فإن ذلك يعني وجود التناسب فيما بينها بشكل أو بآخر، وقد ذُكر فـي مبحـث سابق أوجه التناسب بين البقرة وآل عمران، وفي هذا المبحث شيء من المناسبة بين البقـرة والـسور الأربـع الباقية.

وقد حاول غير واحد من العلماء القدامى والمعاصرين أن يقف على أسرار الافتتاح بالحروف المقطعـة ذاتهـا، ومنهم ابن القيم وسعيد حوى، والذي ذكروه مقاربات وتحويمات حاولت أن تربط بـين الـسور، دون أن تـأتي بالجواب الحاسم، وما في هذا المبحث يستحضر ما أورده الفضلاء، ويـسعى إلـى محاولـة جديـدة للتحـويم والمقاربة.

المطلب الأول: مقاربة الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد

الهمزة هي أول مخارج الحلق مما يلي الصدر، واللام من وسط مخارج الحروف وهي أشد اعتماداً على اللسان، والميم هي آخر الحروف ومخرجها من الشفتين، وجاء ترتيب الحروف مطلع السورة من البداية إلى الوسط إلى النهاية، وكل سورة افتتحت بهذه الأحرف الثلاثة – كما يقول ابن القيم - فهي مشتملة على بدء الخلق ونهايتـه وتوسطه؛ فمشتملة على تخليق العالم وغايته، وعلى التوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر، وقد مثّـل لذلك بسورة البقرة وآل عمران والسجدة والروم[1] ولم يذكر سورتي العنكبوت ولقمان اللتين لهما نفس الفاصلة، ولا الأعراف أو الرعد اللتين لهما الفاتحة ذاتها مع زيادة حرف آخر لكل منهما (المص، المر).

وقد يشهد لما قاله ابن القيم أن جميع السور السابقة تتضمن الحديث عن الآخرة، ومثل ذلك الحديث عن التشريع والأوامر، وأما بالنسبة لبدء الخلق وغايته فقد اشتملت سورة البقرة على قصة آدم والخلافة، وفي آل عمران حديث عن تصوير الناس في الأرحام، وإشارة إلى قصة آدم في قوله تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾، وفي الأعراف قصة آدم أيضاً، لكن في الرعد إشارات إلى الخلق الأول

(1) ابن القيم، **بدائع الفوائد**، (١٩٩/٣).

في قوله تعالى﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾، والحديث عن الخلق الجديد يستدعي في الذهن الخلق القديم والنشأة الأولى، وفي العنكبوت﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ ﴾ ، وفي الروم ﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ ، و ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ ،و﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ ،و﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ ، وفي لقمان إشارة سريعة إلى الخلق في قوله﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ ، وفي السجدة﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

المطلب الثاني

مقاربة الأستاذ سعيد حوى في الأساس

وقد تناول، رحمه ا ، فيها الجوانب الآتية:

أولاً: التناسب في ترتيب فواتح السور التي تأتي بعد مجموعتي (الم)

قال في (الأساس): ثم إنك تلاحظ أحياناً أن مجموعة من السور لها بدايات معينة تشبهها مجموعة أخرى لها نفس البدايات، فمثلاً نلاحظ أن سورتي البقرة وآل عمران مبدوءتان ب(الم)، وتأتي بعدهما سورتا النساء والمائدة، وكل منهما مبدوءة ب(يا أيها) ، ثم تأتي سورة الأنعام وهي مبدوءة ب(الحمد).

ونلاحظ بعد ذلك بسور كثيرة أنه تأتي سورة العنكبوت هي والسور الثلاث بعدها مبدوءة ب(الم)، ثم تأتي بعد ذلك سورتا سبأ وفاطر، وكل منهما تبدأ بالحمد [1].

ثانياً: مجموعة (الم) تفسر مقدمة سورة البقرة

للأستاذ سعيد حوى في كتابه (الأساس في التفسير)، نظريته في الوحدة القرآنية، والتي أقامها على أساس أن كل سورة بعد سورة البقرة إنما تفصل آية أو آيات منها، انطلاقاً من تقسيم القرآن إلى مجموعات، تفسر مرة بعد مرة آيات البقرة من أولها حتى نهايتها.

وعنده أن السور الأربع التي تبدأ ب﴿ألم﴾، تفصل في مقدمة سورة البقرة، وأن تفصيل كل من السور الأربع لهذه المقدمة يكمل تفصيل الأخرى، فسورة العنكبوت مثلاً تفصل في قضايا الإيمان بالغيب والكتاب، ومستلزمات ذلك بشكل أخص، بينما سورة الروم تفصل في قضايا الإيمان باليوم الآخر بشكل أخص، وكل من السور الأربع تفصل في جانب من مقدمة سورة البقرة، وفي امتدادات ذلك من سورة البقرة نفسها[2].

وذكر في موطن آخر أن مقدمة سورة البقرة بآياتها العشرين؛ قسم منها في المتقين، وقسم منها في الكافرين، وقسم منها في المنافقين. وكل صفة للمتقين يقابلها صفة للكافرين أو صفة للمنافقين، ويلاحظ في هذه السور الأربع أنها تعمق في سياقها الرئيسي موضوعاً من موضوعات الآيات الواردة في المتقين، وتتحدث خلال ذلك عما يقابل ذلك. ومن ثم فإن السور الأربع – وإن كانت في سياقها الرئيسي تفصل في الآيات الأولى لمقدمة

---

(1) حوى، **الأساس**، (٧٨/١).

(٢) حوى، سعيد، الأساس ، (٨/ ٤١٥٨).

سورة البقرة، فإنها تفصل- في الحقيقة- في مقدمة سورة البقرة كلها. ومن ثم نجد في سورة العنكبوت كلاماً عن الكافرين والمنافقين، ونجد في سورة الروم كلاماً عن الكافرين، ونجد في سورتي لقمان والسجدة كلاماً عن الكافرين، فالتفصيل في النهاية لمقدمة سورة البقرة كلها، أي للعشرين آية الأولى من سورة البقرة[1].

والسطور الآتية تلخيص لأهم ما أورده الأستاذ سعيد حوى في تفسيره (الأساس) عن الارتباط بين سورة البقرة وكل من العنكبوت والروم ولقمان والسجدة.

1) **ارتباط سورة العنكبوت بسورة البقرة**: ففي مقدمة سورة البقرة حديث عن المتقين، وعن الكافرين، وعن المنافقين، وفي سورة العنكبوت حديث عن المؤمنين والكافرين والمنافقين. وفي مقدمة سورة البقرة كلام عن الإيمان بالغيب، وتبدأ سورة العنكبوت بالكلام عن الامتحان لتحقيق الإيمان وتتحدث السورة مرة ومرة ومرة عن الإيمان: إن سورة البقرة مبدوءة بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾، والملاحظ أنه قد جاء في سورة العنكبوت قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾ ، وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩﴾ ، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩﴾، وآخر آية في السورة قوله تعالى﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾، فالكلام عن الإيمان، وما لأهله، وعن الطريق لتحقيق الإيمان يأخذ حيزاً كبيراً في السورة.

وفي السورة حديث عن المنافقين ومظاهر النفاق وعلاماته، وهو واضح الارتباط بسورة البقرة[2]: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ۝١١﴾.

وفي الآيات تصحيح مفاهيم؛ حيث صححت الآيات الأربع الأولى تصورين هامين، الأول: تصور من يظن أن الإيمان لا يرافقه امتحان، والثاني: تصور الكافر أنه إذا لم يمتحن فإنه يفلت من عذاب الله عز وجل؛ فالآيات

(1) حوى، **السابق**، (8/ 4305 – 4306).

(2) حوى، سعيد، الأساس ،(8/4163– 4164) بتصرف.

إذن تصحح مفاهيم، وتقرر سنناً لها علاقة بقضية الإيمان والكفر، وارتباط ذلك بمقدمة سورة البقرة واضح:﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ۝٣ ﴾ فالإيمان ليس مجرد دعوى، وكي لا يقول قائـل: مـا دام الإيمان كذلك فلنتخل عن الإيمان، فقد بين الله عز وجل أن تصور الكافر أنه يفوت الله خطأ كبير.

ولما كان تصحيح هذا التصور مهماً جداً، فقد ورد هذا التصحيح في سورة البقرة في قوله تعالى:﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ۝٢١٤ ﴾ ، إلا أن التصحيح الوارد في سورة البقرة ورد في سياق الأمر بالدخول في الإسلام كله، لأنه هو الذي تترتب عليه المحن الحقيقية، وهو علامة الشكر الصادق على الإسلام، وهو الذي تكون عاقبته الظفر، أما هنا فقد ورد في سياق التفصيل المباشر لمقدمة سورة البقرة ليفيد أن دعوى الإيمان يترتـب عليهـا الامتحان[1].

وقال الأستاذ سعيد حوى في موطن آخر:" لقد ختم الكلام عن المتقين في أوائل سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ ، ونلاحظ أن آخر آية في سورة العنكبوت كانت قوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ۝٦٩ ﴾ ، لاحظ كلمة الهداية المشتركة بين آخر آية في سورة العنكبوت، وآخر آية في الآيـات التي وصفت المتقين في سورة البقرة.

"إن آخر آية في سورة العنكبوت دلتنا على أن الهداية تحتاج إلى مجاهدة، ومن هنا نـدرك أن تفـصيل سـورة العنكبوت لسورة البقرة تفصيل ذو طعم خاص، فإذا كانت الآيات هناك قد وصفت المتقين، فهذه السورة تـضع قواعد وموازين وعلامات، وتبين حكماً ومواصفات وضروريات للتحقق بالصفات"[2].

ومما قاله في نهاية تفسيره لسورة العنكبوت وهو يلخص الكلام عن ارتباطها بسورة البقرة:" وكما فـصلت فـي صفات المتقين فصلت في ما يقابل ذلك من الكفر والنفاق وهي المواضيع التي تحدثت عنهـا مقدمـة الـسورة، فعرفنا علامة النفاق، وعرفنا بعض لوازم الكفر وآثاره، وعرفنا بعض ما أعد الله للمؤمنين، وبعض ما أعـد الله

---

(١) حوى، **السابق**، (٨/ ٤١٧٢)، بتصرف.

(٢) حوى، سعيد، الأساس ، (٨/٤٢٣٠).

للكافرين، وعرفنا الفارق الكبير بين ما يركن إليه أهل الإيمان، وبين ما يركن إليـه أهـل الكفـر ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ "[1].

٢) ارتباط سورة الروم بالبقرة

يرى الأستاذ سعيد حوى أن السياق الرئيس لسورة الروم يكاد يكون منصباً على موضوع اليوم الآخر؛ كما فـي قوله تعالى:﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ ، وقولـه سـبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ وقولــه:﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴾، والآيــة الكريمــة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

وتتحدث السورة عن ا عز وجل بما يذكّر بالآخرة في الآية: ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾، والآيـــة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ ، وقوله سـبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ ، وقولـه تعـالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾، وفي حين وصف المتقون في سورة البقرة بـأنهم:﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾، فإن آخر آية في سورة الروم هي:﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[2].

وقد بدئت عدة آيات في السورة الكريمة باسم الجلالة (ا)، أو الضمير الدال عليه سبحانه، كالآيـات الـسابقة وغيرها أيضاً، في سياق الاستدلال والاحتجاج على اليوم الآخر، ما يعزز فكرة الارتباط الـشديد بـين ركنـي الإيمان با وباليوم الآخر[3]، وفي السياق ذاته مجيء عدد من الآيات المتتابعة في السورة تعرض بعض آيـات ا تعالى الدالة عليه، وابتداؤها بقوله سبحانه: (ومن آياته)، حيث إن الإيمان باليوم الآخر فرع الإيمـان بـا ،

---

(١) حوى، **الأساس**، (٨/٤٢٣٩- ٤٢٤٠)، بتصرف.
(٢) حوى، سعيد، **السابق** ، (٨/٤٢٤٧)، بتصرف.
(٣) حوى، **السابق**، (٨/٤٢٦٠)، بتصرف.

والتدليل على ا وأسمائه وصفاته تدليل على اليوم الآخر[1]، وعلى هذا فلا يكون الخلل في التصورات عن اليوم الآخر إلا بسبب الخلل في معرفة ا عز وجل، وأعظم خلل في معرفة ا هو الشرك، لذلك كان هـو العامـل الأكبر في اختلال تصورات الإنسان عن اليوم الآخر، وكما جاء في مقدمة البقرة وصف المتقين بأنهم يقيمـون الصلاة ومما رزقهم ا ينفقون، فكذلك تضمنت سورة الروم الحديث عن هذين الـركنين العظيمـين[2]. دون أن ننسى أن ركني الإيمان با والإيمان باليوم الآخر اللذين ركزت عليهما سورة الروم هما رأس الإيمان بالغيـب المذكور في مقدمة سورة البقرة[3].

وحيث قد جاء في مقدمة الـروم ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ وجاء فيما بعد ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ ، ما يعني أن الكلام عن النصر محور رئـيس مـن محاور السورة[4]، وتأتي الآية الأخيرة في السورة تأمر النبي ﷺ أن يصبر انتظاراً لوعد ا بنـصره للمـؤمنين متزامناً مع غلبة الروم على الفرس[5]،﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾.

وقد فات صاحب (الأساس) ربطُ سورة الروم، وبالذات مقدمتها وخاتمتها ، بخاتمة البقرة﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٨٦﴾، وسيأتي بإذن ا .

٣) ارتباط سورة لقمان بسورة البقرة

ذكر صاحب (الأساس) أن آيات مقدمة سورة لقمان، تكاد تكون هي نفس الآيات الأولى من مقدمة سورة البقرة، مع تركيز خاص حول الاهتداء بكتاب ا ، ومن ثم عن الموقف المقابل والأسباب النفسية لذلك، وإذ تصف الآية الأولى هذا القرآن بالحكمة، وإذ كان في ذلك دعوة لاتباع كتاب ا ؛ فإن الكلام عن حكمة ا وعـن إيتـاء ا الحكمة لخلقه، يأخذ حيزاً من السورة، وكأنه يشير إلى أن مقتضى اتصاف ا بالحكمة أن يكون كتابه حكيمـاً، وإذ كان كتابه حكيماً فإن ذلك يقتضي من الإنسان اتباعه.

---

(١) حوى، **الأساس**، (٤٢٦٥/٨)، بتصرف.
(٢) حوى، **السابق**، (٤٢٦٩/٨).
(٣) حوى، **السابق**، (٨/ ٤٢٧٢-٤٢٧٣)، بتصرف.
(٤) حوى، **السابق**،(٨/ ٤٢٨٥)، بتصرف.
(٥) حوى، **السابق**،(٨/ ٤٢٩٧)، بتصرف.

"وفي وسط السورة يأتي الكلام عن لقمان، وإيتائه الحكمة، ويعرض القرآن لنا نماذج من وصاياه الحكيمة، التي تنسجم مع موضوع السورة، ومن ثم حديث عن عن نعمه تعالى التي تقتضي شكراً، والشكر يقتضي اتباع كتاب ا ، وهكذا من خلال الكلام عن الحكمة والنعمة تعمق السورة موضوع اتباع الكتاب والشروط اللازمـة لهـذا الاتباع، وقصة لقمان في الوسط تأتي لتضيء ما قبلها وما بعدها، وتأتي لتكون أنموذجاً لما قبلها ومـا بعـدها. ومن ثم فدورها كبير في السورة، ومع تعميق اتباع الكتاب من خلال الحكمة والنعمة تختتم السورة بالكلام عـن علم ا المحيط، وذلك من خلال ذكر مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا ا ، وفي هذا كله دعوة لاتباع كتـاب ا ، فإذا كان ا تعالى وحده هو الذي يعلم الغيب فهذا يعني أنه لا أحكم منه ولا أعلم، ومن ثم فلا أحكم من كتابه.

وتابع: "كنا ذكرنا من قبل أن أي سورة عندما تفصل في محور من سورة البقرة فإنها تفصل في هـذا المحـور وفي امتدادات معانيه في سورة البقرة، ولقد جاء في سورة البقرة قوله تعالى:﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ ، وإيتاء ا الحكمة مرتبط بإيتائه الكتاب، ومرتبط بتوفيق ا للإنسان، وسورة لقمان تفصل فـي هذا وهذا، فقد وصف ا كتابه بالحكمة، وأعطانا نموذجاً على إيتائه الحكمة لعبد مـن عبـاده ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴿١٢﴾ ﴾ ، ففي السورة نموذج للحكمة في الكتاب، ونموذج للحكمة عند الحكيم، وفي السورة تعريف علـى ماهية الحكمة، وفي السورة بيان لما ينبغي أن يقابل الإنسان به نعمة الحكمة من شكر[1].

وفي تفصيله الارتباط بين مقدمتي السورتين ومقارنته بينهما، وتذكيره أن محور سورة لقمان هو الآيات الأولـى من سورة البقرة، قال الأستاذ سعيد حوى إنه قد جاء في مقدمة سورة البقرة قوله تعالى ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾، يقابل هذا في سورة لقمـان ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ ، لقد جاء وصف القرآن في سورة لقمان بأنه حكيم، وكونه حكيماً يفيد أنه من عند ا بلا ريب، ويلاحظ أنه في سورة البقرة ورد قوله تعالى﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ بينما في سورة لقمـان قـال: لقمـان ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾؛ فالقرآن للمتقين هدى، ولكنه للمحسنين هدى ورحمة، وعلى هذا فمن لم يتحقق بمقام الإحسان (أن تعبد ا كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[2]، لا يأخذ حظه الكامل من رحمة ا بهذا القرآن، ويلاحـظ أن

---

(١) حوى، سعيد، الأساس ، (٨/ ٤٣٠٥ – ٤٣٠٧)، بتصرف.

(٢) البخاري، كتاب الإيمان رقم(٥٠)، وكتاب التفسير رقم(٤٧٧٧)، ومسلم رقم(١٠٢٩).

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ لم تتعرض لها سورة لقمان، لأن قضية الإيمان تحدثت عنها سورة العنكبوت، ومن قبل سورة آل عمران، ولأن إقامة الصلاة والإنفاق الرمز العملي على الإيمان بالغيب فكان الكـلام عنهمـا كلامـاً عنـه، ونلاحظ التشابه بين قوله تعالى في سورة البقرة:﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾، وبين قوله تعالى في سورة لقمـان ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴿٤﴾ ﴾، مع فارق هو أنه في سورة البقرة ذكر الإنفاق بشكل عام، وههنا ذكـر إيتاء الزكاة، مما يدل على أن إيتاء الزكاة ركن الإنفاق، ثم يلاحظ أنه في سورة البقرة قد ورد: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾، إلا أنه في سورة لقمان لم يذكر هذا ؛ لأن هذا الموضوع تحدثت عنه سـورة العنكبـوت وسورة آل عمران.

ثم يلاحظ التشابه الكامل بين قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾، وقوله تعالى في خاتمة آيات مقدمة سورة لقمـان ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ ، إذ وردت الألفاظ نفسها[1].

وتابع، الأستاذ سعيد حوى رحمه ا : بعد الآيات الأولى من مقدمة سورة البقرة ورد قولـه تعـالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ ، والصلة واضحة بين هاتين الآيتين وبين قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [لقمان:٦-٧]، وفي آيات سورة لقمان زيادة تفصيل حول الطبيعة الكـافرة، والـسلوك الكافر، والتصرف الكافر. إن الصلة الواضحة بين سورة لقمان ومحورها، هذا مع أن لـسورة لقمـان سـياقها الخاص؛ لقد بدأت سورة لقمان بوصف القرآن بأنه حكيم، ثم تحدثت عمن يهتدي به، ثم تحـدثت عـن موقـف الكافرين من هذا القرآن، وتحدثت عما أعد ا للمؤمنين وما أعد ا للكافرين"[2].

---

(١) حوى، **الأساس في التفسير**، (٨/ ٤٣٠٩ – ٤٣١٠)، بتصرف.
(٢) حوى، **السابق**، (٨/ ٤٣١١)، بتصرف.

وقد نال قوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ حظاً من التفصيل وخاصة عندما خُتمت السورة بمفاتح الغيب التي هـي عند ا [1]، في قوله تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٤) ارتباط سورة السجدة مع سورة البقرة

أول البقـرة: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾، وأول لقمـان: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾، وأول السجدة﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

وفي هذا يقول الأستاذ سعيد حوى: "لاحظ أن كلمة :﴿ هُدٗى ﴾ الواردة في آية البقرة وردت في سورة لقمان ولـم ترد في سورة السجدة، وأن كلمة :﴿ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ وردت في أول السجدة ولم ترد في أول لقمـان، وإذن فـسورة السجدة تكمل التفصيل للآية الأولى من البقرة: هذه تفصل بشكل أخص في موضوع الاهتداء، وهذه تفصل بشكل أخص في موضوع الريب، ومن مثل هذا ندرك صحة اتجاهنا في فهم الوحدة القرآنية، وفي فهم السياق الخاص لكل سورة، وفي فهم التكامل بين السور "[2].

فالسورة وبالذات مقدمتها تلاحق الريب والشك، ثم تبين حكمة إنزال القرآن، ثم تمضي السورة تحدثنا عن ا بما يزيدنا معرفة به، وفي ذلك تدليل على أنه لا بد من وحي؛ ومن ثم فلا يستغرب أن ينزل ا هذا القرآن، وفـي السورة حديث عن علامة الإيمان الجازم، كما أوردتها آية السجدة، ثم موازنة بـين فريـق المـؤمنين وفريـق الكافرين، وما أعد ا لكل منهما[3]، على غرار ما جاء في مقدمة البقرة.

---

(١) حوى، **السابق**، (٨/ ٤٣٤٥- ٤٣٤٦)، بتصرف

(٢) حوى، **السابق**،(٨/ ٤٣٤٦).

(٣) حوى، **السابق**،(٨/ ٤٣٥١).

المطلب الثالث

التناسب بين أول المجموعة وآخرها (البقرة والسجدة)

يبدو أن ما اكتشفه العلماء من تناسب البدء والختام في الآية الواحدة، وكذا بين أول السورة وآخرهـا، وأيـضاً المناسبة بين سور آخر المصحف مع السور الأولى، ينطبق أيضاً في مجموعة(الم).

والسطور الآتية محاولة للتحويم والمقاربة، تتابع المناسبات الظاهرة بين البقـرة وهـي الـسورة الأولـى فـي مجموعة(الم) ، والسجدة وهي السورة الأخيرة في المجموعة، ثم تستعرض امتدادات الموضوع في سائر سـور المجموعة، مع تعريج في بعض الأحيان على سورتي الأعراف والرعد اللتين تضمنتا ذات الفاتحة بزيادة حرف آخر كل منهما، مع تركيز خاص على فواتح السور وخواتيمها وأسمائها، باعتبار أن ما تتضمنه له أهمية خاصة في المقصود من السور، والمحاور الرئيسة فيها.

١) **لا ريب فيه:** فقد جاء في مطلع البقرة أن الكتاب لا ريب فيه، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ ، وتكرر على شكل التحـدي ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾، وفي مطلع السجدة ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ . إن الإيمان الجازم بربانية الكتاب وأنه الحق هو المقدمة الأولى للالتزام بهديه، ومن الطبيعي أن يجري التنويه به في المطلع والختام.

وقد تكرر الموضوع كثيراً في القرآن، وبالذات في مجموعة (الم) فمطلع آل عمران ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ ، ومطلع الأعراف ﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ ، ومطلع الرعـد ﴿ الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ ، وخاتمتهـا ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ وفـي العنكبـوت مثال يدل على أن ا تعالى قدر أن لا يكون في القرآن الكريم ولا في أي شيء يتعلق به ما يمكـن أن يكـون محل ارتياب حتى للمبطلين الذين يأتون بالباطل من القول[1]، ليبطلوا الحق وهم يعلمون أنـه حـق ﴿ وَمَا كُنتَ

(١) الطباطبائي، **الميزان**، (١٦/١٤٢).

﴿ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ، وفي سورة الروم أن الله تعالى قد ضرب للناس في القرآن من كل مثل ثم الذين كفروا كلما جاءهم الرسول بآية اتهموا الرسول وصحبه بأنهم مبطلون، مسقطين ما في نفوسهم على غيرهم، كما يقول المثل العربي: رمتني بدائها وانسلت[1]،﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ ، أما سورة لقمان فتفتتح بوصف الكتاب أنه حكيم ما ينفي عنه أي ريب ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ ثم تأتي في الختام سورة السجدة والتي أكدت تنزيل آيات الكتاب من رب العالمين دون أي ريب.

وقد ذكر الطباطبائي في (الميزان) أن السور المفتتحة بحرف الميم تتضمن نفي الريب عن الكتاب، أو ما هو في معناه[٢]، وليس في مكنة الباحث في هذا المقام، أن يعضد هذا القول، أو يعارضه.

٢) **الإنذار والهداية:** ولئن جاء في مطلع البقرة الحديث عن إنذار الكافرين، فقد عادت سورة السجدة لتؤكد في بدايتها على أن القرآن هو الحق لينذر به النبيﷺ قوما ما أتاهم من نذير من قبله، رجاء أن يهتدوا، وكانت سورة البقرة حصرت الهداية في المتقين، للتأكيد على أن عدم حصول الاهتداء ليس لمشكلة في الكتاب ولا في حامله ولكن في فريق من المدعوين.

وقد تضمن مطلع آل عمران كون الكتاب هدى إضافة إلى موضوع الإنذار للكافرين ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ ، وكذلك الأمر بالنسبة لسورة الأعراف التي ذكرت مقدمتها مهمة الرسول في الإنذار﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ ، وفي لقمان أن الكتاب هدى﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ ، وتضمنت مقدمة السورة أمر النبي بإنذار الكفار العذاب الأليم والعذاب المهين﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًاۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ ، علما بأن موضوع الإنذار يكاد لا تخلو منه سورة.

---

(١) الميداني، **مجمع الأمثال**، (٣٦٧/١).

٣) **الغيب:** حيث تضمنت مقدمة سورة البقرة وصف المتقين أنهم يؤمنون بالغيب، وموضوع الآخـرة، الـذي يعتبر ركناً رئيساً في السورة، مرتبط بالغيب، كما نُبه الملائكة في قـصة آدم، إلـى أن ا تعـالى يعلـم مـا لايعلمون، وخُتمت السورة بالحديث عن إيمان الرسولﷺ والمؤمنين معه بأركان الإيمان التي هي مـن صـلب الإيمان بالغيب، وسورة السجدة في بداياتها لفتت إلى أن ا تعالى هو عالم الغيب والـشهادة: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ﴾، وفي السورة سجود المؤمنين وتسبيحهم بحمد ا ، مصداقاً لما أخبر ا ملائكتـه من أنه يعلم ما لا يعلمون من شأن بني آدم ، ما يعزز ثقة المؤمنين بما أخبرهم سبحانه ووعدهم، ثم تـضمنت السورة غيبيات كثيرة وبالذات في شأن ا تعالى وملائكته واليوم الآخر، وختمت بالفتح الأكيـد الـذي ينكـره الكافرون ويصدقه بل وينتظره الرسول والمؤمنون، وفي بداية آل عمران وعيد للذين كفروا أنهـم سـيغلبون ويحشرون إلى جهنم، وفي آخرها وعد للمؤمنين بالفلاح إذا ما صبروا وصابروا ورابطوا واتقـوا ا تعـالى، والآية قبل الأخيرة في الرعد ﴿ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٤٢ ﴾، وفي آخر العنكبوت وعد للمجاهدين المحسنين بالهداية ومعية ا سبحانه.

وفي أول الروم وعد غيبي بغلبة الروم وانتصار المؤمنين، وفي الختام أمر للنبيﷺ أن يصبر لأن وعد ا حق، وفي آخر لقمان مفاتيح الغيب ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤ ﴾.

٤) **التسبيح بالحمد والسجود:** جاء في آية السجدة، التي باسمها سميت السورة: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ ﴾، وموضوع التسبيح بالحمد ورد في سورة البقرة في كلام الملائكة وهم يلمحون أنهم أصلح من آدم وبنيه للقيام بأمر الخلافة، حيث توقعوا منهم أن يفسدوا في الأرض ويسفكوا الدماء، وكان الرد الإلهي عليهم أنه يعلم ما لا يعلمون، وإذ تتحدث سورة السجدة أنهم يسبحون بحمد ربهم فذلك يؤكد ما أخبر به تعالى من أنه أعلم بآدم وذريته، وأنه سيكون منهم من يقومون بحق الخلافة التي عنوانها التسبيح بالحمد، وأن الإفساد الذي توقعه الملائكة سببه الاستكبار الذي نفته الآية بعد أن ذكرت أنهم يخرون سجداً وهم

لا يستكبرون ، وكأن الربط بين آية السجدة وقصة آدم يفيد أن أساس الصلاح السجود والتسبيح بحمد ا ، وأن أصل الشر والفساد هو الاستكبار، سيما وقد ذُكر عن إبليس أنه قد أبى واستكبر وكان من الكافرين.

والملاحظ أن موضوع التسبيح والسجود يتكرران في مجموعة(الم) ففي آل عمران يؤمر زكريا عليه السلام أن يسبح بالعشي والإبكار﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾، وتطالب الملائكة إلى مـ ـريم أن تقنـ ـت لربها وتسجد وتركع مع الراكعين﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾، ويوصف المؤمنون أولو الألبـ ـاب بـ ـأنهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾، وفي آخر الأعراف يؤمر النبيﷺ أن يذكر ربه بالغدو والآصال، ويقال لـ ـه بأن الملأ الأعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه ويفردونه بالسجود، لأجل أن يحذو حـ ـذوهم ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ ، ولا شك أن ختم سورة الأعراف بهاتين الآيتين إبراز لأهمية ما تضمنتاه، سيما وأن قصة آدم التي فيها سجود الملائكة واستكبار إبليس قد جاءت في بدايات السورة، ثم تكرر تحديد أعداء الأنبياء بأنهم (الملأ) أي أشراف الناس الذين يملأون العيون ما يعني أن سبب كفرهم هو الاستكبار(الآيـ ـات: ٦٠، ٦٦، ٧٥، ٨٨، ٩٠)،وكذلك فقد صرحت الآيات باستكبارهم غير مرة(٧٤، ٧٥،٨٨) ووصفوا أكثر من مرة في السورة بأنهم مفسدون(الآيات: ٧٤،٨٦، ١٠٣) ما يعزز الربط بين الاستكبار والإفساد في الأرض.

ويكفي بالنسبة لسورة الرعد القول بأن الآية التي تضمنت اسم السورة قد تحدثت عن تسبيح الرعد بحمده تعالى وكـ ـذا تـ ـسبيح الملائكـ ـة ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ ، ثم تحدثت آية تالية عن أن كل مـ ـن الـ ـسموات والأرض يـ ـسجدون طوعاً وكرهاً﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ .

وفي سورة العنكبوت إشارة سريعة إلى الحمد، حيث أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يحمـ ـد ا ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴿٦٣﴾ ﴾،وفي سورة الروم جاء قوله تعالى﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

وفي لقمان يتكرر الحديث عن الكبـر والمـستكبرين﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ ،﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ ، وفي السورة أمر بحمد ا الذي هو الغني الحميد﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

٥) **الخلافة والنصر**: حتى يتمكن المؤمنون من القيام بأمر الخلافة؛ فإنه لا بد لهم أن ينتـصروا علـى القـوم الكافرين، وهذا ما وضحته قصة طالوت في البقرة، والتي كان النصر فيها مقدمة لخلافة داود ﷺ فـي الأرض: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ وبعدها جاء بيـان الـسنة الإلهية في دفع الناس بعضهم ببعض كيلا تفسد الأرض، وفي ختام السورة دعاء المؤمنين المشابه لدعاء جـيش طالوت بالنصر على القوم الكافرين ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ ، وهو ذات الدعاء الذي ردده الأنبياء والربيون معهم في قتال أعداء ا : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آل عمران]، ولقد جاء في أول الـسورة تهديـد الكفـار ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾ [آل عمران]، وأُمر المؤمنون في ختامها بما يوصلهم إلـى النصر والفلاح:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران] .

وفي ختام سورة العنكبوت وعد بهداية ا ومعيته للمجاهدين المحـسنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾، وآية العنكبوت التي لأجلها سميت السورة تؤكد أن الذين اتخذوا من دون ا أولياء مثلهم في الوهن كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً، وذلك تطمين للمؤمنين من جهة وحـرب نفـسية وتـوهين لأعـدائهم، ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾، وهذا قريب مما جاء في سورة النساء تحريضاً للمؤمنين على قتال الذين كفروا حيـث

إن وليهم الشيطان ذو الكيد الـضعيف،﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [النساء]، وفي سورة الروم وعد بغلبة الروم على الفرس بعـد هـزيمتهم، والأهم منه فرح المؤمنين بنصر ا متزامنا مع غلبة الروم الفـرس،﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾، وإن الباحث ليرى في السورة نوع تحريض وتهيئة نفسية للمؤمنين لقتال الروم، وإعلاماً لهم أن جيش الروم ليس عصياً على الهزيمة؛ فقد غلبه الفرس عبدة النار، فكيف إذا لقيهم جنود العزيز الجبار؟ ولعل مما يفيده استخدام الفعل المبني للمجهول: (غُلبت)، وإغفال الفاعل، هو قابلية الهزيمة عند الروم وإمكانية تكرارها أمـام المـسلمين؛ ذلـك أن المبنـي للمجهول يأتي "ليسلط الضوء ويلفت الانتباه إلي حقيقة الحدث وطبيعته ومدى علاقته وتعلقه بالمفعول الأصلي، فيحقق الغرض الأساسي من إبراز عناصر المشهد ويتيح لها المجال الأكبر لتأدية دورها في قوة ووضوح، دون مزاحمة لفظية أو حضور لغوي لا يتعلق الغرض به"[(١)] ، واللافت أنها الكلمة الأولى بعد الحروف المقطعة.

وربما يؤيد ذلك ما رواه الزبير الكلابي[(٢)] قال: رأيت غلبة فارس الروم، ثم رأيت غلبة الروم فارس، ثم رأيـت غلبة المسلمين فارس والروم، كل ذلك في خمس عشرة سنة[(٣)]، فإن الأهم في كل الجولات السابقة هو انتـصار المسلمين على الإمبراطوريتين، وفي السورة قوله تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

وقد خُتمت سورة الروم بقوله سبحانه فاصبر إن وعـد ا حـق﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

ويلفت النظر أن يرد في سورة الروم الحديث عن ظهـور الفـساد فـي الأرض،﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ ، مـا يـشير إلـى أن هـذا الفـساد تقـف وراءه

---

(١) موسى، محمد السيد، **الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول**، موقع صيد الفوائد www.said.net.

(٢) هو الزبير بن عبد ا الكلابي، أدرك الجاهلية، ويقال إنه رأى النبي ﷺ، [الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تجريد أسماء الصحابة،١٨٨/١، دن، دط، دت].

(٣) ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، **تفسير القرآن العظيم**، (٩ /٣٠٨٦)، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة-الرياض، ط١،١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

الإمبراطورية الرومانية والفارسية، لأن الأرض كان يتحكم فيها الفرس والروم، وتوشكان أن تغرقـا العـالم[1]، فمن اللازم والضروري أن ينهض المؤمنون بعد تقديرهم لحجم الفساد وقوته ومن يقف وراءه، لإنقاذ العالم كلـه وهدايته وهو أمر ممكن كما أنه لازم[2]، بإقامة الخلافة التي هي ضد الفساد ونقيضه؛ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]، وذاك يعني أنه ينبغي أن يتحرك المؤمنون لمدافعة هـذا الفـساد، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة].

ويبدو أن من سنة ا تعالى أنه كلما ظهر الفساد هيأ المؤمنين لقيادة الأرض، كما تفيده آيات سورة القـصص، من مجيء وعد ا بالتمكين لقوم موسى وجعلهم أئمة وارثين بعد الحديث عن فرعـون وعلـوه فـي الأرض وإفساده فيها، ومجيء ذي القرنين ليوقف إفساد يأجوج ومأجوج، وقد ورد الدعاء في العنكبـوت:﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

وكذلك تحدثت سورة السجدة عن العذاب الأدنى قبيل العذاب الأكبر تهديدا للكافرين وتأكيداً على هزيمتهم، وتأتي خواتيم السورة تعد المؤمنين بـالفتح:﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ومن لوازم النصر: الولاية الربانية للمؤمنين، كما جـاء فـي خاتمـة البقـرة ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾، وأن من لم يكن ا تعالى وليه فلا ولاية له ولا نـصرة، ﴿إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف]، ثم التأكيـد على غاية الوهن والخذلان وبالتالي الانهزام لمن اتخذوا من دون ا أولياء، ففـي سـورة العنكبـوت: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ وفي الرعد: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ

---

(1) حامد، التيجاني عبد القادر، **أصول الفكر السياسي في القرآن المكي**، (ص١٦٦)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ودار البشير، فرجينيا عمان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(2) حامد، **السابق**، (ص ١٧٠).

﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ .

٦) الابتلاء والإمامة

والخلافة تستلزم وجود القادة والأئمة على مستوى الأفراد وعلى مستوى الجماعة، وقد اقتضت حكمته سبحانه أن لا تكون إمامة حتى يكون ابتلاء، ومن أوضح الآيات في ذلك قوله تعالى في سورة البقـرة ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ ، ومن قبل قوله سبحانه في حق بنـي إسـرائيل﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ ، ويلاحظ أن الجار والمجرور(من ربكم) قد توسطا بين الموصوف وصفته (بلاء) و (عظيم)، لفتاً لبني إسرائيل إلى أن هذا البلاء العظيم، مع كونه على يد فرعون، فإنه من ربهم – بعلمه وإذنه وحكمته - أي فيه معنى التربية والترقية لهم، إعداداً لهم وتهيئة للمهمة المنوطة بهم.

وفي قصة طالوت ابتلاء آخر ليظهر الصابرون الذين يكرمهم ا تعالى، بالنصر في المعركـة التـي تـوطئ للخلافة﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ ، وقصة آدم هي قصة ابتلاء بدءاً من أمر الملائكة بالسجود وما ترتب عليه من سقوط إبليس ثم ابـتلاء آدم وزوجه بالشجرة والذي انتهى بتوبة ا عليهما وإسكانهما الأرض في ابتلاء آخر للبشرية إلى يوم القيامة.

والسجدة وهي السورة الأخيرة تحدثت عن جعل بني إسرائيل أئمة لما صبروا وكانوا موقنين بالآيات﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ، ما يعني أن أتباع محمد ﷺ الذين يخرون سـجدا عند سماع الآيات هم أيضا على طريق التمكين، ومن جهة أخرى هي دعوة لمحمد وأتباعه إلى الـصبر كـي يستحقوا الإمامة، وفي آل عمران بشارة بيحيى سيداً وحصوراً وبعيسى وجيهاً ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ ،﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ

ﵟٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥ﵞ ، والسيادة والوجاهة فيهما معنى الإمامة، وقد جاء كلا النبيين بعد ابتلاء شديد لكل من زكريا ومريم على الجميع أفضل الصلاة والتسليم.

ويكاد يكون أبرز محاور سورة العنكبوت من أبرز محاورها الابتلاء، وقد جاء في مقدمتها ﵟأَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ﵞ ولئن صرحت العنكبوت بأن الفتنة في الدين سنة إلهية وقد مضت في الذين من قبلهم، فكأنها تشير إلى ما جاء في بداية سورة القصص السابقة لها من تذبيح فرعون لأبناء بني إسرائيل واستحياء نسائهم والذي جاء بعده أن الله تعالى يريد أن يمن على الذين استضعفوا في الأرض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين، ما يعيد إلى الذهن آية السجدة التي تتحدث عن جعل الله سبحانه أئمة في بني إسرائيل لما صبروا.

وقد أُمر النبي ﷺ بالصبر آخر سورة الروم انتظاراً لوعد الله الحق، ووصى لقمان ابنه وهو يقيم الصلاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالصبر على ما أصابه.

ويتصل بموضوع الإمامة موضوع الشفاعة، إذ قد يظن الأبناء أن علو مقام آبائهم يشفع لهم يوم القيامة عند الله سبحانه فيدخلهم الجنة وينجيهم من النار، أو يشفع لهم في الدنيا فيبقيهم أئمة ولو لم يكونوا من أهلها، وقد أكد تعالى لإبراهيم أن عهد الله له ولذريته بالإمامة لا يشمل الظالمين منهم، وتكرر في البقرة تأكيد ذلك: ﵟوَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨ﵞ ،ﵟوَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣ﵞ ، وتكرر قوله: ﵟتِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَﵞ [البقرة:١٣٤و ١٤١] ، وآية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن جاء فيها: ﵟٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦﵞ [البقرة: 255]، وتؤكد ذلك سورة السجدة: ﵟٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤ﵞ ، وفي سورة لقمان: ﵟيَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ ٣٣ﵞ.

لقد أكدت مباحث هذا الفصل تناسب سورة البقرة بل تلاحمها مع كل من الفاتحة التي تسبقها آل عمـران التـي تليها، والفلق نظيرتها في آخر المصحف، وكذا مع السور المفتتحة ب(الم)، بل ولفتت إلـى مركزيـة الـسورة الكريمة بالنسبة إلى جميع سور المصحف، وكونها أماً ثانية للقرآن بعد الفاتحة.

وإذا ضممنا هذا الكلام لما سبق ذكره في الفصل الأول من التناسب داخل الآية، والتناسب بين الآيات، فالتناسب داخل السورة الواحدة إلى حد الوحدة العضوية لكل سورة، ومن ثم التناسب بين كل سورة وجارتهـا مـن أول القرآن حتى نهايته، فضلاً عن مجموعة من العلاقات المتشابكة بين سور القرآن، فإننا نصل إلى ما قاله بعـض العلماء من أن القرآن الكريم مرتبطة أجزاؤه حتى كأنه كلمة واحدة.

الخلاصة والتوصيات

وبعد، فقد كانت تلك محاولة متواضعة للكشف عن بعض أوجه التناسب القرآني عامة، والتناسب في سورة البقرة على وجه الخصوص، حيث سعت الدراسة إلى التعريف بسورة البقرة، وعلم المناسبات في القـرآن الكريم، وأبرز المشتغلين بهذا العلم، وأجابت عن شبهات المعارضين، ثم عرفت بجوانب أهمية هذا العلم، وانتقلت إلى أوجه التناسب القرآني وأنواعه، ثم عرضت لأوجه التناسب الداخلية في سورة البقرة، فأوجـه التناسب الخارجية للسورة الكريمة مع غيرها.

الخلاصة:

وقد خلصت هذه الدراسة إلى النقاط الآتية:

١) أن فكرة التناسب القرآني قديمة قدم القرآن نفسه، وطالما لفت النبي ﷺ المسلمين إلى التعامل مـع القـرآن الكريم باعتباره وحدة واحدة، وتنبه الصحابة ومن بعدهم إلى أهمية السياق في التوصل إلى الفهم الصحيح للنص القرآني؛ والمعاني الإضافية التي يفيدها ترتيب آي القرآن وسوره، وانطلقوا في تفسيراتهم وتـأويلاتهم منهـا، ولعل ضعف السليقة العربية في العصور التالية من جهة، وتركيز الكثيرين على التفصيلات والتفريعات النحوية والفقهية وغيرهما، مما أدى إلى غياب النظرة الكلية لآيات القرآن الكريم وسوره.

٢) بعدما رصد البحث تطور فكرة المناسبة من الشعور بوجودها والتمثيل لها والاستدلال عليها، وما رافق ذلك من جدل أو معارضة، أو قلة اكتراث وتفاعل، فقد خاص إلى أن جل المعارضين لا يعارضون مبدأ التناسـب، وإنما يعارضون ما يرونه تكلفاً، وأن تراوح المناسبات بين الوضوح والغموض، قـد سـاهم فـي ذلـك، وأن الحديث عن التناسب لم يكن دائماً ينطلق من منهجية علمية مبنية على العلوم اللغوية وغيرها.

٣) أن في تفسير الطبري كثيراً من الوقفات في الربط بين أجزاء السورة من خلال أدوات الربط وعلى رأسها حروف العطف، أو من خلال ما أسماه الكلام المحذوف الذي ترك لظهوره، وإن لم يستخدم مصطلح التناسب أو مرادفاته.

٤) أن الفخر الرازي هو أبرز من فتح الباب واسعاً لفهم النظم القرآني، ولم يقارب جهوده أحد حتـى جـاء البقاعي واستوعب ما قيل قبله، وكان عمله في نظم الدرر هو الأوسع والأشمل؛ حيث تحدث عن النظم بدءاً من

أجزاء الآية الواحدة وصولاً إلى الحديث عن التناسب في القرآن الكريم جميعه بوصفه كتابـاً واحـداً، مـروراً بالتناسب بين الآيات ثم التناسب بين أجزاء السورة، فالتناسب بين السور.

٥) أكدت الدراسة توقيفية ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، بعدما كانت انطلقت منها ابتداء.

٦) عزز البحث حقيقة الوحدة الموضوعية في سورة البقرة، من خلال تناسب خاتمتها مع بدايتها، واسمها مـع محورها، والتناسب في قصصها، وكذا تناسب فواصلها، وتميزها بمفردات خاصة بها.

٧) أن الموضوع الرئيس لسورة البقرة هو كتاب التكليف بالخلافة، وهو الأمر الذي أُسكن لأجله آدم ﷺ وبنوه الأرض، وهو ضمن الوسع، وقد حمل الراية زمناً إبراهيم عليه السلام والصالحون من ذريته من نسل إسـحق ويعقوب عليهم السلام ، ثم توقفت الإمامة فيهم، بل ولم يعودوا يصلحون لمجرد الطاعـة والاتبـاع لمحمـدﷺ، وقصة البقرة تدل على ذلك، وتدل على البعث الذي فيه يحاسب الناس على قيامهم بالتكليف أو تقصيرهم فيـه، والإيمان بل الإيقان به مهم جداً للقيام بحق الخلافة.

٨) عزز البحث ما ذكره العلماء من التناسب بين سورة البقرة وكل من سورة الفاتحة، وآل عمران، والفلـق، ومجموعة (الم)، بل وسائر السور القرآنية، وبالتالي مركزية السورة بالنسبة لباقي المصحف؛ كونها في أولـه وكونها بعد الفاتحة، ما يؤكد اعتبارها أماً ثانية للقرآن الكريم بعد الفاتحة.

٩) عزز البحث فكرة الوحدة القرآنية، وما كان كرره السابقون من أن القرآن كالكلمة الواحدة؛ ذلك أن مقتضى وجود المناسبة بين كل سورة والتي تليها يؤدي إلى الاتصال القرآني من أوله إلى آخره، فضلاً عما سبق ذكره من الاتصال بين سورة البقرة ومجموعة(الم)، والتناسب بين سور المسبحات والطواسين والحواميم وغيرهـا، وكذلك مركزية سورة البقرة لما بعدها من السور الكريمة حتى نهاية المصحف.

التوصيات:

١) يرى الباحث أن ما أورده الإمام الرازي عن المناسبة يستحق الإفراد بالبحث والدراسة، ويحتمل أن تُكتـب فيه الرسائل الجامعية، بل إن (تناسق الدرر) للسيوطي، على صغر حجمه، جدير بأن يستخلص منه نظريته في المناسبة.

٢) وتفسير البقاعي مع تعدد الدراسات حوله، فإنه لم يقرأ بعد، ويتسع للمزيد، وكذلك فإن نظرية سعيد حـوى في الوحدة القرآنية ومركزية سورة البقرة، تستحق النظر والدراسة.

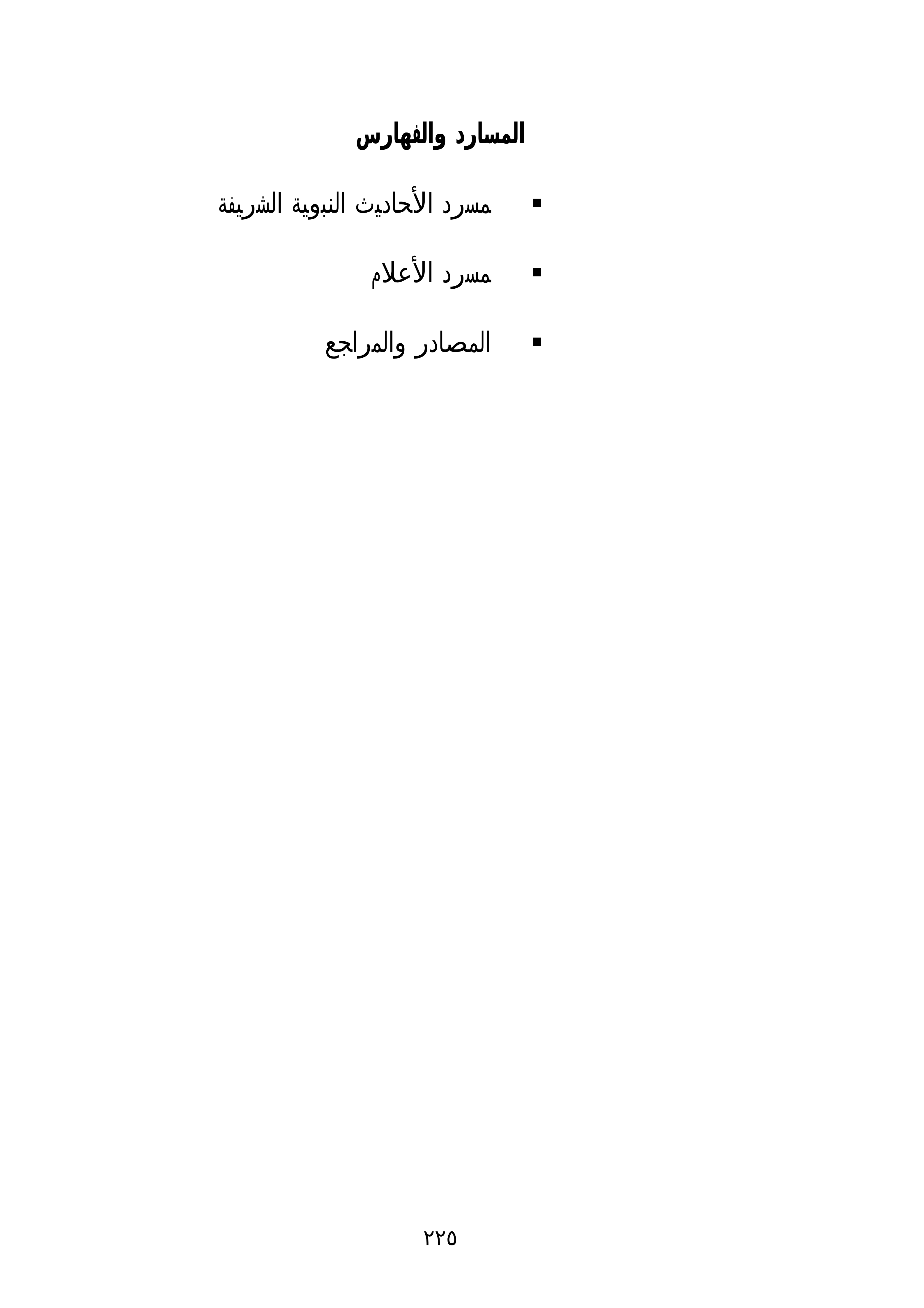
٣) ويرى الباحث كذلك أن في كتب التفسير - حتى تلك التي لم تتخصص في المناسبة - الكثير من الدرر المنثورة أو المنظومة، في موضوع التناسب، ما يستدعى إطالة النظر وكثرة المطالعة فيها، وعلى رأس هذه الكتب تفسير الطبري.

٤) يرى الباحث أن هناك عدداً من القضايا والعناوين الفرعية في هذه الرسالة تستحق أن تفرد برسائل مستقلة؛ وعلى رأسها ارتباط أسماء السور بمحاورها الرئيسة، وكذا أوائل السور وأواخرها، وفواصلها، ومجموعات السور ذات الفواتح المتشابهة، مع التأكيد على أن ما أورده الباحث عن فواصل البقرة، أو ارتباط السور المفتتحة ب(الم)، لا يعدو كونه تحويمات ومقاربات بحاجة إلى المزيد من البحث والتحقيق.

٥) يرى الباحث أن هذه الأطروحة، شأنها شأن الكثير من الدراسات حول التناسب القرآني والوحدة الموضوعية في سوره، لم تفد على الوجه الأكمل، من التراث البلاغي والنقدي العربي، ولا من البحوث اللغوية المعاصرة، وبضمنها علم اللغة النصي، وتحليل الخطاب، وغيرها، وقد تنبه الباحث متأخراً إلى أهمية اعتماد تلك المناهج التحليلية، ما يعني ضرورة الالتفات إلى هذا الجانب، مع تجنب التكلف في التحليل، أو المقايسة الآلية والرياضية الجافة.

هذا ولا يدعي الباحث أنه قد وفى الموضوع حقه من البحث والدراسة، وإذا كان قد قصر في شيء منه أو عجز عن الوفاء بما يستوجبه من الاستقراء والتحليل، أو التحقيق والتمحيص؛ فعذره أنه قد بذل غاية ما يستطيع في التقصي والاسترشاد، وأن الطريق الذي نهج لم يكن في كل مسالكه مطروقاً، ولم يكن يجد دائما من يأتم به في سيره، فضلاً عن أن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا يزال يتفجر عن بحار من المعاني، تفنى الأعمار عن متابعتها، بله تضمينها للدراسة.

وا أسأل أن ينفع بهذا العمل كاتبه وقارئه وكل من كان له فيه سهم، آمين.



المسارد والفهارس

١) مسرد الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الحديث الشريف	صفحة الورود
١	اقْرءوا الْقُرآن فإِنه يأْتي يوم الْقيامة شَفيعا لِأَصحابِه...	٣
٢	إن لكل شيء سناماً، وسنام القرآنِ سورةُ البقرة...	٤، ٩
٣	لَما أُسرِي بِرسول الله ﷺ انْتُهِي بِه إِلَى سدرة الْمنْتَهى...	٦، ١٧٤
٤	يؤْتَى بِالْقُرآنِ يوم الْقيامة وأَهله الذين كَانُوا يعملُون بِه تَقْدمه ..	٩
٥	يا أَبا الْمنْذرِ، أَتَدرِي أَي آية من كتَابِ الله معك أَعظَم؟...	٩
٦	بينَما جِبرِيلُ قَاعد عنْد النبِي ﷺ سمع نَقيضا من فَوقه فَرفَع رأْسه...	٩
٧	الآيتَانِ من آخرِ سورة الْبقَرة من قَرأَهما في لَيلَة كَفَتَاه...	٩
٨	لا تَجعلُوا بيوتَكُم مقَابِر، إِن الشيطَان ينْفر من الْبيت الذي تُقْرأُ فيه...	١٠
٩	يا عباس! ناد قل: يا أصحاب السمرة،يا أَصحاب سورة الْبقَرة...	١٠
١٠	استعملني رسولُ ا ـ ﷺ وأنا أصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف..	١٠
١١	لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصـحاب رسـول ا ﷺ، وقـالوا: وأينـا لـم يظلـم نفسه؟	١٥
١٢	يا معشر الشباب من استطاع منكم البـاءة فليتـزوج؛ فإنـه أغـض للبـصر، وأحـصن للفرج	٤٨
١٣	كنتُ خلفَ رسول ا ـ يوماً ، فقالَ : يا غلام ، ألا أُعلمك كلمات :احفظ ا َ يحفظك	٤٩
١٤	من حفظَ عشر آيات من أَول سورة الكهف عصم من الدجال	٧٥
١٥	رأيت في رؤياي أني هززت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هـو مـا أصـيب مـن المـؤمنين يوم أحد	١٢٦

١٦	إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع،	١٢٧
١٧	إنما تأولون هذه الآية هكذا أن حمل رجل يقاتل يلتمس الـشهادة ، أو يبلـي مـن نفـسه ؛ إنما نزلت فينا معشر الأنصار	١٢٨
١٨	قسمت الصلاة بين وبين عبدي ولعبدي ما سأل	١٧٣
١٩	كيف يقدس ا أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها	١٧٦
٢٠	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد	١٧٦
٢١	كنا أصحاب محمد نتحدث أن أصـحاب بـدر علـى عـدة أصـحاب طـالوت ، الـذين جاوزوا معه النهر	١٩٦
٢٢	إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتّ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن	١٩٦
٢٣	أن تعبد ا كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك	١٨٢
٢٤	أُعطيت مكان التوراة	٢٠١
٢٥	خير يوم طلعت فيه الشمس	١٧٦

٢) مسرد الأعلام

٣) قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المطبوعة

القرآن الكريم.

١. ابن الأثير، ضياء الدين نصر ا بن أبي الكرم الجزري، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، حققه وعلق عليه كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢. ابن الأثير، عز الدين الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق خليـل شـيحا، دار المعرفـة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣. ابن الأثير، عز الدين، **اللباب في تهذيب الأنساب**، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.

٤. الأدنروي، أحمد بن محمد، **طبقات المفسرين**، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مؤسـسة الرسـالة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٧٧م.

٥. الإفريقي، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد، **لسان العـرب**، دار صـادر، بيـروت ط١، ١٣٠٠هـ.

٦. الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح" الجامع الصغير وزيادته**"، المكتب الإسـلامي، بيـروت، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧. الألباني، محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مكتبة المعارف، الريـاض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٨. الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني**، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،دار الفكر، بيروت، دط، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٩. الأندلسي، ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٠. أنيس، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م.

١١. باجودة، حسن محمد، **تأملات في سورة البقرة**، مكتبة مصر، د. ط،١٩٩٢م.

.١٢ بازمول، محمد بن عمر،**علم المناسبات بين السور والآيات**، ويليه: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

.١٣ البخاري، محمد بن إسماعيل**، الجامع الصحيح**، بيت الأفكار الدولية، الريـاض، د.ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

.١٤ بدوي، أحمد أحمد، **من بلاغة القرآن**، دار نهضة مصر،القاهرة، ط ٣، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م.

.١٥ البستاني، محمود، **التفسير البنائي** www.u-of-islam.net.

.١٦ البسومي، باسم، **معجم الفرائد القرآنية**، مركز نون للأبحاث والدراسات القرآنية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

.١٧ ابن بشكوال، **الصلة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبنـاني، القـاهرة وبيروت، دت، دط.

.١٨ البغوي، الحسين بن مسعود،(٤٣٦- ٥١٦هـ)، **شرح الـسنة**، تحقيـق زهيـر الـشاويش وشـعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

.١٩ البقاعي، برهان الدين، **نظم الدرر في تناسب الآيـات والـسور**، دار الكتـب العلميـة، لبنـان، ط١، ١٩٩٥م..

.٢٠ البهي، محمد، **تفسير سورة الأنعام**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤.

.٢١ البيضاوي، ناصر الدين عبد ا بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الكتب العلمية، بيـروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

.٢٢ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة** ومعرفة أحوال صاحب الشرعة، تحقيق عبد المعطـي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

.٢٣ البيهقي، **شعب الإيمان**، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

.٢٤ البيومي، محمد رجب، **البيان القرآني**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٥. الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، بتحقيق وشرح أحمد شاكر، دار الحـديث، القـاهرة، ط١، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

٢٦. التوبة، غازي، **أبو الأعلى المودودي،** فكره ومنهجه في التغيير، دار البشير، عمان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٧. ابن تيمية، تقي الدين أحمد، **مجموعة الفتاوى**، دار الوفاء بالمنصورة، ومكتبة العبيكان بالرياض، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٨. ابن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير**، تحقيق عصام الحرستاني، ومحمد شكور، دار عمـار، عمـان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٩. الجابري، محمد عابد، **مدخل إلى القرآن الكريم**، مركز دراسـات الوحـدة العربيـة، بيـروت، ط١، ٢٠٠٦م، بتصرف.

٣٠. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز**، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المـدني بجـدة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط٣، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٣١. جرار، بسام نهاد، إعجاز الرقم ١٩ في القرآن الكريم، المؤسسة الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٢. الجرمي، إبراهيم، **معجم علوم القرآن**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٣. الحارثي، عبد الوهاب أبو صفية، **دلالة السياق: منهج مأمون لتفسير القرآن الكـريم**، عمـان، د.ن، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٤. الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، **دار المعرفة**، بيروت، ط ٤، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٥. حامد، التيجاني عبد القادر، **أصول الفكر السياسي في القرآن المكي**، المعهد العالمي للفكر الإسـلامي، ودار البشير، فرجينيا وعمان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٦. الحسناوي، محمد، **الفاصلة في القرآن**، دار عمار، عمان، ط٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٧. الحسيني، أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري: **جواهر البيان في تناسب سور القـرآن**، عـالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٨. الحنبلي، ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معـوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٩. الحنبلي، ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار الفكـر، بيـروت، د.ط، ١٤٠٩هـ ـ - ١٩٨٨م.

٤٠. الحفني، عبد المنعم، **موسوعة القرآن العظيم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

٤١. حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، دار السلام، مصر، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٤٢. حوى، سعيد، **هذه تجربتي وهذه شهادتي**، مكتبة وهبة، مصر، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٤٣. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف،(٦٥٤- ٧٤٥هـ)، **البحر المحيط فـي التفـسير**، دار الفكـر، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤٤. خالد، عمرو، **خواطر قرآنية، نظرات في أهداف سور القرآن**، الدار العربية للعلوم، بيـروت، لبنـان، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤٥. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **التفسير الموضوعي، بين النظرية والتطبيق**، دار النفائس، عمـان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٦. الخالدي، صلاح، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤٧. الخالدي، صلاح، **القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ ـ - ١٩٩٨م.

٤٨. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **مدخل إلى ظلال القرآن**، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٩. الخضري، محمد الأمين، **من أسرار المغايرة في نـسق الفاصـلة القرآنيـة**، د.ن، د.ط، القـاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، القاهرة.

٥٠. الخطيب، عبد الكريم، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، ١٩٧٠م.

٥١. الخطيب، محمد بن كمال، ابن شهيد ميسلون، **نظرة العجلان في أغراض القرآن**، المطبعة العـصرية، دمشق، ١٣٦٥هـ.

٥٢. الدارمي، الحافظ أبو محمد بن عبد ا ، **السنن**، تحقيق فواز زمولي، وخالد العلمي، دار الريان للتراث بالقاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥٣. الداني، أبو عمرو(٣٧١- ٤٤٤هـ)، **البيان في عد آي القرآن**، تحقيق الدكتور غانم قدوري حمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٥٤. الداودي، الحافظ شمس الدين محمد بن علي، **طبقات المفسرين**، تحقيق: علي أحمد عمر، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط ٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٥٥. دراز، محمد عبد ا (ت ١٩٥٨م)، **النبأ العظيم**، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٥٦. الدغامين، زياد، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، دار البشير، عمان، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٥٧. الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

٥٨. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، حقق بإشراف، شعيب الأرناؤوط وأكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٩٩٠م.

٥٩. الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، دن، دت، دط. عن/المكتبة الوقفية، www.waqfeya.com.

٦٠. الرازي، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة-الرياض، ط١،١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٦١. الرازي، محمد ابن أبي بكر، **مختار الصحاح**، دار عمار، عمان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٦٢. الرازي، الفخر محمد بن عمر بن الحسين، الشافعي ،(٥٤٤- ٦٠٦هـ)، **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٦٣. الراشد، محمد أحمد، **منهجية التربية الدعوية**، دار المحراب، كندا، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٦٤. الراغب الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦٥. الرافعي، مصطفى صادق، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٧،١٣٨١هـ - ١٩٦١.

٦٦. رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم،الشهير بتفسير المنار**، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٦٧. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، د. ط، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٦٨. ابن الزبير، أبو جعفر، **ملاك التأويل**، تحقيق محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٦٩. الزركشي، محمد بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تخريج وتعليق مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

٧٠. الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٨٦م.

٧١. الزجاج، أبو إسحق إبراهيم بن السري(ت٢١١هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٧٢. الزمخشري، محمود بن عمر،(٤٧٦- ٥٣٨هـ)، **تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٧٣. أبو زهرة، محمد، **أصول الفقه**، دار الفكر العربي، بيروت، د .ط، د.ت.

٧٤. أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، مصر، د .ط، د.ت.

٧٥. أبو زيد، أحمد، **التناسب البياني في القرآن**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم ١٩، المملكة المغربية، ١٩٩٠م.

٧٦. السامرائي، فاضل صالح، **التعبير القرآني**، دار عمار، عمان، الأردن، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٧٧. سبحاني، محمد عناية ا أسد، **إمعان النظر في نظام الآي والسور**، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧٨. سبحاني، **البرهان في نظام القرآن، في الفاتحة والبقرة وآل عمران**، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٧٩. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، (٨٣١ - ٩٠٢ هـ)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٨٠. أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٨١. سعيد، محمد رأفت، **سورة لقمان بين كلمة التنزيل وتناسب الترتيب**، دار المنار، القاهرة، د.ط، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٨٢. السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٨٣. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي، **الروض الأنف**، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧١م.

٨٤. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٨٥. السيوطي، جلال الدين، **تناسق الدرر في تناسب السور**، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٨٦. السيوطي، جلال الدين، **طبقات المفسرين**، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٨٧. السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٨. الشاطبي، إبراهيم اللخمي،(٧٩٠هـ)، **الاعتصام**، دار الرحمة، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٩. الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، شرحه وخرج أحاديثه عبد الله دراز، ووضع تراجمه، محمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.

٩٠. الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، دار أخبار اليوم، مصر،١٩٩١م، د. ط.

٩١. شلتوت، محمود، **تفسير القرآن الكريم**، الأجزاء العشرة الأولى، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ط ٧، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩.

٩٢. الشوكاني، محمد بن علي، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

.٩٣ الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير الجامع بين فنـي الروايـة والدرايـة مـن علـم التفـسير،** مختصراً، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، ط ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

.٩٤ الطباطبائي، محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن،** مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيـروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

.٩٥ الطباع، إياد خالد، **الإمام الحافظ جلال الدين الـسيوطي،** دار القلـم، دمـشق، ط ١، ١٤١٧هــ - ١٩٩٦م.

.٩٦ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير،** تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، الزهراء الحديثة بالموصل، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

.٩٧ الطبري، أبو جعفر، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** (٢٢٤- ٣١٠هـ ـ) دار الفكـر، بيـروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

.٩٨ الطراونة، سليمان، **دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية،** د.ن، ط١، عمان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

.٩٩ ابن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير،** دار سحنون، تونس، د.ط، ١٩٩٧م.

.١٠٠ عباس، فضل حسن، **إتقان البرهان في علوم القرآن،** دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

.١٠١ عباس، فضل، وعباس، سناء فضل، **إعجاز القرآن الكريم،** دار الفرقان، عمان، ١٩٩١م.

.١٠٢ عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها/ علم البيان،** دار الفرقان، عمان، ط٢، ١٩٩٦م.

.١٠٣ عباس، فضل حسن، **خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة،** دار الفرقان، عمان، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

.١٠٤ عباس، فضل حسن، **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته،** دار الفرقان، عمان، ط١، ١٩٨٥م.

.١٠٥ عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،** دار الجيل – بيروت، د. ط، د.ت.

.١٠٦ ابن عبد السلام، عبد العزيز، **الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز،** وبذيله: "نبذ مـن مقاصـد القرآن الكريم"، تحقيق محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

.١٠٧ أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن،** تحقيق وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية، بيـروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٠٨. ابن عساكر، علي بن الحسن الشافعي، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٠٩. العسقلاني، أحمد بن حجر، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار الكتب العلمية، بيـروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١١٠. العسقلاني، ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١١١. العسقلاني، ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، **إنباء الغُمر بأبناء العمر في التاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١١٢. العسقلاني، ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١١٣. العسقلاني، ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، (٧٧٣-٨٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت، د. ط، د.ت.

١١٤. العظم، يوسف، **رائد الفكر الإسلامي، الشهيد سيد قطـب**، دار القلـم، دمـشق، ط١، ١٤٠٠هـ ـ - ١٩٨٠م.

١١٥. عكاوي، د. إنعام، **المعجم المفصل في علوم البلاغة**، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م.

١١٦. العلمي، عبد ا ، **مؤتمر تفسير سورة يوسف**، دار الفكر العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٩م.

١١٧. علي، جواد، **تاريخ العرب قبل الأسلام**، بيروت، ١٩٧٦م.

١١٨. العلي، إبراهيم محمد، **صحيح أسباب النزول**، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٣م.

١١٩. العمري، أكرم ضياء، **السيرة النبوية الصحيحة**، مكتبـة العلـوم والحكـم، المدينـة المنـورة، ط٥، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٢٠. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٢١. فانديك والبستاني، ترجمة منقحة، **الكتاب المقدس**، منشورات نداء الرجـاء، شـتوتغارت، ألمانيـا، ١٩٩١م.

١٢٢. الفراهي، عبد الحميد، **التكميل في أصول التأويل**، الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند.

١٢٣. الفراهي، عبد الحميد، **دلائل النظام**، الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند، ١٣٨٨هـ.

١٢٤. فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٤م.

١٢٥. الفقي، صبحي إبراهيم، **علم اللغة النصي**، دار قباء، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠م.

١٢٦. القاسم، محمد أحمد يوسف، **الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره**، دار الطبوعات الدولية، مصر، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢٧. القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٢٨. ابن قتيبة، أبو محمد مسلم، **تأويل مشكل القرآن**، المكتبة العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

١٢٩. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الفكر، لبنان، د ط، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٣٠. القشيري، مسلم بن الحجاج، **الصحيح**، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٣١. قطب، سيد، (١٩٠٦-١٩٦٦م)، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق، القاهرة و بيروت، ط٨، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٣٢. قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة/بيروت، ط٢٦، ١٤١٨/١٩٩٧م.

١٣٣. قطب، محمد، **دراسات قرآنية**، دار الشروق، القاهرة ط ٧، ١٩٩٣م.

١٣٤. القنوجي، أبو الطيب صديق بن حسن، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٣٥. القيرواني، ابن رشيق، **العمدة**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.

١٣٦. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الدمشقي، **بدائع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دت.

١٣٧. ابن القيم، **التبيان في أقسام القرآن**، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٣٨. ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، دت.

١٣٩. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٦٦م.

١٤٠. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

١٤١. الكرماني، محمود بن حمزة، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**(أسرار التكرار في القرآن، كما سماه المحقق)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت.

١٤٢. ابن ماجة، أبو عبد ا محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، تحقيق محمد فؤاد عبد البـاقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٤٣. الماوردي، علي بن محمد، (ت٤٥٠هـ) **النكت والعيون**، دار الكتب العلمية، بيروت،د ت، د ط.

١٤٤. آل مبارك، فيصل بن عبد العزيز، **توفيق الرحمن في دروس القرآن**، حققه عبد العزيز آل حمـد، دار العليان ودار العاصمة، السعودية، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٤٥. المباركفوري، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٤٦. محمد، يسري السيد، **بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية**، دار ابن الجوزي، الـدمام، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٤٧. مراد، يحيى، **معجم أسماء المستشرقين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٤٨. المرسي، كمال الدين عبد الغني، **فواصل الآيات القرآنية**، المكتب الجامعي الحديث – الإسـكندرية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٤٩. مسلم، مصطفى، **مباحث في التفسير الموضوعي**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٥٠. المصري، ابن أبي الإصبع، **تحرير التحبير**، تحقيق حفني محمد شرف، منشورات لجنة إحياء التـراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، القاهرة، د.ط، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٥١. مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

١٥٢. مغنية، محمد جواد، **التفسير الكاشف**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.

١٥٣. المكي، ابن عقيلة، **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، مجموعة رسائل جامعية، بإشراف مركز بحوث جامعة الشارقة، سلسلة النشر العلمي، رقم(٣٨)، الشارقة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٥٤. المودودي، أبو الأعلى، **تفهيم القرآن**، " الجزء الأول"، تعريب أحمد يونس، دار القلم، الكويـت، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

١٥٥. موسى، محمد السيد، **الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول**، موقع صيد الفوائد.

١٥٦. أبو موسى، محمد محمد، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخـشري**، مكتبـة وهبـة/ القـاهرة، ط ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٥٧. الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري، **مجمع الأمثال**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٥٨. الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **تأملات في القرآن الكريم**، دار القلم، دمـشق، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٥٩. نوفل، أحمد، **سورة يوسف: دراسة تحليلية**، دار الفرقان، عمان، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٦٠. النووي، **شرح صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

١٦١. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمي، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، دار الكتـب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٦٢. يوسف، محمد خير، **تتمة الأعلام للزركلي**، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

ثانياً: الرسائل الجامعية

١٦٣. الدراويش، حسين، **النظم القرآني في سورة البقرة**، دراسة في الدلالة والأسلوب، رسالة دكتوراه، فـي اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، ١٩٨٦م.

١٦٤. الشاعر، تمام كمال، **منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين أقوال المفسرين**، رسالة ماجستير في أصول الدين بجامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٤م.

١٦٥. الشرقاوي، أحمد، **نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال كتاب الأساس فـي التفـسير**، رسالة ماجستير في أصـول الـدين، قـسم التفـسير وعلـوم القـرآن، جامعـة الأزهـر، ١٩٩٤م. www.tafsir.net,**www.saaid.net**

١٦٦. طقش، رهام يعقوب، **الروابط اللفظية في سورة البقرة**، دراسة نحوية دلالية إحصائية، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة القدس، ٢٠٠٣م.

١٦٧. مالكي، فرج عبد الحسيب، **عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية**، دراسة في النص الموازي، رسـالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٦٨. مشاهرة، مشهور موسى، **التناسب القرآني عند الإمام البقاعي- دراسة بلاغية**، رسالة ماجستير فـي اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م.

١٦٩. نواهضة، إسماعيل الحاج أمين، **نظم الدرر في تناسب الآيات والـسور دراسـة وتحقيـق**، للمقدمـة وسورتي الفاتحة والبقرة، رسالة دكتوراه، من كلية أصول الـدين بجامعـة الأزهـر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٧٠. اليازجي، صبحي رشيد، **الوحدة الموضوعية بين عبد الحميد الفراهي وسيد قطب،** رسالة ماجـستير في أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٠م.

ثالثاً: المقالات والدوريات

١٧١. الأسطة، عادل، **العناوين والنهايات القصصية**، في مجموعة توفيق زيـاد القصـصية"حـال الـدنيا، www.najah.edu-

١٧٢. البستاني، محمود، **عمارة السورة القرآنية**، www.u-of-islam.net

١٧٣. حسن، سامي عطا، **المناسبات بين الآيات والسور**، **www.saaid.net**.

١٧٤. الشرقاوي،أحمد، **موقف الشوكاني من التناسب**، عن:موقع صيد الفوائد، وشبكة التفسير.

١٧٥. العلواني، طه جابر، **الوحدة البنائية للقرآن المجيد**، www.almultaka.net.

١٧٦. المطوي، محمد الهادي، **شعرية العنوان في كتاب" الساق على الساق في ما هو الفارياق"**، مجلـة عالم الفكر، مجلد ٢٨، العدد١، الكويت، ١٩٩٩م.

١٧٧. نوفل، أحمد، **عطف البدء على الختام في أحسن الكلام**، مقال مخطوط.

١٧٨. اليافي، نعيم، **قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن**، مجلة التـراث العربـي، ع ١٥-١٦/ ١٩٨٤م، اتحاد الكتاب العرب دمشق، بتصرف. **www.awu-dam.org/trath/ind-turath١٠٢.htm**.